دير القديس أنبا مقار

شرح الرسالة الأولى

للقديس بطرس الرسول

الأب متى المسكين

كتاب: شرح الرسالة الأُولى للقديس بطرس الرسول
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأُولى: ٢٠٠٤
الطبعة الثانية : ٢٠٠٩
الطبعة الثالثة: ٢٠١٧
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.
صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس.ص ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٤/٩٠٩٠
رقم الإيداع الدولي: ISNB 977-240-203-3
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:
دار مجلة مرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من: مكتبة الدير
أو من خلال الموقع على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org

فهرس

مقدِّمة الرسالة ٥
بطرس الرسول ٥
محتويات الرسالة ١١
الغرض من الرسالة ١٢
أسلوب الرسالة ١٣
الرجاء عند القديس بطرس ١٦
لِمَنْ أُرسلت هذه الرسالة ٢٩
مكان كتابة الرسالة ٣٠
زمن كتابة الرسالة ٣٠
قانونية الرسالة ٣١
شرح الرسالة ٣٣
الأصحاح الأول ٣٥
الأصحاح الثاني ٧٣
الأصحاح الثالث ١٠٧
الأصحاح الرابع ١٤٧
الأصحاح الخامس ١٧٩
المراجع ١٩٨

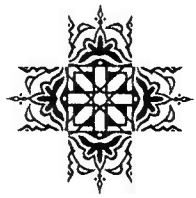

مقدِّمة الرسالة

بطرس الرسول:

نعرف أن الاسم الأول للقديس بطرس الرسول هو سمعان Συμεών كما ورد بفم المسيح في (مت ١٦: ١٧)، (يو ٢١: ١٥ و١٦)، (أع ١٥: ١٤) وفي (٢بط ١: ١).

وهو مواطن من بيت صيدا على بحر الجليل (يو ١: ٤٤)، ولكنه عاد فسكن في كفرناحوم (لو ٤: ٣١ و٣٨)، وكان متزوجاً (١كو ٩: ٥)، وكانت حماته (أم زوجته) تسكن معه. وبحسب التقليد فزوجته كانت تُسمَّى كونكورديا، وفي موضع آخر تُسمَّى بربتوا. ويقول العلاَّمة كليمندس الإسكندري في (*Stromata* 7) إنها قد استُشهدت قبل القديس بطرس نفسه. وكان القديس بطرس مع أبيه يوناس (يونا) (مت ١٦: ١٧) واسمه مشتق من يوأنس وأيضاً يوحنا، وأيضاً معه أخيه أندراوس. وكانوا جميعاً يمتهنون مهنة الصيد في بحر الجليل.

وحين ابتدأ القديس يوحنا المعمدان يعمِّد، تعرَّف أندراوس على المسيح ثم دعا أخاه بطرس فانضمَّا معاً إلى المسيح. وقد أعطاه المسيح اسماً جديداً وكان الاسم مملوءاً بالمواعيد إذ أعطاه اسم كيفاس أي صخرة التي تُترجم بطرس، ومن ذلك الوقت فصاعداً استمر مع أخيه أندراوس تلميذاً للمسيح. ومن بعد قصة صيد السمك الكثير تأثَّر بطرس جدًّا أكثر من أي شيء في حياته، وسلَّم نفسه وحياته للمسيح بخضوع عجيب. والقصة يقصها القديس لوقا في إنجيله هكذا:

+ «فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان، وسأله أن يبعد قليلاً عن البرِّ. ثم جلس وصار يعلِّم الجموع من السفينة. ولما فرغ من الكلام قال لسمعان: ابعد إلى العمق وألقوا شباككم للصيد. فأجاب سمعان وقال له: يا معلِّم، قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً. ولكن على كلمتك أُلقي الشبكة. ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكاً كثيراً جدًّا، فصارت شبكتهم تتخرَّق. فأشاروا إلى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا ويُساعدوهم. فأتوا وملأُوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق. فلمَّا رأى سمعان ذلك خرَّ عند ركبتيْ يسوع قائلاً: اُخرج من سفينتي يا ربُّ، لأني رجلٌ خاطئٌ. إذ اعترتهُ وجميع الذين معه دهشةٌ على صيد السمك الذي أخذوه. وكذلك أيضاً يعقوب ويوحنا ابنا زبدي اللَّذان كانا شريكيْ سمعان. فقال يسوع لسمعان: لا تخف! من الآن تكون تصطادُ الناس! ولما جاءوا بالسفينتين إلى البرِّ تركوا كلَّ شيءٍ وتَبِعُوهُ.» (لو ٥: ٣ - ١١)

ولأهمية قصة دعوة بطرس وزملائه ذكرها أيضاً القديس متى في إنجيله:

+ «وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل أبصر أخوين: سمعان الذي يُقال له بطرس، وأندراوس أخاه يُلقيان شبكة في البحر، فإنهما كانا صيَّادَين. فقال لهما: هلمَّ ورائي فأجعلكما صيَّادَي الناس. فللوقت تركا الشباك وتبعاه. ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين: يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه، في السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكَهُمَا فدعاهما. فللوقت تركا السفينة وأباهُما وتبعاه.» (مت ٤: ١٨ - ٢٢)

وما جاء في إنجيل القديس متى «هلمَّ ورائي فأجعلكما صيَّادي الناس» يتفق تماماً مع ما قيل متكرراً للقديس بطرس في إنجيل القديس لوقا.

وكان القديس بطرس من البدء ذا مكانة بين التلاميذ، فلم يكن فقط واحداً من الثلاثة الذين وقفوا موقف الأمانة مع المسيح يسوع، ولكنه امتاز بالاعتراف بالمسيح كأول شاهد: «أنت المسيح ابن الله الحيّ» كما جاء في (يو ٦: ٦٦ - ٦٩):

+ «مِنْ هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه. فقال يسوع للاثني عشر ألعلَّكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟ فأجابه سمعان بطرس: يا رب، إلى مَنْ نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك، ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنتَ المسيح ابن الله الحي».

وعاد المسيح وأكَّدَ الاسم الذي سبق وأعطاه وأضاف الوعد «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي». إذ كان يرد على اعتراف القديس بطرس بوعد إلهي: «وأنتم، مَنْ تقولون إني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنتَ هو المسيح ابن الله الحي. فأجاب يسوع وقال له: طوبى لكَ يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً: أنتَ بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأُعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات. وكل ما تَحُلُّه على الأرض يكون محلولاً في السموات.» (مت ١٦: ١٥ - ٢٠)

لذلك أعطاه باقي التلاميذ الأولوية في كل شيء، ولكن بانسجام مع كلمة المسيح ومبنية عليها. وقد تأكَّدت في (يو ٢١: ١٥ - ١٩):

+ «فبعدما تغدَّوا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يونا، أتحبني أكثر من هؤلاء؟ قال: نعم يا ربُّ أنت تعلم أني أحبُّكَ. قال له: ارعَ خرافي. قال له أيضاً ثانيةً: يا سمعان بن يونا، أتحبُّني؟ قال له: نعم يا ربُّ، أنتَ تعلم أني أُحبُّكَ. قال له: ارعَ غنمي. قال له ثالثةً: يا سمعان بن يونا، أتحبُّني؟ فحَزِنَ بطرس لأنه قال له ثالثة: أتحبُّني؟ فقال له: يا ربُّ، أنتَ تعلم كل شيء. أنتَ

تعرفُ أني أحبُّكَ. قال له يسوع: ارعَ غنمي. الحقَّ الحقَّ أقول لكَ: لمَّا كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء. ولكن متى شختَ فإنك تمدُّ يديك وآخر يُمنطقُكَ، ويحملُكَ حيث لا تشاءُ. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مُزمعاً أن يُمجِّدَ الله بها. ولما قال هذا قال له: اتبعني».

هذا حدث بعد قيامة المسيح وكأنها كانت التوصية الأخيرة. وهذا الاختيار وهذه الدعوة من الرب لبطرس صارت ثابتة ومكينة بصورة مدهشة بالفعل والحركة، وصنعت من بطرس شخصية فريدة وخاصة بعد أن حلَّ الروح القدس عليه يوم الخمسين.

ولكن ثباته وصلابة أخلاقه خانته أكثر من مرَّة بسبب التفاخر والذاتية التي كانت متمكِّنة فيه مع شجاعة وحماس غير متعقِّل. ومع أنه قد دُعي بالصخرة ولكن كان يعوزه الصبر والثبات، فاندفع كل الطريق كالعاصفة تحيطه المخاطر. وكان سريع الحركة والتنفيذ أكثر من الصبر والتحمُّل، كما ظهر لمَّا طلب من المسيح أن يجعله يسير على الماء فابتدأ يغرق بسبب الخوف والشك فعيَّره المسيح: «يا قليل الإيمان لماذا شككت؟» (مت ١٤: ٢٨ - ٣١). وفي موقف آخر ابتدأ يوبِّخ معلِّمه (مت ١٦: ٢٢). كما كان منتقداً في تسرُّعه في السؤال عن عدد المرات لغفران خطايا الآخرين (مت ١٨: ٢١). وأيضاً سؤاله عن ماذا سيكون لهم لأنهم تركوا كل شيء وتبعوه (مت ١٩: ٢٧). ولكن اختلَّت صورة الصخرة وأدخل نفسه والآخرين معه أثناء دخول المسيح الآلام لمَّا ادَّعى الثقة بالنفس أنه مستعد أن يموت مع المسيح، وأنه يستحيل أن يتخلَّى عن المسيح أبداً حتى وإلى السجن والموت، وبدأت شجاعته تهتز من لحظة عدم استطاعته أن يسهر مع المسيح ولا ساعة واحدة في صلاته في جثسيماني مع أنه ترجَّاهم ثلاث مرَّات أن يسهروا ويصلُّوا، وحذَّرهم من تجربة النوم في هذه الساعة ولكنهم ناموا بقيادة بطرس. وأيضاً لحظة اقتراب الحشود حين أراد أن يدافع بسيفه عن المسيح فورَّط نفسه و لم يستطع أن يمسك السيف كمحارب، ولما تابع المسيرة خلف المسيح إلى بيت رئيس الكهنة ودخل ليقف مع الخدَّام لم يستطع أن يشهد للمسيح ولا أن يعترف به، بل طغى عليه الخوف والجبن وأخذ يلعن ويسب أنه لا يعرف هذا الرجل (المسيح) أمام الخادمات! ولمَّا شعر بعظم الجريمة خرج وبكى بكاءً مرًّا. وقد كشف الكتاب ضعفات بطرس لكي يضع أمام أعيننا الطبيعة البشرية وخذلانها لأقوى رجل، في مقابل الطبيعة الجديدة التي لبسها بطرس يوم الخمسين عندما تجدَّدت خلقته. ولكن بالرغم من ظهور بطرس قبل التجديد بهذا المستوى المتدنِّي من الأخلاق والسلوك، ظهر له المسيح بعد القيامة قبل كل التلاميذ.

وعاد بطرس وأكَّد ثلاث مرَّات حبَّه للمسيح أكثر من الباقين مضيفاً أن هذا يعلمه المسيح جيداً: «يا رب أنت تعلم كل شيء.» (يو ٢١: ١٧)

وبعد صعود المسيح ظهر القديس بطرس على رأس الرسل، وبمشورته عاد التلاميذ إلى عدد الاثني عشر (باختيار متياس الرسول) كما كانوا (أع ١: ٢٦).

أما بعد حلول الروح القدس فقد ظهر القديس بطرس على حقيقته التي أعطاها له المسيح كصخرة، بعدها بَدَتْ الكنيسة مدينة له بنموها وامتدادها أكثر من الباقين.

وكانت عظته الأولى بعد يوم الخمسين سبباً في ارتفاع عدد المؤمنين بالمسيح في يوم واحد إلى ثلاثة آلاف نفس، وكانت هي العظة الأُولى للكنيسة كلها. بعد ذلك بدأ يعمل مع القديس يوحنا ولكنه كان هو العنصر الظاهر (أع ٣: ١ - ١١ إلخ). وكان أول رسول يعمل معجزة باهرة شهدت للمسيح في أوساط الهيكل - وكان القديس بطرس يحكم للكنيسة، فحكم في قضية حنانيا وسفيرة وكان حكمه سماويًّا إذ نُفِّذ كما نطقه (أع ٥: ١ - ١٠).

ولمَّا مَثُلَ التلاميذ أمام محاكمة السنهدريم كان هو المتكلِّم باسم جميع الرسل وشهد للمسيح بجرأة وقوَّة وثبات.

وأثناء اجتياز القديس بولس الرسول مرحلة التحوُّل الذي جرى له بدعوة إلهية، كان القديس بطرس يبشِّر في مدن فلسطين على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وفي مدينة لدَّة شفى إينياس (أع ٩: ٣٢ إلخ) وأقام طابيثا من الموت في يافا (أع ٩: ٣٦)، وعلى يديه كان أول ثمار عودة الوثنيين وذلك قبل أن يبدأ بولس الرسول ويتخصَّص للأُمم. ولكن أول مَنْ وعظ بالإنجيل للأُمم هو بطرس الرسول كما في حالة كرنيليوس (أع ١٠: ١ - ٤٨).

وأول مَنْ مارس المعمودية يوم الخمسين كان هو بطرس الرسول. وهكذا قبض على زمام التقدُّم على الرسل، وظهر كصخرة رمزاً للصخرة المسيح التي بُنيت عليها الكنيسة الأُولى.

وفي أثناء الاضطهاد الذي أثاره أغريباس الأول طُرح القديس بطرس في السجن، ولكن الله نجَّاه بمعجزة عُظمى إذ أرسل ملاكه وفكَّ قيوده وقاده خارج السجن. ولكنه بعد خروجه الإعجازي ترك أُورشليم سرًّا، ولم نعرف في الحقيقة أين ذهب القديس بطرس، ولكن بعض المؤرِّخين يقولون إنه ذهب إلى روما وبشَّر بالمسيح وأقام أول كنيسة، ولكن ليس هناك من دليل واحد على ذلك، والكل يعارض هذا التخمين.

وبالرغم من أن القديس بطرس هو الذي بشَّر أول أُممي - كرنيليوس - وأهل بيته، لكنه لم يستطع أن يقف مع تيار دخول الأُمم للمسيحية أمام اليهود المتنصِّرين، وذلك بالرغم من أن القديس بطرس

كان يفتخر ويؤكِّد أنه المدعو لبشارة الأُمم: «أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأُمم كلمة الإنجيل ويؤمنون» (أع ١٥: ٧). ويؤمِّن على كلام القديس بطرس الرسول، القديس يعقوب أخو الرب: «سمعان قد أخبر كيف افتقد الله أولاً الأُمم ليأخذ منهم شعباً على اسمه، وهذا توافقه أقوال الأنبياء ..» (أع ١٥: ١٤ و١٥)

وكادت الكنيسة أن تنشق بين القديس بولس مُبشِّر الأُمم والقديس بطرس المسئول عن كنيسة الختان، ولكن القديس بطرس انحاز أخيراً للقديس بولس وأعلن رفضه إرغام الأُمم أن يتهوَّدوا أولاً ويخضعوا للناموس قبل أن يُقبلوا في المسيحية.

وهكذا وقف القديس بطرس معلناً أن المسيح قد وهب القديس بولس نعمة لكي يبشِّر بين الأُمم. وهكذا تم الاتفاق أن يصحب القديس بولس برنابا ليخدم الأُمم، والقديس بطرس يصطحب القديس يوحنا والقديس يعقوب ليتخصَّصوا في خدمة اليهود (غل ٢: ٩).

أما تقدُّم القديس بطرس على الرسل فلم تتحقَّق على المدى، وبدأ يظهر بولس الرسول في المقدِّمة (غل ٢: ٧ و٨).

ويلاحظ أن القديس بطرس بالرغم من حصوله على كل معاني ومبادئ بولس الرسول إلا أنه لم يكن مثله كفؤاً أن يبشِّر بين الأُمم، وظهر هذا في سلوكه في أنطاكية الذي وبخه عليه بولس الرسول جهاراً، ولم تكن تعوزه المعرفة والوسيلة لكي يعقد علاقات بين الأُمم بحسب مبادئ الإنجيل تماماً، وخاصة علاقة الإنجيل بالناموس، وكانت له علاقات صحيحة مع مسيحيي الأُمم ولكنه راءى اليهود المتنصِّرين وخاف منهم وتظاهر بأنه يحترم عوائد الناموس (غل ٢: ١٢). وكان هذا السلوك ضاراً وخطراً جدًّا بالنسبة لمبادئ المسيحية المبتدئة. وقد تعامل بولس الرسول في كل رسائله ليصحِّح هذه المفاهيم ولكن لم تصل الحال إلى القطيعة بل احتفظ كل رسول بالأفكار الصحيحة للإنجيل بالرغم من الظروف المحيطة.

والقديس بولس يحكي أن القديس بطرس استمر في خدمته وكرازته للأُمم: «ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وإخوة الرب وصفا (بطرس).» (١كو ٩: ٥)

وواضح من رسائل بطرس الرسول إلى أقاليم آسيا الصغرى المذكورة في رسالته الأُولى أنه جال بين هذه الأقاليم وكوَّن علاقات وطيدة مع المسيحيين الذين تنصَّروا، سواء الذين من اليهود أو الأُمم.

وقد تكلّم بعض الآباء الأوائل كمؤرِّخين عن خدمة بطرس الرسول، ولكن كلها يعوزها البرهان كخدمته في روما أو أسيا الصغرى أو بابل.

وموضوع استشهاد بطرس الرسول دخل في منازعات كثيرة بين المؤرِّخين والآباء. ولكن مما جاء في إنجيل القديس يوحنا: «الحق الحق أقول لكَ، لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء، ولكن متى شخت فإنك تمد يدك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يمجِّد الله بها» (يو ٢١: ١٨ و١٩)، تتضح فيه أن المسيح سبق وأعلن بالفعل عن أية ميتة سيموتها القديس بطرس، وقد ألمح القديس بطرس إلى هذا بوضوح في رسالته: «عالماً أن خلع مسكني قريب كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضاً.» (٢بط ١: ١٤)

وكثير من الآباء ذكروا استشهاد ق. بطرس في روما مثل:

+ ديونيسيوس الذي من كورنثوس [يوسابيوس: تاريخ الكنيسة (٢: ٢٥)].
+ إيرينيئوس [ضد الهراطقة (٣: ١)].
+ ترتليان [ضد مارقيون (٤: ١٥)].
+ أوريجانوس [يوسابيوس: تاريخ الكنيسة (٣: ١)].
+ الكاهن كايوس Cajus يشهد مبكِّراً جدًّا عن وجود قبرين للقديسين بطرس وبولس في روما.

ولكن العالِم ماير ينقد هذه الشهادات كلها لأنها غير معتمدة تاريخياً وتقوم على معارف غير مؤكَّدة.

أما القديس إغناطيوس فيذكر قبري بطرس وبولس في روما (رسالته إلى روما فصل ٤).

وليس ما يثبت باليقين أن القديس بطرس قد تواجد في روما مع القديس بولس. ولكن الكثير من الآباء يقولون إن كنيسة روما هي من عمل القديس بطرس والقديس بولس معاً وإنهما قد استشهدا هناك [يوسابيوس: تاريخ الكنيسة (٢: ٢٥)].

ويعتقد البعض أن قول القديس بولس عن أنه كان هناك في كورنثوس بعض المؤمنين يقولون أنا لبطرس والبعض الآخر يقول أنا لبولس: «فأنا أعني هذا أن كلَّ واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبولُّس وأنا لصفا وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح، ألعلَّ بولس صُلب لأجلكم أم باسم بولس اعتمدتم» (١كو ١: ١٢ و١٣)، أنه يُفهم من هذا على وجه التخمين أن القديس بطرس قد ذهب إلى كورنثوس.

ويُفهم من التقليد القديم: [أن القديس بطرس في أواخر أيامه ذهب إلى روما، وأنه خدم الإنجيل هناك وأنه استشهد تحت حكم نيرون] Wiesinger وأيضاً: Bleek، في كتابه مقدِّمة للعهد الجديد صفحة ٥٠٣ (الترجمة الإنجليزية، الجزء الثاني، ص ١٥٧ إلخ).

ويقرِّر العالِم ماير في شرحه لرسالة بطرس الرسول الأولى صفحة ١٧٢ أنه إذا كان بولس الرسول قد استشهد في سنة ٦٤م فيكون استشهاد بطرس الرسول بين سنة ٦٥ - ٦٧م. وكان بولس الرسول قد عُفي عنه في أول مرَّة وتخلَّص من الأسر الروماني في روما وذهب إلى أسبانيا.

محتويات الرسالة:

أولاً: يبدأ بالشكر لله من أجل الميراث السماوي الأبدي الذي صار للمسيحيين أن يشتركوا فيه، الذي ينبغي أن يكون مصدر فرحهم الدائم بالرغم أنه يلزمهم بحسب تدبير الله أن يتألَّموا قليلاً في هذا العالم بتجارب متنوعة ولكن لكي يجازوا بالمجد والكرامة، الأمر الذي شغل بال الأنبياء والقديسين القدامى وكان أيضاً موضوع شهوة الملائكة حتى أن ينظروه.

ثانياً: تأتي النصائح ويمكن تقسيمها إلى ثلاث درجات:

الدرجة الأولى من النصائح [١: ١٣ - ٢: ١٠]:

وتختص بالأمجاد الموعود بها للمسيحيين والتي تتطلَّب القداسة. وهو يدعو إلى أقصى ما يمكن من الرجاء في النعمة التي وعد بها المسيح. ثم يعقبها دعوة إلى مسيرة طاهرة في مخافة الله القاضي العادل، مسيرة طاهرة ومبنية على دراية وإحساس وتقييم لعمل الفداء الذي أكمله المسيح لكي نسير هذه السيرة الطاهرة مُعانين بنعمته لأنه قد سُفك دمه من أجل ذلك (١: ١٤ - ٢١). ثم يعقبها التركيز على محبة صادقة غير غاشة ولا من أجل المجاملة تليق بمن وُلِدُوا من الله ليكونوا واحداً في المسيح (١: ٢٢ - ٢٥)، وأخيراً أن يتخلَّصوا من كل شهوات الجسد وشروره ويشتاقوا إلى المعرفة الإنجيلية ودراسة كلمة المسيح التي اعتبرها كاللبن عديم الغش الذي يرضعه الولد الصغير من صدر أمه. ويحث المسيحيين أن يتشبَّثوا بالمسيح كصخور حيَّة مبنية معاً لتقوم كهيكل روحي لله كما دعاهم الله إلى المسيح (٢: ١ - ١٠).

الدرجة الثانية من النصائح: [٢: ١١ – ٤: ٦]:

جاءت تخص موقف المسيحيين في العالم (٢: ١١ و١٢):

(أ) وتتعرَّض للعلاقات بين المسيحيين ورؤسائهم المدنيين (٢: ١٣ – ١٧).

(ب) العلاقات التي تربط المدنيين معاً للحياة اليومية: نصائح للعبيد (١٨ – ٢٥) للطاعة لأسيادهم في صبر متشبِّهين بآلام المسيح، ونصائح للنساء ليخضعن لأزواجهنَّ في سيرة طاهرة مثل نساء العهد القديم القديسات وخاصة سارة (٣: ١ – ٦).

(ج) نصائح للأزواج لمعاملة الزوجات، نصائح من أجل اضطهاد العالم للكنيسة بعد أن حثَّهم على الوحدة والمحبة ليستطيعوا أن يقفوا أمام العالم المضطهِد لهم (٣: ٨) طائعين لمشيئة الله، متشبِّهين بالمسيح الذي من بعد الآلام دخل المجد (١٨ – ٢٢).

وأخيراً يذكِّر القديس بطرس بالدينونة الأخيرة التي سنجوزها أمام المسيح (٤: ١ – ٦).

الدرجة الثالثة من النصائح [٤: ٧ – ٥: ٩]:

وتختص بالحياة داخل الكنيسة والتذكرة باقتراب النهاية (٤: ٧).

وهو يحض على الصبر والمثابرة في الصلاة (٧)، المحبة الملتهبة نحو بعضهم البعض (٨)، وحسن الضيافة (٩)، واستخدام المواهب الروحية للخير (١٠ و١١)، والتشبُّه بالمسيح بأن يفرحوا في الضيقات (١٢-١٩)، ونصيحة للشيوخ أن يقودوا الكنيسة بالاستقامة وما ينتظرهم من جزاء (٥: ١ – ٤)، ثم يوصي الصغار بالخضوع للكبار (٥: ٥)، وأن يسهروا على أنفسهم تجاه مجاذبات العدو (٨ و٩).

وتنتهي الرسالة بالبركة والتمجيد لله (١٠ و١١).

الغرض من الرسالة:

كتبه القديس بطرس في الأصحاح الخامس من الرسالة:

+ «كتبتُ إليكم بكلمات قليلة واعظاً وشاهداً أن هذه هي نعمة الله الحقيقية التي فيها تقومون.» (١بط ٥: ١٢)

يُلاحَظ هنا أن القديس بطرس يضع الوعظ والشهادة معاً باتصال معاً.

أما العلَّة وراء إرسال هذه الرسالة الوعظية التي يشهد فيها للمسيح لهؤلاء المسيحيين المتغرِّبين في آسيا الصغرى فهي أنهم واقعون تحت اضطهاد شديد من طرف الوثنيين، والخطورة تحيط بهم، لهذا نجده

يتمادى في الحث على الصبر وعلى السلوك المسيحي المستقيم حتى لا يجدوا سبباً في تعييرهم بالمسيحية، وأن يكون اضطهادهم بلا سبب. مؤكّداً أن التألُّم من الاضطهاد هو بحد ذاته نعمة من الله.

لذلك نجد القديس بطرس في هذه الرسالة لا يخوض في الأمور اللاهوتية والعقائدية ولكن يقتصر على الوعظ والتشجيع والاحتمال والصبر.

لذلك يرى بعض الشُرَّاح أن هذه رسالة للتعزية يهدِّئ بها القرَّاء ويطيِّب خاطرهم خاصة من أجل إظهار تعيير الوثنيين أنه تعيير ليس في محله. ويحضهم أن لا يخافوا بسبب تهديدات وتخويفات هؤلاء الوثنيين حتى لا يظهروا أنهم غير واثقين من إيمانهم وصحة سلوكهم وخلاصهم.

لذلك يضع نفسه كشاهد لصدق الإيمان والخلاص والميراث المُعَد، وهو جدير بأن يحثَّهم على الصبر والسلوك المسيحي كرسول. ويؤكّد القديس بطرس قدرته على الوعظ بالإنجيل كرسول وشاهد. وفي نفس الوقت يثبِّت إيمانهم السابق الذي استلموه غالباً من بولس الرسول أو من الذين بشَّروهم سابقاً، لذلك هم محسوبون أنهم شركاء في نعمة الله: «وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه» (١يو ٥: ١١). كل هذا لكي يثبِّتهم في المسيح ويجنِّبهم الخوف من التهديدات أو الشكوك بسبب تعيير هؤلاء الوثنيين. لذلك يعرض لهم نفسه كرسول ليثقوا بإيمانهم الذي سبق ونالوه.

أسلوب الرسالة:

الصفة المميِّزة لهذه الرسالة هي ظهور القديس بطرس بصورة فريدة لم تكن معروفة سابقاً. فمسيحية القديس بطرس هي موازية تماماً لمسيحية بولس الرسول ولا تختلف عن مسيحية القديس يوحنا الرسول، سواء من جهة موضوع المسيحية أو الغرض منها. فمسيح القديس بطرس هو هو مسيح القديس بولس ومسيح القديس يوحنا. وفي نظر العالِم ماير فإن مسيحية القديس بطرس هي مدخل صحيح لمسيحية القديس بولس والقديس يوحنا.

ويهتم القديس بطرس أن يؤكّد أن يسوع المسيح وسفك دمه لم يكن أمراً مستحدثاً زمنياً بل كان معروفاً سابقاً من قبل إنشاء العالم!! وأن المسيح قد حقّق مقاصد الله الأزلية من جهة البشرية:

+ «بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح.» (١: ٢)
+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات.» (١: ٣)
+ «تزكية إيمانكم... توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١: ٧)

+ «الخلاص الذي فتَّش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبَّأوا عن النعمة التي لأجلكم.» (١: ١٠)
+ «الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسَل من السماء التي تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها.» (١: ١٢)
+ «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى ...» (١: ١٨)
+ «بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس: دم المسيح.» (١: ١٩)
+ «معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم.» (١: ٢٠)
+ «الذي إذ تأتون إليه حجراً حيًّا مرفوضاً من الناس ولكن مختارٌ من الله كريم.» (٢: ٤)
+ «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حيَّة بيتاً روحيًّا كهنوتاً مقدَّساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (٢: ٥)
+ «حجر زاوية مختاراً كريماً والذي يؤمن به لن يُخزَى.» (٢: ٦)
+ «فالحجر الذي رفضه البنَّاؤون هو قد صار رأس الزاوية.» (٢: ٧)
+ «وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أُمة مقدَّسة، شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (٢: ٩)
+ «الذين قبلاً لم تكونوا شعباً وأما الآن فأنتم شعب الله. الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون.» (٢: ١٠)
+ «لأنكم لهذا دُعيتم، فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتَّبعوا خطواته.» (٢: ٢١)
+ «الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه مكر.» (٢: ٢٢)
+ «الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألَّم لم يكن يُهدِّد بل كان يُسلِّم لَمَنْ يقضي بعدل.» (٢: ٢٣)
+ «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجَلدَته شُفيتم.» (٢: ٢٤)
+ «لأنكم كنتم كخراف ضالة لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها.» (٢: ٢٥)
+ «فإن المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة من أجل خطايانا، البار من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله، مُماتاً في الجسد ولكن مُحْيًى في الروح.» (٣: ١٨)
+ «الذي فيه أيضاً ذهب فكرَزَ للأرواح التي في السجن.» (٣: ١٩)
+ «... إذ كان الفُلكُ يُبنَى، الذي فيه خَلَصَ قليلون، أي ثماني أنفسٍ بالماء.» (٣: ٢٠)
+ «الذي مثاله يخلِّصنا نحن الآن أي المعمودية ... بقيامة يسوع المسيح.» (٣: ٢١)

+ «الذي هو في يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوَّات مُخضَعةٌ له.» (٣: ٢٢)
+ «فإنه لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح.» (٤: ٦)
+ «بل كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين.» (٤: ١٣)
+ «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم.» (٤: ١٤)
+ «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى.» (٥: ٤)
+ «وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعدما تألَّمتم يسيراً هو يكمِّلكم ويثبِّتكم ويقوِّيكم ويمكِّنكم.» (٥: ١٠)
+ «واعظاً وشاهداً أن هذه هي نعمة الله الحقيقية التي فيها تقومون.» (٥: ١٢)

والقديس بطرس يكشف، عَرَضاً، أن الله هو أبو ربنا يسوع المسيح أي يكشف الآب والابن في الله.

كما يتكلَّم بطرس الرسول في هذه الرسالة كلها عن المسيح باعتباره «الرب»، وهو اللقب الذي كان في العهد القديم مخصَّصاً لله.

وبطرس الرسول حينما يقول عن المسيح في رسالته: «**معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم** ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١بط ١: ٢٠)، فهو هنا يقدِّم لنا المسيح كعلَّة الوجود قبل الوجود.

ومن رسالة القديس بطرس الأُولى يتضح تعليم القديس بطرس من جهة الخلاص أن بموت المسيح وقيامته وإرسال روحه القدوس قد تمَّ الخلاص وسيكمل بمجيئه الثاني.

كما يؤكِّد القديس بطرس أن الإيمان بالمسيح هو شرط الشركة في الخلاص الذي تمَّ بواسطة المسيح (١: ٥ و٧ و٨ و٩ و٢١؛ ٢: ٧؛ ٥: ٩):

+ «أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير».
+ «لكي تكون تزكية إيمانكم ... توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح».
+ «... وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرحٍ لا يُنطق به ومجيد».
+ «نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس».
+ «أنتم الذين به تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات وأعطاه مجداً حتى إن إيمانكم ورجاءكم هما في الله».
+ «فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة ...».

+ «فقاوِموه راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتكم الذين في العالم».

الرجاء عند القديس بطرس:

ركّز القديس بطرس في رسالته على الرجاء لأنه يكتب لقوم واقعين تحت الاضطهاد والآلام، وقد ألقى بنظرة الإيمان إلى المستقبل حيث يكمل خلاصنا. ولكن لا يوجد ما يفرِّق القديس بطرس رسول الرجاء عن القديس بولس كرسول الإيمان، ولكن بينما القديس بولس يرى الرجاء جزءاً من الإيمان، نجد القديس بطرس يرى الإيمان هو خطوة مبدئية لندخل به إلى الرجاء.

وفي الحقيقة فالأساس الذي وضعه بولس الرسول هو أن الإيمان هو واسطة نوال الفداء، وأن الفداء من عقوبة الموت هو العمل المباشر لموت المسيح وأيضاً له قوَّة مباشرة كخلاص من الخطية، فحياة الفداء من الخطية تقوم أساساً على موت المسيح.

كذلك القديس بطرس يُفهم من قوله: «بمقتضى علم الله السابق في تقديس الروح **للطاعة ورش دم** يسوع المسيح» (١بط ١: ٢)، أن غفران الخطايا هو ناتج من واقع سفك دم المسيح.

وبينما يعتبر بولس الرسول أن الطاعة للمسيح هي ثمرة الإيمان، نجد بطرس الرسول في هذه الرسالة يرى الطاعة كعنصر أساسي في الإيمان ذاته. على أن اعتبار القديس بولس الطاعة أنها ثمرة الإيمان إنما يقوم أساساً على أن الطاعة موجودة في الإيمان.

وتوصف رسالة القديس بطرس الأولى أنها ليست بهدف التعليم، إلا أن بطرس الرسول يبدو في الرسالة أنه في حالة قلق على المسيحيين في آسيا الصغرى المتغرِّبين هناك تحت الاضطهاد. فهو ينصح ويحث على الاحتمال والصبر والإيمان والثقة والرجاء. وليس في الرسالة أية محاورات مثل رسائل بولس الرسول، ولا تأملات مثل رسائل القديس يوحنا.

وتمتاز رسالة القديس بطرس الأُولى بنقلها عن التعاليم في العهد القديم والقديسين الأوائل. والاستشهادات والإشارات إلى العهد القديم تتركّز في المواضع الآتية:

من رسالة القديس بطرس الرسول الأولى	الاقتباس من العهد القديم
١بط ١: ٧	أي ٢٣: ١٠
١بط ١: ٧	مز ٦٦: ١٠
١بط ١: ٧	أم ١٧: ٣

من رسالة القديس بطرس الرسول الأولى	الاقتباس من العهد القديم
١بط ١: ٧	إش ٤٨: ١٠
١بط ١: ٧	زك ١٣: ٩
١بط ١: ٧	مل ٣: ٣
١بط ١: ١١	مز ٢٢
١بط ١: ١١	إش ٥٣
١بط ١: ١٦	لا ١١: ٤٤ و٤٥
١بط ١: ١٦	لا ٢٠: ٧
١بط ١: ١٧	١أي ١٩: ٧
١بط ١: ١٧	مز ٢٨: ٤
١بط ١: ١٧	مز ٦٢: ١٢
١بط ١: ١٧	مز ٨٩: ٢٦
١بط ١: ١٧	أم ٢٤: ١٢
١بط ١: ١٧	إش ٥٩: ١٨
١بط ١: ١٧	إش ٦٤: ٨
١بط ١: ١٧	إر ٣: ١٩
١بط ١: ١٧	إر ١٧: ١٠
١بط ١: ١٧	سي ٢٣: ٤
١بط ١: ١٧	حك ١٤: ٣
١بط ١: ٢٣	دا ٦: ٢٦
١بط ٢: ٣	مز ٣٤: ٨
١بط ٢: ٤	مز ١١٨: ٢٢
١بط ٢: ٤	إش ٢٨: ١٦
١بط ٢: ٥	خر ١٩: ٦
١بط ٢: ٥	إش ٦١: ٦
١بط ٢: ٦	إش ٢٨: ١٦ سبعينية

من رسالة القديس بطرس الرسول الأولى	الاقتباس من العهد القديم
١بط ٢: ٧	مز ١١٨: ٢٢
١بط ٢: ٨	إش ٨: ١٤
١بط ٢: ٩	دا ٦: ٢٦
١بط ٢: ٩	تث ٤: ٢٠
١بط ٢: ٩	تث ٧: ٦
١بط ٢: ٩	تث ١٠: ١٥
١بط ٢: ٩	تث ١٤: ٢
١بط ٢: ٩	إش ٩: ٢
١بط ٢: ٩	إش ٤٢: ١٢
١بط ٢: ٩	إش ٦١: ٦
١بط ٢: ٩	أ – إش ٤٣: ٢٠ سبعينية
١بط ٢: ٩	ب – خر ١٩: ٦ سبعينية
١بط ٢: ٩	ج – إش ٤٣: ٢١ سبعينية
١بط ٢: ١٠	هو ١: ٦ و٩
١بط ٢: ١٠	هو ٢: ١
١بط ٢: ١٠	هو ٢: ٢٣
١بط ٢: ١١	مز ٣٩: ١٢
١بط ٢: ١٢	إش ١٠: ٣
١بط ٢: ١٧	أم ٢٤: ٢١
١بط ٢: ٢٣	إش ٥٣: ٧
١بط ٢: ٢٤	إش ٥٣: ٤
١بط ٢: ٢٤	إش ٥٣: ٥
١بط ٢: ٢٤	إش ٥٣: ١٢
١بط ٢: ٢٥	إش ٥٣: ٦
١بط ٢: ٢٥	حز ٣٤: ٥ و٦

من رسالة القديس بطرس الرسول الأولى	الاقتباس من العهد القديم
١بط ٣: ٦	تك ١٨: ١٢
١بط ٣: ١٤	إش ٨: ١٢
١بط ٣: ٢٠	تك ٦: ١
١بط ٣: ٢٠	تك ٢٤: ٧
١بط ٤: ٨	أم ١٠: ١٢
١بط ٤: ١٤	مز ٨٩: ٥٠ و٥١
١بط ٤: ١٤	إش ١١: ٢
١بط ٤: ١٧	إر ٢٥: ٢٩
١بط ٤: ١٧	حز ٩: ٦
١بط ٤: ١٨	أم ١١: ٣١ سبعينية
١بط ٥: ٥	أم ٣: ٣٤ سبعينية
١بط ٥: ٦	أم ٢٢: ٢٩
١بط ٥: ٧	مز ٥٨: ٢٢

ويكاد القارئ أن يحس بأن القديس بطرس يعيش العهد القديم ويتحرَّك فيه بسهولة ويؤكِّد مبادئه بلغة العهد القديم. وعندما يتكلَّم عن العهد الجديد وعن موت المسيح كأساس الخلاص فهو يعني في تأكيداته على العهد القديم ولغة العهد القديم ولكنه لا يتعرَّض أبداً للفرق بين العهد الجديد والعهد القديم. ولكن كل ما أتى عند القديس بولس هو متضمَّن في كل أفكار القديس بطرس الرسول دون الرجوع إليها. ولكن تمتاز الرسالة ككل بالروح المسيحية الخالصة كمُلْهَمة بالروح القدس، لا يبدو فيها أي إحساس بالانحصار اليهودي أو الناموسي.

ويصف القديس بطرس الكنيسة، أي المسيحيين، بأنهم جنس مختار (١بط ٢: ٩) دون الإشارة كبولس الرسول أنهم مجرَّد مطعَّمين على الزيتونة الأصلية (رو ١١: ١٧ و٢٤).

ويشدِّد القديس بطرس على أن المسيحيين يلزم أن يعيشوا حياة القداسة لا بمقتضى أي قانون ولكن بمقتضى حقيقة أن فداءَهم قد تمَّ بسفك دم المسيح، وأنهم وُلِدُوا ثانية من زرع لا يفنى «بكلمة الله»، التقديس لا يتم بالحرف بل بالروح. لذلك نعتبر أن لقب القديس بطرس أنه رسول الختان ليس دقيقاً.

ويتحقَّق ذلك من رسالته بأنه لم يذكر الختان قط ولم يكن له أي قيمة عند القديس بطرس كمسيحي أو من أجل المسيحيين.

وواضح أنه يؤكِّد أن المسيحية أعطت التكميل الحقيقي للعهد القديم، وهو يتوازى مع القديس يوحنا في أنه شاهد عيان شاهد وسمع للمسيح. وعندما يتكلَّم القديس بطرس عن آلام المسيح وأمجاده يتكلَّم عن خبرة ومشاهدة وإحساس مباشر. وهو يعيد كلمات المسيح بذاتها كمحقِّق وسامع وشاهد أمين كما جاءت في الأناجيل، وإليك هذا التوازي:

الرسالة الأولى للقديس بطرس الرسول	الأناجيل
(١: ٤): + «لميراث لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم».	**(مت ٢٥: ٣٤)**: + «ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مُباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم».
(١: ٨): + «الذي وإن لم تروه تحبونه. ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد».	**(يو ٢٠: ٢٠)**: + «ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه. ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب».
(١: ١٠ و١٢): + «الخلاص الذي فتَّش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبَّأوا عن النعمة التي لأجلكم ... الذين أُعلِن لهم أنهم ليسوا لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها الآن».	**(لو ١٠: ٢٤)**: + «لأني أقول لكم إن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا».
(١: ١٣): + «لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين. فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح».	**(لو ١٢: ٣٥)**: + «لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة».
(٢: ١٧): + «أكرموا الجميع أحبوا الإخوة خافوا الله أكرموا الملك».	**(مت ٢٢: ٢١)**: + «فقال لهم: أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

الرسالة الأولى للقديس بطرس الرسول	الأناجيل
(٣: ١٣ – ١٥): + «فمن يؤذيكم إن كنتم متمثِّلين بالخير. ولكن وإن تألَّمتم من أجل البر فطوباكم. وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا. بل قدِّسوا الرب الإله في قلوبكم مستعدين لمجاوبة كل مَنْ يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف».	**(مت ١٠: ٢٨):** + «ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها. بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم».
(٥: ١٠ و١١): + «وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعدما تألَّمتم يسيراً هو يكمِّلكم ويثبِّتكم ويقوِّيكم ويمكِّنكم. له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين». **(٤: ١٣ و١٤):** + «بل كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين، إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم».	**(مت ٥: ١٢):** + «افرحوا وتهلَّلوا لأن أجركم عظيم في السموات. فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم».
(٥: ٣): + «ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية».	**(مت ٢٠: ٢٥ و٢٦):** + «فدعاهم يسوع وقال أنتم تعلمون أن رؤساء الأُمم يسودونهم والعظماء يتسلَّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل مَنْ أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً».
(٥: ٦): + «فتواضعوا تحت يد الله القويَّة لكي يرفعكم في حينه».	**(مت ٢٣: ١٢):** + «فمَنْ يرفع نفسه يتضع، ومَنْ يضع نفسه يرتفع».

أخيراً، ولو أن العهد الجديد بأناجيله ورسائله تسود فيه نفس المبادئ والنصائح والتحذيرات بتعابير مختلفة، ولكن الصلة قوية بين رسائل بولس الرسول ورسائل القديس بطرس وأيضاً رسالة القديس يعقوب. يمكن أن نعتبر أن رسالتي بولس الرسول إلى روما وإلى أفسس لهما تأثير واضح في فكر بطرس الرسول.

فكثير من آيات أصحاحي ١٢ و١٣ من رسالة رومية نجد لها مثيلاً في رسالة القديس بطرس الأولى لا كنصوص ولكن كأفكار ومبادئ متفرِّقة:

رسالة القديس بطرس الرسول الأُولى	رسالة القديس بولس إلى أهل رومية
(٢: ٥): + «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حيَّة بيتاً روحيًّا كهنوتاً مقدَّساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح».	(١٢: ١): + «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدِّموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية».
(١: ١٤ و١٥): + «كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم. بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة».	(١٢: ٢): + «ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة».
(٤: ١٠ و١١): + «ليكن كل واحد بحسب ما أخذ من موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة، إن كان يتكلَّم أحد فكأقوال الله وإن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح الذي له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين».	(١٢: ٣ – ٨): + «فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل مَنْ هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقُّل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان. فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد، هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا. أنبوَّة فبالنسبة للإيمان. أم خدمة ففي الخدمة. أم المعلِّم ففي التعليم. أم الواعظ ففي الوعظ. المعطي فبسخاء المدبِّر فباجتهاد. الراحم فبسرور».

رسالة القديس بطرس الرسول الأُولى	رسالة القديس بولس إلى أهل رومية
(١: ٢٢): + «طهّروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء. فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدَّة».	(١٢: ٩): + «المحبة فلتكن بلا رياء. كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير».
(٢: ١٧): + «أكرموا الجميع. أحبوا الإخوة. خافوا الله. أكرموا الملك».	(١٢: ١٠): + «وادِّين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية. مقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة».
(٤: ٩): + «كونوا مضيفين بعضكم بعضاً بلا دمدمة».	(١٢: ١٣): + «مشتركين في احتياجات القديسين. عاكفين على إضافة الغرباء».
(٣: ٨ – ١٢): + «والنهاية كونوا جميعاً متحدي الرأي بحسٍّ واحد، ذوي محبة أخوية، مشفقين، لطفاء، غير مجازين عن شرٍّ بشرٍّ أو عن شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مُباركين، عالمين أنكم لهذا دُعيتم لكي ترثوا بركة. لأن مَنْ أراد أن يحب الحياة ويرى أياماً صالحة، فليكفُفْ لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلّما بالمكر، ليُعرض عن الشرِّ ويصنع الخيرَ، ليطلب السلام ويجدَّ في أثره. لأن عيني الرب على الأبرار، وأُذنيه إلى طلبتهم، ولكن وجه الرب ضدّ فاعلي الشرِّ».	(١٢: ١٤ – ١٩): + «باركوا على الذين يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا. فرحاً مع الفرحين وبُكاءً مع الباكين. مهتمين بعضكم لبعضٍ اهتماماً واحداً، غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين. لا تكونوا حكماء عند أنفسكم. لا تجازوا أحداً عن شرٍّ بشرٍّ. مُعتَنين بأمورٍ حسنة قدّام جميع الناس. إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس. لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب، لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب».
(٢: ١٣ – ١٥ و١٧ و١٨): + «فاخضعوا لكل ترتيبٍ بشريٍّ من أجل الرب. إن كان للملك فكمَنْ هو فوق الكل، أو للولاة فكمُرسَلين منه للانتقام من فاعلي الشرِّ، وللمدح	(١٣: ١ – ٧): + «لتخضع كل نفسٍ للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطانٌ إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتَّبةٌ من الله، حتى إن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب

رسالة القديس بطرس الرسول الأُولى	رسالة القديس بولس إلى أهل رومية
لفاعلي الخير. لأن هكذا هي مشيئة الله: أن تفعلوا الخيرَ فتُسَكِّتوا جهالة الناس الأغبياء ... أكرموا الجميع. أحبوا الإخوة. خافوا الله. أكرموا الملك. أيها الخُدَّام، كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة، ليس للصالحين المترفِّقين فقط، بل للعنفاء أيضاً».	الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإنَّ الحُكَّامَ ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ افعل الصلاح فيكون لكَ مدحٌ منه، لأنه خادم الله للصلاح! ولكن إن فعلت الشرَ فخَفْ، لأنه لا يحملُ السيف عبثاً، إذ هو خادمُ الله، منتقمٌ للغضب من الذي يفعل الشر. لذلك يلزم أن يُخضع له، ليس بسبب الغضب فقط، بل أيضاً بسبب الضمير. فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً، إذ هُم خُدَّام الله مواظبون على ذلك بعينه. فأعطوا الجميع حقوقهم: الجزية لَمَنْ له الجزية. الجباية لَمَنْ له الجباية. والخوف لَمَنْ له الخوفُ. والإكرامَ لَمَنْ له الإكرامُ».
(١: ٢١): + «أنتم الذين به تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات وأعطاه مجداً، حتى إن إيمانكم ورجاءكم هما في الله».	(٤: ٢٤): + «بل من أجلنا نحن أيضاً، الذين سيُحسب لنا، الذين نؤمن بمَنْ أقام يسوع ربنا من الأموات».
(٢: ٢٤): + «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبرِّ. الذي بجلدته شُفيتم».	(٤: ٢٥): + «الذي أُسلِمَ من أجل خطايانا وأُقيمَ لأجل تبريرنا».
(٣: ٢٢): + «الذي هو في يمين الله، إذ قد مضى إلى السماء، وملائكةٌ وسلاطينُ وقوَّاتٌ مُخضَعَةٌ له».	(٨: ٣٤): + «مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات، بل بالحريِّ قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله، الذي أيضاً يشفع فينا!».

رسالة القديس بطرس الرسول الأُولى	رسالة القديس بولس إلى أهل رومية
(٤: ١ و٢):	(٦: ٧ و٦):
+ «فإذ قد تألّم المسيح لأجلنا بالجسد، تسلّحوا أنتم أيضاً بهذه النيَّة. فإنَّ مَنْ تألّم في الجسد، كُفَّ عن الخطية، لكي لا يعيش أيضاً الزمان الباقي في الجسد، لشهوات الناس، بل لإرادة الله».	+ «لأن الذي مات قد تبرَّأ من الخطية». + «كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية».
(٥: ١):	(٨: ١٨):
+ «أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم، أنا الشيخ رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، وشريكَ المجدِ العتيد أن يُعلَن».	+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَنَ فينا».
(٢: ٦):	(٩: ٣٣):
+ «لذلك يُتَضمَّنُ أيضاً في الكتاب: هأنذا أضعُ في صهيون حَجَرَ زاويةٍ مُختاراً كريماً، والذي يؤمن به لَنْ يُخْزَى».	+ «كما هو مكتوبٌ: ها أنا أضعُ في صهيونَ حَجَرَ صدمَةٍ وصخرَةَ عثرةٍ، وكلُّ مَنْ يؤمن به لا يُخزَى». (١٠: ١١) + «لأن الكتاب يقول كل مَنْ يؤمن به لا يُخزى».

ونجد أيضاً التشابه شديداً بين رسالة القديس بطرس الأُولى ورسالة القديس بولس إلى أهل أفسس وإليك الأمثلة:

رسالة القديس بطرس الرسول الأُولى	رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس
(١: ١):	(١: ٤):
+ «بطرس رسول يسوع المسيح إلى المتغرِّبين من شتات ... المختارين».	+ «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة».
(١: ٥):	(١: ١٩):
+ «أنتم الذين بقوَّة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير».	+ «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدَّة قوَّته».

رسالة القديس بطرس الرسول الأُولى	رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس
(١: ١٤): + «كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم».	(٢: ٣): + «الذي نحن أيضاً جميعنا تصرَّفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً».
(١: ١٨): + «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلَّدتموها من الآباء».	(٤: ١٧): + «فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأُمم ببطل ذهنهم».
(٢: ٤ و٥): + «الذي إذ تأتون إليه حجراً حيًّا مرفوضاً من الناس ولكن مختار من الله كريم. كونوا أنتم أيضاً مبنيين حجارة حيَّة بيتاً روحيًّا كهنوتاً مقدَّساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح».	(٢: ٢٠ – ٢٢): + «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركَّباً معاً ينمو هيكلاً مقدَّساً في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح».
(٢: ١٨): + «أيها الخدَّام كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفِّقين فقط بل للعنفاء أيضاً».	(٦: ٥): + «أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح».
(٣: ١): + « كذلكن أيتها النساء كُنَّ خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يُربحون بسيرة النساء بدون كلمة».	(٥: ٢٢): + «أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب».
(٣: ١٨): + «فإن المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكي يقرِّبنا إلى الله مُماتاً في الجسد ولكن مُحْيًى في الروح».	(٢: ١٨): + «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب». (٣: ١٢): + «الذي به لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة».

رسالة القديس بطرس الرسول الأُولى	رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس
(٣: ٢٢): + «الذي هو في يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوّات مخضعة له».	(١: ٢٠ و٢١): + «الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوّة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً».
(٥: ٨ و٩): + «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتكم الذين في العالم».	(٦: ١٠ إلخ): + «أخيراً يا إخوتي تقوَّوْا في الرب وفي شدَّة قوَّته البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس ... لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمِّموا كل شيء أن تثبتوا».
(٤: ٥ و٦): + «الذين سوف يعطون حساباً للذي هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات، فإنه لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح». (٣: ١٩): + «الذين فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن».	(٤: ٨ – ١٠): + «لذلك يقول: إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات».

ولكن المساواة في الأفكار بين رسالة القديس بطرس الأُولى وبقية رسائل القديس بولس الرسول لا تشير إلى أن القديس بطرس قد أخذ عن القديس بولس أو أنه قد اعتمد عليه.

لأنه بالرغم من الانطباق الكامل بين القديس بطرس في رسالته الأُولى عن النساء: «ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من **ضفر الشعر**، والتحلِّي **بالذهب** ولبس **الثياب**» (١بط ٣: ٣)؛ مع رسالة بولس الرسول الأُولى إلى تيموثاوس: «كذلك أن النساء يزيِّن ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقُّل **لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن**» (١تي ٢: ٩)؛ ولكن لا تُحسب هذه إلا على سبيل المصادفة.

وأيضاً هناك تطابق لبعض أقوال القديس بطرس في رسالته الأُولى مع رسالة القديس يعقوب:

رسالة القديس بطرس الأُولى	رسالة القديس يعقوب
(١: ٦ و٧): + «الذي به تبتهجون مع أنكم الآن - إن كان يجب - تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة. لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يمتحن بالنار، توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح».	(١: ٢ و٣): + «احسبوه كل فرحٍ يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشئ صبراً».
(٥: ٥ - ٩): + «كذلك أيها الأحداث، اخضعوا للشيوخ وكونوا جميعاً خاضعين بعضكم لبعض. وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين. وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة. فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه، ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم. اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتكم الذين في العالم».	(٤: ٦ و٧ و١٠): + «لذلك يقول يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة. فاخضعوا لله، قاوموا إبليس فيهرب منكم». + «اتضعوا قدَّام الله فيرفعكم».

وقد اتفق العلماء أن هذه المساواة والمطابقات التي جاءت في رسالة القديس بطرس الأُولى مع رسائل القديس بولس الرسول أو رسالة يعقوب الرسول لا تُغيِّر الحقيقة أن رسالة القديس بطرس قائمة بذاتها، ولها هيبة الرسول الذي أملاها ولها أصالتها وجدَّتها.

واتفق العلماء أيضاً أن هذه التطابقات التي جاءت في رسالة القديس بطرس توضِّح أن المعارف الروحية واللاهوتية والإنجيلية كانت متشابهة ومتساوية بين الرسل لتقاربهم الشديد بعضهم من بعض، ولأن معلِّمهم واحد، والروح الذي يُملي عليهم أفكارهم واحد أيضاً، وهو يأخذ من المسيح ويخبرهم حسب وعد

المسيح. فمعروف أن التقليد الرسولي والكنسي الأول كان شائعاً ومتطابقاً في معظم الأفكار والمبادئ.

وأخيراً يلزم أن يعرف القارئ أن في كثير من المواضع في اللغة اليونانية تأتي الكلمات متطابقة ولكن تختلف في الترجمة العربية من رسالة إلى أخرى فلا يظهر التطابق واضحاً.

لَمَنْ أُرسلت هذه الرسالة:

واضح أن هذه الرسالة مُرسلة إلى المسيحيين في أسيا الصغرى وعلى الأخص المذكورين في المقاطعات بُنْتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا (التي تحت الولاية الرومانية) وبيثينية وهي المناطق التي كان قد بشَّرها القديس بولس الرسول ورفقاؤه، وذلك من واقع رسائله وما جاء في سفر الأعمال، حيث أسَّس الكنائس هناك ووعظ بالبشارة المفرحة. والرأي السائد أن معظم هؤلاء المسيحيين كان من اليهود المتنصِّرين، وذلك حسب المؤرِّخ يوسابيوس وديديموس الإسكندري وإبيفانيوس وإيرونيموس وإيكومنيوس وثاؤفيلاكتس، وحتى بين المؤرِّخين المحدثين: إيرازموس وكالفن وجروتيوس وبنجل وأغوسطي وهوج وآخرين وذلك حسب سرد العالم ماير.

ويرى هؤلاء العلماء أن القديس بطرس يعتبر أن جسم الكنيسة الأساسي هناك كان مكوَّناً من اليهود المتنصِّرين، ثم دخل عليهم فيما بعد المتنصِّرون من الأُمم. ولكن القديس بطرس كان يخاطب اليهود المتنصِّرين فقط وذلك حسب رأي هؤلاء العلماء. وأصل اليهود المتنصِّرين بدأ من بعد يوم الخمسين، بواسطة اليهود الذين كانوا حاضرين في أُورشليم وقت حلول الروح القدس، ولو أنه ليس في التاريخ ما يثبت ذلك. كما كان من المعروف أن القديس بولس لَمَّا بشَّر كنائس أسيا الصغرى لم يكن هناك ما يبني عليه، فلم تكن إذن المسيحية قد انتشرت في هذه الأقاليم.

ولكن العالِم "ماير" يؤكِّد أن رسالة القديس بطرس الرسول إلى بلاد أسيا الصغرى يتضح منها أنه يخاطب الأُمم الذين قد تنصَّروا سابقاً. ويسند هذا الرأي أن الاضطهاد الذي كان يعانيه مسيحيو هذه المناطق كان من طرف الوثنيين المستوطنين هناك. ويكشف هذا الاضطهاد أن الوثنيين لم يكونوا يعتبرون المسيحيين أنهم من أصل يهودي، كما أن القائمين بالتعليم المسيحي لم يكونوا من أصل يهودي.

وقد أكَّد كثير من المؤرِّخين القدامى وعلى رأسهم القديس وأغسطين في (Contra Faustum xiii. 89) وكاسيودوروس (De Instit. Dir. Lit. p. 56)، وأخيراً يتفق معهم لوثر ودتشطين، وحديثاً: سينجر، ده وت، بروكر، مايرهوف، ايسنجر، شوت، هوفمان، كذلك نياندر، رويس وشاف

وبليسك وآخرون؛ كلهم يتفقون أن القديس بطرس قد كتب رسالته لمسيحيي الأُمم في أسيا الصغرى، حيث كانت الاضطهادات منحصرة في التعيير بالمبادئ والشتيمة. ولكن لا يتضح أنه كانت هناك عقوبات أو تعديات جسدية أو سوء معاملات، ولكنها كانت مناظرات: «ولكم ضمير صالح، لكي يكون الذين يشتمون سيرتكم الصالحة في المسيح يخزون في ما يفترون عليكم كفاعلي شر ... بل قدِّسوا الرب الإله في قلوبكم، مستعدين دائماً لمجاوبة كل مَنْ يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف.» (١بط ٣: ١٦ و١٥)

ولا يُعتقد أنهم قد تلقَّوا اضطهادات من روما، لأن اضطهادات الإمبراطور نيرون كانت مقصورة على روما فقط. كما لا يتضح من رسالة القديس بطرس أية اضطرابات قد أصابت الكنيسة ولا تعديات من الهراطقة أو من اليهود أو من المسيحيين اليهود.

علماً بأنه لا توجد في الرسالة أي إشارة تثبت أن القديس بطرس كانت تربطه بهذه الكنائس أي صلة شخصية.

مكان كتابة الرسالة:

لا توجد إلا إشارة واحدة إلى الموضع الذي كتب فيه القديس بطرس رسالته وهي في (١بط ٥: ١٣) على أنها «بابل». على أن القديس بطرس قد أرسل تحياته إلى الكنائس ككل ولكنه ذكر زوجته (كنيسة) المختارة التي في بابل معه، يقصد بها كشف الصلة الحميمة بين المسيحيين بعضهم مع بعض ولو أن كلهم كانوا متغرِّبين. أما كلمة «بابل» فلا تتناسب مع بابل القديمة. وفي رأينا الخاص أنها ليست روما بل القاهرة القديمة حيث كان اليهود متجمعين في حصن بابلون منذ القدم. وبالفحص التاريخي الدقيق وجدنا كلمة «بابل» على حصن بابل بمصر القديمة الذي كان من زمن بعيد، خاصة وأن القديس مرقس كان معه وهو قد زار مصر عدَّة مرات لأن موطنه الأصلي كان ليبيا وكان يسافر من ليبيا إلى مصر عن طريق الساحل. وقد انتشرت المسيحية في مصر منذ يوم الخمسين من قِبَل اليهود الذين حضروا يوم الخمسين في أُورشليم وعادوا إلى مصر ومعهم البشارة المجيدة - على أساس أن يعقوب الرسول هو الذي كان يرأسهم، لذلك سُمِّي أقباط مصر الأوائل باليعقوبيين، وذلك قبل زيارة القديس مرقس لمصر وتأسيس كنيسة الإسكندرية.

زمن كتابة الرسالة:

وهنا ينبغي أن نراعي **أولاً** أن الرسالة مُرسلة إلى كنائس كان قد أسَّسها بولس الرسول. **وثانياً**:

معرفة القديس بطرس الواضحة برسالة القديس بولس إلى أهل أفسس في آسيا الصغرى. على أن رسالة أفسس كتبها القديس بولس وهو أسير في روما (ربما في أواخر سجنه هناك). ولكن يعتقد العالِم ماير أن رسالة بطرس الرسول قد أُرسلت بعد سجن القديس بولس في روما (لمدّة سنتين). ويعتقد المؤرِّخ هوفمان والمؤرِّخ إيوالد أن رسالة القديس بطرس قد كُتبت بعد تحرير القديس بولس من سجن روما.

ولكن على حسب ما يعتقده العلماء المحدثون أن القديس بطرس قد كتب رسالته إلى كنائس آسيا الصغرى بعد استشهاد بولس الرسول لأن القديس بطرس لم يذكر أعمال القديس بولس بالمرَّة.

ولذلك ينبغي أن يعطى تاريخ رسالة بطرس الرسول إلى أواخر أيامه، في بكور سنة ٦٦م. وهذا يؤكِّده كل من العلماء: رويس وبليك وويسنجر وشوت. هذا من جهة أن القديس بطرس قد استشهد أيام نيرون حوالي سنة ٦٧م. على أن القديس بولس يكون قد استشهد بعد ثورة روما وحريقها سنة ٦٤م.

قانونية الرسالة:

رسالة بطرس الرسول الأُولى واحدة من كتابات العهد الجديد، وقانونية الرسالة مثبتة منذ قديم الزمن - والقديس بوليكاربوس اقتبس من هذه الرسالة، وهذا يؤكِّده ما قاله المؤرِّخ يوسابيوس (تاريخ الكنيسة ٤، ١٤: ٩)، كذلك استشهد بها بابياس وأوريجانوس وكبريانوس، فقد كتبوا اقتباسات منها مع اعتراف مباشر أنها من رسالة القديس بطرس الأُولى بالاسم! ولم يكن هناك منذ القديم أي شك في صحتها وصحة نسبها إلى كاتبها القديس بطرس الرسول. ورسالة القديس بطرس الأُولى موجودة في النسخة السريانية للعهد الجديد (البشيتو).

وإن كان قد قام بعض المؤرِّخين ليشكِّكوا في قانونيتها ولكن أول رفض لقانونيتها كان من مدرسة طوبنجن الألمانية كالمعتاد. فهي تشكك في رسوليتها وحتى في زمن كتابتها.

وقد تبارى المؤرِّخون الإيجابيون في تأكيد قانونيتها ورسوليتها وزمانها من محتوى الرسالة، فهي تنطق بالرسولية ولها هيبة رسول تليق ببطرس الرسول والمبادئ الإيمانية تنطق بصحة الرسالة.

وقد استعنت في كتابي هذا: "شرح رسالة القديس بطرس الرسول الأُولى"، بالمؤلِّف العالمي الألماني ليونارد جوبلت المعروف أنه يُحسب من أوائل المقتدرين على شرح الإنجيل وقد اعتبر شرحه لرسالة القديس بطرس الرسول الأُولى أنه من الدرجة الأُولى في الشرح والتعليق. وجوبلت كشارح ولاهوتي اعتُبِر في هذا الكتاب لشرح رسالة القديس بطرس الأُولى من أعظم الشارحين واللاهوتيين، وقد كرَّس

أيامه الأخيرة لهذا الكتاب:

A Commentary on 1st Peter: Leonhardt Goppelt.

وقد استعان هذا المؤلِّف بشروحات الآباء الأوَّلين ومنهم:
كليمندس الإسكندري، أمونيوس الإسكندري، ديديموس الإسكندري، يوحنا ذهبي الفم، جيروم، كيرلس الإسكندري، كاسيودوروس، ديونيسيوس، ابن الصليبي.

ويقول جوبلت في المقدِّمة إن القديس بطرس هو واحد من الثلاثة الأعمدة في الكنيسة الأُولى (غل ٢: ٩)، وهو أول مَنْ ظهر له الرب بعد القيامة، لذلك صار المتقدِّم في الكنيسة الأُولى وأول التلاميذ، ولكنه ترك هذا الوضع عندما ترك أُورشليم بعد أن أخرجه الملاك من السجن حوالي سنة ٤٢ ميلادية، وتولَّى بعده يعقوب الرسول أخو الرب (أع ١٢: ١٧)، (غل ٢: ١٢). وهو أول مَنْ تعرَّف على يسوع أنه هو المسيح "المسيَّا".

والقديس مت الرسول حوالي سنة ٨٠م. سلَّط الضوء على بطرس الرسول حينما ذكر هذا الاعتراف في إنجيله (مت ١٦: ١٥ - ١٨). وهكذا أصبح القديس بطرس الرسول الأوَّل بين التلاميذ ورمز الكنيسة الأُولى كلها. وهو الذي أبرز كنيسة فلسطين إلى الوجود في أُورشليم وكان رمزها الأوَّل.

وحوالي سنة ٩٠م. ذكر القديس يوحنا في إنجيله (يو ٢١: ١٥ - ٢٤) بطرس الرسول. وفي نفس الموضوع سمَّى نفسه بالتلميذ المحبوب كونه كان يحب الرب.

وبحسب التقليد المؤكَّد يُعتبر القديس بطرس هو الممثل لأقدم تقليد مأخوذ من المسيح.

ويؤكِّد هذا المؤلف الألماني بعد البحث فيما يزيد عن ٢٠٠ مؤلِّف أن بطرس الرسول لم تطأ قدماه روما، وهو غير مذكور نهائياً في رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية - ويذكر القديس كليمندس الروماني في رسالته أن بطرس الرسول بسبب غيرته تجرَّب بتجارب متنوعة وذهب ليلبس إكليل المجد (رسالة كليمندس الأُولى: ٥).

وفي رأيي أن بطرس الرسول إن كان قد دُعي للشهادة والصلب منكساً في روما أيام نيرون فيكون استدعاؤه على عجل بسبب الشهادات المرفوعة ضدَّه من الولاة في أسيا الصغرى، وقد صُلب فعلاً في روما مُنكَّساً حسب طلبه.

شرح الرسالة

الأصحاح الأول

الأصحاح الأول

١: ١ و٢ «بُطْرُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى (المختارين)[١] الْمُتَغَرِّبِينَ مِنْ شَتَاتِ بُنْتُسَ وَغَلاَطِيَّةَ وَكَبَدُوكِيَّةَ وَأَسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ: لِتُكْثَرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ».

هنا بطرس الرسول يستخدم اسمه الذي أخذه من الرب «كيفا» أي الصخرة، سمعان بطرس (الصخرة) وهو يعتز باللقب: «سمعان الذي يُقال له بطرس» (مت ٤: ١٨). ويبدو أن الاسم كان معروفاً لدى مسيحيي أسيا الصغرى، ولو أنه لم يشترك في رحلات أسيا الصغرى.

والمُرسَل إليهم يخاطبهم القديس بطرس باعتبارهم المختارين المتغرِّبين (الذين يعيشون) في الشتات.

فالقديس بطرس هنا يذكر أولاً «المختارين» لكي يضع في قلوب المسيحيين هناك موقعهم من الله أولاً كمختارين، وقد توسَّع في وصفهم كمختارين واصفاً إيَّاهم كجنس مختار في المسيح يسوع: «وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي، أُمة مقدَّسة شعب اقتناء (أي ورثة).» (١بط ٢: ٩)

فهنا يستعلن إسرائيل الجديدة، فالاختيار سبق منذ الأزل. والميراث ليس كنعان بعد، ولكن ملكوت السموات، ميراث أبدي يوصف بأوصاف تفصح أنهم مدعوو الله لميراث السموات. فالقديس بطرس وإن دعاهم «متغرِّبين» فهم متغرِّبون عن وطنهم السمائي الأبدي، وإن كانوا «غرباء» في العالم فهم في علم الله السابق على تأسيس العالم مدعوو الله للتقديس بالروح ورشِّ دم عهد جديد ليصيروا به أبناء الله الحي.

وبولس الرسول ينفي أن نكون غرباء أو نزلاء بوضوح: «فلستم إذاً بعد غرباء ونُزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف ٢: ١٩)

وليعلم القارئ يقيناً أن هذه الأعمال التي سبق الله قبل تأسيس العالم في وضع أُسُسها هي غير متوقفة أو مربوطة بالإنسان أو القدرات الإنسانية التي خضعت للخطية واستعبدت للعدو وفقدت حريتها واتصالها بالله؛ بل هي أعمال إلهية قوية وثابتة ودائمة، أزلية لحساب الإنسان الجديد الذي دبَّر الله له وجوداً. وخلقة جديدة ذات قداسة داخلة في عهد جديد مع الله؛ بل هي تأتي متركزة ومحورية

---

(١) كلمة "المختارين" تأتي هكذا في بداية الآية في الأصل اليوناني.

قائمة على اختيار الله السابق وقصده الأزلي كما يقول القديس بولس الرسول: «لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية» (٢تي ١: ٩)، والتي قام الله بتأسيسها بنفسه لحساب الإنسان. لهذا لم يعد يُطلب من الإنسان أن يقدِّم ذبيحة أو ختاناً أو أن يخضع لناموس. ولكن كل ما يُطلب من الإنسان هو أن يؤمن ويقبل هذه النعمة ويسير ويتصرَّف كما يليق بها: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١بط ١: ١٦). حتى إن كل ما عرفه وقاله الأنبياء قديماً قد صار لنا بواسطة الروح القدس أموراً تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها. وهو يحثُّهم ويتوسَّل إليهم ويأمرهم أمراً كرسول المسيح: «فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم ...» (١بط ١: ١٣)

خاتمة فاتحة الرسالة:

«لتكثر لكم النعمة والسلام»:

هنا «**النعمة**» مهداة هدية من قِبَلِ الله بواسطة رسول يسوع المسيح، وهي تختص بكل عطايا المسيح الجديدة الموهوبة لجنس البشر الجديد ليصيروا بها لائقين لميراث السماء مع الله والابن يسوع المسيح، وقابلين للحياة الأبدية بلا عثرة محفوظين من شر العالم لنصيبهم المعدّ. فهي نعمة الله الآب ونعمة الابن الوحيد ونعمة الروح القدس التي تؤهِّل الإنسان الجديد للشركة مع الله بلياقة كاملة تتناسب مع الله.

أما «**السلام**» فيطلبه القديس بطرس كرسول عائش فيه ومتكاثر له، لكي يعطيه عِوَضَ اللعنة التي أصابت الإنسان والأرض والتي ألغى أثرها الابن الوحيد يوم وُلِدَ في بيت لحم وهتفت جند السماء بالمجد لله في الأعالي والسلام على الأرض والمسرَّة للإنسان. فقد صار السلام بعد ذلك مرافقاً للإيمان بالمسيح وخدمة المسيح ودعوة المسيح «وأي بيتٍ دخلتموه قولوا أولاً: سلامٌ لهذا البيت.» (لو ١٠: ٥)

هنا عطية السلام المتكاثر لمسيحيي أسيا الصغرى وأقاليمها هي الدواء والعزاء السمائي مقابل مرارة الغربة وصعوبة الاضطهاد والآلام.

علماً بأن بطرس الرسول عندما يعطي السلام يحل السلام في الحال على أبناء الطاعة ويشعرون به ويعيشون فيه لأنه عطية مهداة من السماء منبع السلام، ولهذا أُعطي القديس بطرس مفاتيح ملكوت السموات لكي يعطي من دسمها لكل مَنْ يشاء ويَقْبل.

كيف وفَّق القديس بطرس بين "المختارين" و"الغرباء" بالنسبة لمسيحيي أسيا الصغرى؟

هذان الاصطلاحان يختصان في العهد القديم بالإسرائيليين سواء القديسين القدامى أو البطاركة

الأوَّلين أو بقية إسرائيل: «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدَّقوها وحيَّوْها، وأقرُّوا بأنهم **غرباء** ونُزلاء على الأرض» (عب ١١: ١٣). وفي سفر الأعمال نجد موضعاً واحداً فقط ربط فيه سفر الأعمال بين الاختيار والغُربة بالنسبة لبني إسرائيل: «إله شعب إسرائيل هذا **اختار** آباءنا ورفع الشعب في **الغربة** في أرض مصر» (أع ١٣: ١٧). ولكن الذي يميِّز الاصطلاح الذي استخدمه بطرس الرسول بين الغربة والاختيار هو تأكيده على ميراثهم السمائي المحفوظ لهم، وهذا يؤكِّد الاختيار ويلغي أثر الغُربة من نفوسهم (١بط ١: ٤)، بعكس سفر الأعمال. فالغُربة لإبراهيم كانت محكومة بعدم ميراث: «ولم يعطه فيها ميراثاً ولا وطأة قدم» (أع ٧: ٥). ولكن الذي لم يذكره القديس بطرس هو أن ميراث أرض الموعد الذي لم يتحقَّق أبداً كان مجرَّد رمز لميراث المدينة السماوية التي لها الأساسات: أُورشليم السماوية (عب ١٢: ٢٢؛ ١٣: ١٤).

والقديس بطرس يستعير "الاختيار" من العهد القديم ويجعله اختياراً حقيقياً لشعب الله، ويصف اليهود المؤمنين بالمسيح بأنهم لم يكونوا شعباً لله بالحقيقة ولكن بالاسم ولا كانوا مرحومين: «الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأما الآن فأنتم شعب الله. الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون.» (١بط ٢: ١٠)

والربط بين الاختيار والميراث عند القديس بطرس هام جدًّا، لأن الاختيار مبني فعلاً على الميراث العتيد أن يكون، على أساس أن الابن الحقيقي هو الذي يرث أباه: «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا مشيئة رجل بل من الله.» (يو ١: ١٢ و١٣)

أما ربط القديس بطرس بين «**تقديس الروح للطاعة**» و«**رش دم يسوع المسيح**» فهو محور وجوهر عملية المعمودية «**بدم يسوع المسيح**»، فيكون القديس بطرس قد جعل المعمودية مدخلاً للمسيحية أو بحسب بولس الرسول: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧) وبالتالي وُلدوا جديداً لله، التي استطرد فيها القديس بطرس بعد ذلك.

أما «رش الدم» فهو طقس الدخول في العهد، وهو اصطلاح المعمودية برش الدم أي الاشتراك في صليب المسيح وموته. وقد ذكرها سفر العبرانيين هكذا: «لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان **مرشوشة قلوبنا** (معمودية برش الدم) من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي» (عب ١٠: ٢٢)، حيث نَذْرُ المعمودية هو «الطاعة» (١بط ١: ١٤ و٢٢). أما رشُّ القلب بدم المسيح فقد سبق سفر العبرانيين أن

أوضحه: «إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عِجْلَة **مرشوش** على المنجَّسين يقدِّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون **دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم** من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (عب ٩: ١٣ و١٤). ويربطها سفر العبرانيين **بالميراث الأبدي** بصورة مبدعة هي صورة مكبَّرة من مقدِّمة رسالة بطرس الرسول:

+ «ولأجل هذا هو (المسيح) وسيطُ عهد جديد، لكي يكون **المدعوون** (الاختيار) - إذ صار موتٌ لفداء التعديات التي في العهد الأول - ينالون وعد الميراث الأبدي.» (عب ٩: ١٥)

ويأخذها القديس بطرس ويذكرها في (١بط ٣: ٢١):

+ «الذي مثاله يخلِّصنا نحن الآن، أي المعمودية، لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال **ضمير صالح** عن الله بقيامة يسوع المسيح».

وبطرس الرسول يعود في نفس الأصحاح من الرسالة الأُولى ويوضِّح أن الاختيار الذي تمَّ بمقتضى علم الله السابق قد أُكمل لهم بواسطة الطاعة وتقديس الروح برش دم يسوع المسيح (العهد الجديد) للتقديس هكذا:

+ «كأولاد **الطاعة** ... بظير القدوس الذي **دعاكم** (الاختيار) كونوا أنتم أيضاً **قديسين** ... لأني أنا قدوس.» (١بط ١: ١٤ و١٥)

الميلاد الجديد:

وَلَدَنا ثانية حسب غنى رحمة الله لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات:

١: ٣ «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ».

هنا نجد مباركة الله المذكورة في العهد القديم blessed و be Praised، ولكن نجدها هنا في العهد الجديد تُستخدم فقط بهذه المعاني الروحية وأكثر وتخص الله، ومجرَّد نُطْقها يعبِّر في المسيحية عن الإيمان بالله.

ولكن في العهد الجديد مباركة الله ليست بصفته إله إسرائيل ولكن بصفته أبا ربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح. ونجدها بنطقها القديم في إنجيل القديس لوقا على فم زكريا الكاهن أبي يوحنا المعمدان هكذا:

+ «مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه.» (لو ١: ٦٨)

ونجدها في العهد الجديد في (٢كو ١: ٣)، (أف ١: ٣)، وهي في العهد الجديد عموماً مأخوذة من

الليتورجية بلغتها القديمة، وكانت تستخدم كصلاة معبِّرة عن الله أنه الآن أظهر نفسه في وضعه الاستعلاني، ليس بعد في تعامله مع إسرائيل واختيارها، ولكن بإرساله ابنه الوحيد يسوع المسيح. وهذا يبلور الإيمان المسيحي، ويذكر ذلك القديس بطرس في (١بط ١: ٢١) هكذا:

+ «أنتم الذين **به** تؤمنون **بالله** الذي أقامه من الأموات وأعطاه مجداً، **حتى إن إيمانكم ورجاءكم هما في الله**».

وهكذا هنا في الآية (١: ٣) آية البركة والتسبيح كونها تبدأ **بمباركة الله أبو ربنا يسوع المسيح**: فهي آية إيمان متهلل فيما يختص بالخلاص الذي تمَّ لنا في صورة ميلاد جديد أو خليقة جديدة كوجود مسيحي مربوط بالله الآب والابن، قائم على رحمة الله، باعتبار أنه بحسب غِنَى رحمة الله الكثيرة وُجدت بشرية ذات كيان جديد.

الميلاد الجديد:

«**وَلَدَنا ثانية**»:

نجد القديس بطرس يعود في الآية (١: ٢٣) ويوضِّح كيف يتم الميلاد الثاني: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى (إخصاب الذكر للأُنثى لتتم الولادة)، بل مما لا يفنى **بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد**».

فبكلمة الله تمَّت خلقة الإنسان الأُولى من تراب الأرض ونفخه نسمةً في أنفه فصار آدم خليقة حيَّة ترابية. ولكن هنا يشير القديس بطرس أنه بكلمة الله الحية، وهي إشارة بليغة ليسوع المسيح كلمة الله بحسب توصيف القديس يوحنا الرسول: «في البدء **كان الكلمة ... وكان الكلمة الله ... والكلمة صار جسداً**.» (يو ١: ١ و١٤)

بمعنى أن يسوع المسيح الكلمة المتجسِّد ولدنا ثانية في نفسه (في ذاته) بقيامته من الأموات، لأنه قام من الأموات في اليوم الثالث بجسده الذي مات وجروحه عليه، قام هو هو في حياة جديدة ثانية أبدية. ولكن ليس بعد من كيان ترابي مثل باقي الناس لأنه لم يولد بجسد من تراب الأرض بل بجسد من الروح القدس والعذراء القديسة مريم. فهو القدوس ابن الله بحسب بشارة الملاك للعذراء. هنا القيامة من الأموات حُسبت لحساب الإنسان ولادة جديدة لخليقة جديدة ليست بعد من تراب الأرض ولكن من السماء من فوق.

ولكي يحقِّق المسيح أن قيامته ليست بعد أرضية بشرية قديمة ولكنها قيامة مؤهَّلة للصعود للسماء، قال لمريم المجدلية التي أرادت أن تمسكه: «قال لها يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن

اذهبي إلى إخوتي (الرسل القديسين) وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.» (يو ٢٠: ١٧)

هنا أول وأعظم إشارة لاهوتية إلى أن الله أبا ربنا يسوع المسيح وإلهه بحسب الجسد صار أباً للرسل وأباً للبشرية المؤمنة به كلها، كما صار إلهاً لنا جميعاً. وبالتالي اعتبر المسيح نفسه أخاً للرسل (ولنا). فإن صار المسيح أخاً لنا ونحن إخوة له فقد صرنا وارثين ميراثه في الله كما يقول القديس بولس الرسول (رو ٨: ١٧).

فهنا نعود إلى الميلاد الثاني بقيامة يسوع المسيح من الأموات، كما تقول رسالة القديس بطرس الأُولى، فنجده قد أصبح رجاءً حيًّا لنا أننا صاعدون ووارثون مع المسيح، وكما جاء في الآية (١: ٤) لميراث لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلنا.

أصل الولادة الثانية:

أول مَنْ قال بالميلاد الثاني أو الميلاد الجديد هو السيد المسيح نفسه كما جاء في إنجيل القديس يوحنا:

+ «أجاب يسوع وقال له الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق (ثانية – من جديد) لا يقدر أن يرى ملكوت الله.» (يو ٣: ٣)

γεννηθῇ ἄνωθεν - born anew (or from above).

+ «أجاب يسوع الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.» (يو ٣: ٥)

γεννηθῇ ἐξ ὕδατος καὶ πνεύματος - born of water and Spirit

+ **في الشهادة الأولى:** يقول المسيح لنيقوديموس إن كان أحد لا يولد ثانية (جديداً) لا يقدر أن يرى الملكوت، هنا الرؤيا فيما يخص الملكوت تعني أن يدركها. وهذا حق لأن ملكوت السموات وهي فوق، فالذي ولادته أو كيانه الجديد من فوق يرى ويدرك ما فوق.

+ **في الشهادة الثانية:** يقول السيد المسيح مفسِّراً بطريقة عملية كيفية الولادة من فوق: هنا يذكر المعمودية من الماء والروح – لأن في المعمودية كما يقول القديس بولس الرسول: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧). والمعنى واضح أن المعمودية تعطينا سرًّا أن نعيش في المسيح، هذا هو لِبْس المسيح، أي حياة في المسيح. ويعود المسيح ويشرح: «أنتم فيَّ وأنا

فيكم» (يو ١٤: ٢٠). ويوضِّحها بولس الرسول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). هذا هو عمل المعمودية بالماء والروح، فهي تؤهِّلنا أن نولد من فوق أي نأخذ لنا حياة جديدة من فوق، خلقة جديدة من فوق.

وبطرس الرسول يؤكِّد أن هذا الميلاد الثاني الذي حصلنا عليه بقيامة يسوع المسيح من الأموات هو **«حسب رحمته الكثيرة»**.

هذا التعبير نفسه نسمعه في الرسالة إلى تيطس: «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني (المعمودية) وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا. حتى إذا تبرَّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية» (تي ٣: ٥ - ٧). ولكنها تأتي في رسالة القديس يعقوب مختصرة هكذا:

+ «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه.» (يع ١: ١٨)

هذه الولادة الثانية يعبِّر عنها ق. يوحنا في إنجيله بأنهم «وُلِدُوا من الله.» (يو ١: ١٣)

ويعود القديس يوحنا في رسالته الأُولى ليوضِّح الولادة في المسيح هكذا: «إن علمتم أنه بارٌ هو فاعلموا أن كل مَنْ يصنع البر مولود منه» (١يو ٢: ٢٩). ويكرِّر هذا المعنى أيضاً: «كل مَنْ هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زَرْعَه (الكلمة) يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله.» (١يو ٣: ٩)

+ «كل منْ يُحب فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله.» (١يو ٤: ٧)

+ «كل مَنْ يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِدَ من الله. وكل مَنْ يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً.» (١يو ٥: ١)

+ «كل مَنْ وُلِدَ من الله لا يخطئ بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسُّه.» (١يو ٥: ١٨)

ويعلِّق على ذلك بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية قائلاً:

+ «ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا، الآب.» (غل ٤: ٦)

+ «أما نحن أيها الإخوة فنظير إسحق أولاد الموعد.» (غل ٤: ٢٨)

هذا الميلاد الجديد هو ليس بمفهوم تاريخي ولا هو تأمل فوق العادة ولا هو خبرة اختبارية، ولكن الميلاد الجديد بحسب المسيح ولادة حقيقية من فوق يتبنَّاها الله بنفسه في شخص يسوع المسيح، فهي بحسب رحمته الكثيرة ومحبته للبشرية الساقطة التي آمنت به وبالابن المُرسَل لخلاصهم كما يراها القديس يوحنا:

«فأعطاهم **سلطاناً** (ἐξουσίαν = قوة إلهية) أن يصيروا أولاد الله (مولودين من الله).» (يو ١: ١٢)

وهكذا ينتقل القديس بطرس بعد ذكره الميلاد الثاني حسب رحمة الله الكثيرة ليدخل في صميم الحياة الجديدة كجوهرها الفعَّال «**لرجاء حيّ**». وما هو الرجاء الحيّ الفعَّال في الحياة الجديدة للميلاد الثاني إلا الميراث السماوي، فهو تحقيق واستعلان الخلاص الحادث في الميلاد الثاني.

وعلاقة الرجاء الحي بالميراث المعدّ والمحفوظ علاقة حيَّة، فكل منهما قوة الله، بمعنى أن الميراث حيّ متصل بالرجاء أي بمن يستقبله والرجاء الحيّ متصل بالميراث. وكأن الميراث في الدور العاشر والرجاء في الدور الأول وبينهما مصعد (أسانسير) وليس هو سلماً مصنوعاً باليد ولكن (أسانسير) من عمل الملائكة، عندما يحين الميعاد يصعد مباشرة بالذي عنده هذا الرجاء.

والرجاء الحي والميلاد الثاني من عمل غنى رحمة ومحبة قوَّة الله للذي يقبل المسيح ويعيش له واهباً حياته لكي يهبه المسيح حياته. والميراث هو موضوع الخلاص، والخلاص يتحقَّق في الميراث.

أما الذين ليس لهم المسيح فلا ميلاد ثانٍ لهم ولا رجاء ولا ميراث لهم، كما يقول القديس بولس للأُمم:

+ «كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد. لا رجاء لكم وبلا إله ...» (أف ٢: ١٢)

فالميلاد الجديد والرجاء الحيّ والميراث كل هذا يتحقَّق بقيامة المسيح من الأموات، وقد تحقق فيها هذا كله لحسابنا نحن «وأما أنتم فجسد المسيح» (١كو ١٢: ٢٧). فالمسيح تجسَّد ومات وقام لحسابنا. هذا يؤكِّده لنا بولس الرسول في رسالته إلى تيطس:

+ «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا. حتى إذا تبرَّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية.» (تي ٣: ٥ - ٧)

لذلك حينما جعل القديس بطرس الميلاد الثاني نصًّا إيمانيًّا في (١: ٢٣): «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحيَّة الباقية إلى الأبد»، كان في ذهنه أن الميلاد الثاني حالة واقعة محقَّقة فيه وليس مجرَّد إيمان أو ضرورة تغيير. كما وضعها كذلك أيضاً يعقوب الرسول: «شاء فولدنا بكلمة الحق (البشارة بالقيامة) لكي نكون باكورة من خلائقه» (يع ١: ١٨)، لأن المسيح قيل عن قيامته: «قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين» (١كو ١٥: ٢٠). ويعود بولس الرسول في نفس الأصحاح ليقول: «ولكن كل واحد في رتبته، المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه.» (١كو ١٥: ٢٣)

والقديس بولس في رسالته إلى أهل رومية يعتبر أن الذين وُلِدُوا ثانية لهم "باكورة الروح الجديد": «بل نحن الذين لنا **باكورة الروح**، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا. لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً. ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره (الميراث) فإننا نتوقّعه بالصبر» (رو ٨: ٢٣ - ٢٥). فالقديس بولس يربط هنا الميلاد الثاني بالروح بالميراث غير المنظور بالرجاء بالصبر.

أما الذي يخصُّنا نحن الذين قد وُلِدنا ثانية لرجاء حي بقيامة المسيح، فيقولها القديس بطرس بصفة الأمر:

+ «لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين. فألقوا رجاءكم بالتمام على **النعمة** التي يؤتى بها إليكم (ترجمتها الحرفية: التي ستأتي إليكم) عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط ١: ١٣)

والذي يهمنا جدًّا من صيغة الأمر الذي يأمر به الذين قد وُلِدُوا ولهم رجاء حي بالميراث العتيد، هو أن ما نالوه من غِنَى رحمة الله يلزم جدًّا أن يتحفَّظوا عليه، لأنه عطية قد تمَّت وتحتاج إلى دوامها. فنحن يلزم أن نصحو ونهتم ونُلقي كل رجائنا على النعمة التي وُهِبَت لنا، هذا كله مجَّاناً بقيامة يسوع المسيح من الأموات.

وهذا يلفت نظرنا أننا في نعمة وبها نعيش وعليها نتوكَّل ونلقي كل همنا لنكمِّل عملها فينا حتى النهاية. ولاحظ أيها القارئ العزيز أن الميلاد الثاني تمَّ للجميع بالمعمودية التي صرنا بها شركاء موت المسيح وقيامته، ولبسنا المسيح وحُسبنا أولاد الله.

على هذا الأساس كتب بطرس الرسول هذه الرسالة كلها كتوجيه وحث وترجِّي للمسيحيين المختارين المتغرِّبين باعتبارهم مولودين ثانية ولهم الرجاء الحي بالميراث المحفوظ، ثم عاد في آخر الرسالة يكرِّر نفس الوعد: «وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعدما تألَّمتم يسيراً هو يكمِّلكم ويثبِّتكم ويقوِّيكم ويمكِّنكم.» (١بط ٥: ١٠)

في البداية من أجل «**رحمته الكثيرة**»، وهنا «**كل نعمة**».

وفي البداية أيضاً كان «**الميلاد الثاني**» هو الذي أنشأ **الرجاء الحي**، وهنا «**الدعوة إلى مجده الأبدي**» باعتبار أن الميلاد الثاني يُعتبر في حقيقته دعوة إلى مجده الأبدي. والدعوة إلى مجده الأبدي تُحسب بمثابة كارت دعوة مختوم بختم المسيح بحسب صلاة المسيح:

+ «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني.» (يو ١٧: ٢٤)

+ «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد.» (يو ١٧: ٢٢)

فإن كان الميلاد الثاني قد أنشأ رجاءً حيًّا، فكم تكون الدعوة المختومة بختم المسيح؟ وإن كان **الرجاء الحي** يشبه الأسانسير (المصعد)، فكارت **الدعوة الأبدية** يشبه المركبة السماوية مفتوحة الباب.

والاثنان معاً في ذهن بطرس الرسول، إن كان الرجاء الحي أو الدعوة إلى المجد الأبدي؛ فهما يعبِّران معاً أنه كان يعيش الميراث المحفوظ في السموات لأجلنا ويعيش المجد الأبدي المُعد له في ذلك اليوم، مثل بولس الرسول الذي يقول:

+ «وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب ...» (٢تي ٤: ٨)

وبطرس الرسول أيضاً في رسالتيه الأُولى والثانية يرى أن إكليل البر هذا موهوب لكل مَنْ دعاه الرب:

+ «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى.» (١بط ٥: ٤)

+ «كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا **بالمجد** والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا **المواعيد العُظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.**» (٢بط ١: ٣ و٤)

كما أن بطرس الرسول بهذه الرسالة يدعونا للشركة معه في الميلاد الثاني والرجاء الحي والدعوة إلى مجده الأبدي، كالقديس يوحنا الرسول الذي يدعونا إلى الشركة مع الرسل في الشركة مع الآب والابن يسوع المسيح التي يعيش فيها هو:

+ «الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١: ٣ و٤)

هذه كلها - يقول القديس بطرس - إنما من أجل رحمة الله الكثيرة، وكل نعمته!!

ويرى الأقدمون أن بطرس الرسول يتوجَّه نحو الرجاء الحي كما يتوجَّه بولس الرسول نحو الإيمان. فالإيمان عند بولس الرسول يخلِّصنا من ماضينا الكئيب وبطرس الرسول يرى الرجاء أنه يحملنا إلى أن تتحقَّق الدعوة. وبالنسبة لنا نحن فالرجاء الحي مناسب جدًّا لأن الرب قد تأخَّر مجيئه وتأخر الاستعلان الذي ننتظره بفارغ الصبر، وتأخُّر مجيئه لا يؤخذ على أنه تباطؤ ولكن لكي يعطي فرصة للداخلين.

١: ٤ «لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَوَاتِ لأَجْلِكُمْ».

يبتدئ القديس بطرس من هذه الآية يصف ما هو الرجاء الحي وسببه. وإن كان يبدو أن الميراث

المرجو مرتبط بالميلاد الثاني أكثر من الرجاء الحي، ولكن واضح أن الميراث بالنسبة للرجاء الحي هو موضوع الرجاء المبارك.

ويلاحظ القارئ أن الميراث الموصوف هنا يفيد في العهد الجديد نوعاً من الملكية المحفوظة في السموات، وهذا واضح من مثل المسيح والكرَّامين:

+ «وأما الكرَّامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه.» (مت ٢١: ٣٨)

أما عند القديس بطرس هنا فهو يعني إكمال ملكوت الله بكل وعودها.

والقديس بولس يوضِّح ذلك في رسالة العبرانيين هكذا:

+ «ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون، إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدي.» (عب ٩: ١٥)

وهكذا يتضح أن الرجاء الحي في ذهن القديس بطرس هو توقعات الميلاد الثاني.

وأوصاف الميراث هنا توضِّح مدى عظمة هذا الميراث في إيمان القديس بطرس الذي يود أن ينقله لنا، وواضح من وصف القديس بطرس في قوله: «ميراث لا يفنى، ولا يتدنَّس، ولا يضمحل». واستخدام القديس بطرس لأدوات النفي هنا هي الوسيلة الوحيدة لوصف الإيجابيات المجهولة في السماء عندما نتحدَّث عنها هنا على الأرض، كمثلما يصف القديس بطرس - في موضع آخر - الحياة فوق، أي حياة الميراث السمائي، بأنها نعمة: «معطين إيَّاهنَّ كرامة (النساء) كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة» (١بط ٣: ٧). كما يصف أيضاً الحياة فوق أنها بركة: «لهذا دُعيتم لكي ترثوا بركة» (١بط ٣: ٩). فالنعمة والبركة في دعوات الآباء إنما تفيد الميراث السماوي. كما وصف الميراث أيضاً بأنه هو الخلاص: «بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير.» (١بط ١: ٥)

ولكي يقرِّب القديس بطرس رجاء وانتظار وثقة الميراث السمائي، لا يتركه لتخيُّل الذهن، ولكن يحقِّقه أنه «محفوظ في السموات لأجلكم»، باعتباره كنوزاً مكنونة تنتظرنا وسوف نراها، والتي ستُستَعلَن حقًّا عند استعلان يسوع المسيح.

١: ٥ «أَنْتُمُ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيمَانٍ، لِخَلاَصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ».

أصل الفكر في هذه التقوية ليست لكي تضع شروط القبول فوق والتي على أساسها يكون الرجاء

لميراث السماء، ولكنه يحقّق السبب الذي عليه يتوقّع المؤمن المضطهد هذا النصيب. فالقديس بطرس لا يركّز على «قوّة الله» ولكن على كلمة «**محروسون** بإيمان» القائمة على قوة الله، والسبب في قوة الله الفاعلة هو «**الإيمان**»، لأن الإيمان المسيحي يحتوي على الحق الكامل غير المعتمد على المنظور، وأساس الإيمان بالمسيح هو الاعتقاد والنظر في إرادة الله المنعمَة بطبيعتها. ويلزم على القارئ أن يفرّق بين «الميراث» و«الخلاص» لأن الميراث هو الصورة من بُعد، أما الخلاص فهو حالة واقعة.

والقديس بطرس بقوله: «يُعْلَن» يقصد أن الأمر مخفي الآن وغير منظور، وكذلك كل ما في السماء فهو معرَّضٌ للإعلان باستعلان المسيح. فالخلاص الآتي في المستقبل مستعد للظهور. أما متى يكون الزمان الأخير فهو مخفي عن العين، ولكن القديس بطرس يترقّبه سريعاً - بالرجاء الحي الذي فيه.

١ : ٦ «الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْزَنُونَ يَسِيراً بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ».

أو قد تُترجم: «الذي تبتهجون به مع أنه الآن عليكم أن تُجرَّبوا بتجارب عديدة إنما مدة يسيرة».

يبتدئ القديس بطرس هنا بالكلمة الخاصة بالإيمان المسيحي «الذي به تبتهجون» ἐν ᾧ وتعني: **حيوية الإيمان المسيحي بفرح**. وهذه الكلمة أقوى من كلمة الفرح، وهي تشير بالحرف ἐν ᾧ إلى الخلاص المستعد أن يُستَعلن، والفعل ἀγαλλιάω سواء في التركيب أو في الشكل، يشير إلى الفرح الحاضر الحالي الذي يغمر المسيحي بسبب خلاصه المستقبلي. ويقول علماء اللغة أن حرفي ἐν ᾧ إنما يشيران هنا إلى «الزمان الأخير» وهو موضع مسرَّة وفرح المسيحي المؤمن المترقّب الخلاص المستعد.

ولكن يعترض فرحة إيمان المسيحي بالمستقبل والزمن الأخير الذي سيُستعلن فيه الخلاص والميراث المُعَد، ما يعبَّر عنه بالجملة الاعتراضية «مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة»، أي أنه في الحاضر الزمني المعروض علينا الآن بالفعل توجد أحزان التجارب المتنوعة، ولكن بالرغم من ذلك، كان التأكيد والتشديد على الفرح بالخلاص الآتي الذي يفوق الأحزان القليلة للتجارب المتنوعة.

وهذا الفرح السائد هو بسبب مجيء كلمة «تبتهجون» في صيغة المضارع المستمر لتعطي قوة وسيادة على المعنى، لأن زمن المضارع الممتد إلى المستقبل يعطي تأكيداً لفرح المستقبل حتى ولو كانت هناك عثرات. لأنه بحسب قواعد تركيب الجملة اليونانية نجد أن الشعاع المنبثق من كلمة «تبتهجون» يغطّي على تجارب الزمن اليسير حتى ولو كانت في الحاضر الآن.

وواضح من أسلوب الرسالة أن القديس بطرس يتَّجه ناحية تعزية هؤلاء المتغرِّبين في الشتات، ولكن لا يُرسل أسباب التعزيات والفرح على غير أساس، بل وضع الأساس أولاً بالميلاد الجديد أو الميراث المعد أو معونات الله في الحفظ والرعاية، ولكنه لم يتغاضَ عن الآلام التي يجوزونها وهي وقتية وزائلة، ولكن أسباب الابتهاج ثابتة وأبدية ووشيكة الاستعلان.

١ : ٧ «لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ».

كلمة «**لكي**»: تعود للجملة السابقة «إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة». ففيما هو هنا يحاول أن يعزِّي القرَّاء، يعدهم بتزكية إيمانهم أكثر مما يتعزَّى أهل العالم بالذهب وهو سلعة فانية إلا أنه يمتحن بالنار. وأما تعزية إيمانكم فتوجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.

وكلمة «تزكية» δοκίμιον تأتي دائماً كنتيجة للتجربة واحتمالها كما في (يع ١ : ٣)، (يع ١ : ١٢)، (رو ٥: ٣ و٤)، (٢كو ٢: ٩)، (في ٢: ٢٢). على أن التزكية لا تكون بسبب التجربة ولكن بسبب احتمال التجربة. فالتزكية هنا واقعة على الإيمان.

والمعنى الروحي العميق هو أنه باستعلان يسوع المسيح يظهر الإيمان الذي دخل التجربة أنه تصفَّى وتطهَّر وتنقَّى من الشوائب كما يتنقَّى الذهب بالنار. فالتجربة تُحسب أنها اختبار للإيمان ليزيده نقاءً.

شرح مفهوم الألم من أجل المسيح عند القديس بطرس:

يعتمد القديس بطرس في شرحه للألم من أجل المسيح على الآية التالية:

+ «احسبوه كل فرحٍ يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة. عالمين أن امتحان (= تزكية δοκίμιον) إيمانكم يُنشئ صبراً.» (يع ١: ٢ و٣)

كذلك يأتي مفهوم الآلام عند القديس بطرس مشابهاً لما جاء عند القديس بولس الرسول:

+ «... ربنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله (الأفضل ونتهلَّل مترجِّين مجد الله). وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً في الضيقات عالمين أن الضيق يُنشئ صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء.» (رو ٥: ١ - ٤)

وبمقارنة ما جاء هنا مع ما جاء في رسالة القديس بطرس الأُولى يتضح أنه كان هناك تقليد رسولي وراء هذه الآيات المتشابهة يضيء حقيقة واحدة.

أما الاختبار بالتجربة وتشبيهه بفحص وتنقية الذهب أو الفضة، فقد جاءت في (مز ٦٦: ١٠): «لأنك جرَّبتنا يا الله محَّصتنا كمحص الفضة».

والقديس بطرس يرى أن التجارب تشير إلى تقييم الإيمان في المستقبل عند استعلان يسوع المسيح. فالإيمان الصادق إنما يخرج من التجربة والآلام ويؤول إلى الفرح والمجد والكرامة وذلك عندما تُستعلن المخفيات عند البشر: «لأنه ليس خفي لا يُظهَر ولا مكتوم لا يُعلم ويُعلن» (لو ٨: ١٧)، وأيضاً: «إذن لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويُظهِر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله.» (١كو ٤: ٥)

وعند القديس بطرس فإن الآلام والنكد الذي يقابله المؤمن إنما هو الوجه الآخر للحقيقة التي تدل على الخلاص إنما بطريقة خفية مخفية الآن.

كما أن تشبيه التجارب والآلام بالذهب الذي يُفحص بالنار يُظهر هنا حقيقة هامة للغاية فهو يفصل الحق عن الغش، وبذلك تظهر الآلام أنها لا تهدف إلى مجرَّد التجربة للإيمان بل هي ضرورة مطلقة لتنقيته. لأن الإيمان النقي والصادق هو أثمن جدًّا من الذهب الفاني. فالحاجة إلى الآلام هي الحاجة إلى نقاوة الإيمان وتنقيته ليظهر مطابقاً للحق. وهكذا ولو أن الآلام تظهر في بدايتها أنها اختبار ولكنها في حقيقتها هي نوع من إعلان المغفرة.

١: ٨ «الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذلكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ».

هنا ينتقل القديس بطرس بأولاده من الميراث والخلاص إلى استعلان يسوع المسيح نفسه أنه يلزم أن يكون موضع محبة وفرح وابتهاج. والإنسان عادة يحب الذي يراه ويفرح به «ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب» (يو ٢٠: ٢٠). ولكن هنا القديس بطرس يوضِّح لهم أنهم ولو أنهم لم يروا المسيح بالجسد لكنهم يؤمنون به ويفرحون فرحاً روحياً أعظم من أي فرح آخر في العالم، فهو فرح مجيد، فرح يصاحب المجد، لأن محبة المسيح هي بحد ذاتها نابعة من مجرَّد التعرُّف به وإدراكه بالروح أو الكتب. ومعرفة المسيح تفوق جدًّا أي معرفة لأي شيء آخر في العالم، لأن معرفة الرب يسوع لا تنتج من مجرَّد معرفة نظرية ولكن هي نتيجة حلول المسيح وشركة حب في القلب لدرجة تفوق إحساس الإنسان بنفسه، والحياة مع الرب يسوع ليست حياة تعليم بل حياة شركة وتعرُّف متبادل، كما يقول بولس الرسول: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠)، فأصبحت محبة الرب يسوع أكثر من محبة

الإنسان لنفسه أو لأي إنسان آخر مهما كان. وهنا يرفع القديس بطرس فكرنا إلى إدراك حالة استعلان المسيح بالرغم من أننا لا نراه. وليس مجرَّد إدراك يسوع المسيح فقط بل الإيمان الشديد من كل النفس وكل الفكر وكل القدرة حسب الوصية الأُولى في العهد القديم. وشدَّة هذا الإيمان حينما يملأ الفكر والقلب يرتفع بحالة النفس إلى فرح قوي وبهيج لا يمكن التعبير عنه بالكلام.

ويتفق كثير من الشُرَّاح الأتقياء على أنه في القول: «إن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد»، يتضح أن الابتهاج هو **الآن** في الحاضر وليس مؤجَّلاً إلى **المستقبل**. لأن فاعلية الإيمان الحق يؤثِّر في الحاضر ويُستعلن في المستقبل. فالابتهاج بالإيمان بالمسيح يتم الآن في الحاضر الزمني ويُستعلن في المستقبل باستعلان المسيح نفسه.

ولتأكيد صحة القول أن هذا يحدث في الحاضر، نرى أن الفرح والابتهاج هما جزاء الإيمان في الحاضر، كذلك قوله «لا يُنطق به» يقصد به حاضر التعبير بالكلام، فالذي نفرح ونبتهج به لا يمكن التعبير عنه.

على أن القديس بطرس يعود في الأصحاح الرابع من هذه الرسالة ويطمئن سامعيه وقارئيه بأنهم سيفرحون به في استعلان مجده حتى وإن كانوا يفرحون به من الآن ويبتهجون به وإن كانوا لا يرونه: «بل كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا **لكي** تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين» (١بط ٤: ١٣). والمعنى هنا عميق غاية العمق إذ يضع شرط فرحنا وبهجتنا عند استعلان المسيح أن نكون الآن وفي الحاضر ونحن متألِّمون من أجل اسمه فرحين ومبتهجين.

وكأن القديس بطرس يقول: إن كنتم الآن تفرحون به وتبتهجون وأنتم لا ترونه، فإنكم سترونه حتماً وتفرحون برؤياه وتبتهجون، أو ربما أن فرحكم الآن وابتهاجكم بالمسيح وأنتم لا ترونه سيكمل ويُتوَّج بفرح وابتهاج الاستعلان.

وكلمة «فرح لا يُنطق به ومجيد» تعني الفرح الذي ينتهي بالمجد ويكمل به.

١: ٩ «نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ».

وهنا يأتي سر الفرح الذي هو غاية أو ثمرة إيمانكم في الكنيسة والعالم. فبعد الفرح والبهجة بحضرة الرب تمتد الفرحة الكارزة والخادمة لتبلغ منتهى آمالها خلاص النفوس الأخرى.

وكلمة «**نائلين**» كلمة بليغة، وهي الفعل κομίζω . وجاءت أيضاً في نفس الرسالة (٥: ٤) بمعنى

«تنالون»، وتجيء في العهد الجديد بمعنى «المعيَّن أن ناله» في نهاية الدينونة، كما جاءت في (٢بط ٢: ١٣)، (٢كو ٥: ١٠)، (أف ٦: ٨)، (كو ٣: ٢٥). وهي لا تُحسب جائزة أو نوال إكليل، ولكنها تُحسب كنهاية للإيمان وحسب، أي النهاية التي تدير الإيمان وتوجِّهه من البدء، الذي هو هنا خلاص النفس. وهي تأتي هنا بمعنى كمال الخلاص الذي يناله المؤمن في النهاية، خاصة الذي سيشترك فيه مع الآخرين في الزمان الأخير.

١: ١٠ – ١٢ «الْخَلاَصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لأَجْلِكُمْ، بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْت أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا. الَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لَنَا كَانُوا يَخْدِمُونَ بِهذِهِ الأُمُورِ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمُ الآنَ، بِوَاسِطَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّمَاءِ. الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلاَئِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا».

القديس بطرس هنا يرد على سؤال مخفي يتردَّد في كل نفس: هل الخلاص عمل مؤجَّل سيُعرف في آخر الدهور؟

فلكي يبتدئ الكلام أراد أن يصوِّر لنا الخلاص عند الأنبياء، كيف كان عندهم الخلاص شيئاً ثميناً جدًّا وعظيماً جدًّا، وكان هو الموضوع الذي يبحثون عنه، مجرَّد بحث، ويبحثون عن زمنه. هذا يضعه القديس بطرس أمام القارئ لكي يعرف أن الخلاص الذي في يديه والذي قد استلمه وحصل عليه بالإنجيل، كان عند الأنبياء موضوعاً عسيراً صعب المنال بل وتشتهي حتى الملائكة أن تطَّلع على ما هذا الخلاص وكيف سيكون!

«الخلاص الذي فتَّش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبَّأوا عن النعمة التي لأجلكم»:

هنا يعيد الكلام عن «غاية إيمانكم خلاص النفوس»، يقصد بها الخلاص الذي نلناه الآن، على أن الخلاص الذي سيُستعلن في المستقبل هو الخلاص الذي نعيشه الآن ولكن في اكتمال مجده. والخلاص الذي نعيشه الآن لم يطَّلع عليه الأنبياء كما نعرفه نحن ولكن أدركوه كمجرَّد نعمة خصِّصت لنا.

«باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها»:

هنا يدخل القديس بطرس في اختصاصات الأنبياء الذين تنبَّأوا عن النعمة التي لأجلنا، فكان همُّهم أن

يحدِّدوا الوقت أو حال الزمن الذي كانوا يشعرون به في روحهم إيحاءً من روح المسيح، لأن روح المسيح نفسه كان يشير إلى الكتب التي تنبَّأت عن آلامه وعن قيامته. فهذا كان همّ الأنبياء أيضاً إذ كانوا مدركين أن المسيَّا سيدخل آلاماً شديدة.

وهنا «الأمجاد» تأتي بالجمع، بمعنى أنه سيُعلن وقتها «أيَّ وقت أو ما الوقت» على الأرض، والباقي محجوز لإعلانه فيما بعد، لذلك جاءت بالجمع. ونسمعها كثيراً من المسيح أنه كان يشير لآلام ابن الإنسان وقيامته «حسب الكتب» قاصداً الأنبياء.

وهذا أوضحه القديس بولس جدًّا في رسالته الأُولى إلى أهل كورنثوس:

+ «فإنني سلَّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا **حسب الكتب**، وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث **حسب الكتب**.» (١كو ١٥: ٣ و٤)

وهنا القديس بولس أيضاً ينقل لنا ما تسلَّمه من الكنيسة الأُولى وتعليمها حسب الكتب.

كذلك نجد المسيح نفسه يُعلن هذا لتلميذي عمواس:

+ «فقال لهما أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلَّم به الأنبياء، أما كان ينبغي (must) أن المسيح يتألَّم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن **جميع الأنبياء** يفسِّر لهما الأمور المختصَّة به في جميع الكتب.» (لو ٢٤: ٢٥ - ٢٧)

وتأتينا الشهادة واضحة في أول عظة لبولس الرسول، إذ يكشف أن أقوال الأنبياء كانت معروفة وكان كثيرون ينتظرون الموعد لأنهم أدركوا ما قاله الأنبياء: «لأن الساكنين في أُورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا. وأقوال الأنبياء التي تُقرأ كل سبت تمَّموها إذ حكموا عليه.» (أع ١٣: ٢٧)

هذا كله يوضِّح لنا دقة القديس بطرس ومعرفته الجيدة بالتقليد النبوي واليهودي. وكان بطرس الرسول يقدِّر قيمة الأنبياء وقيمة نبوَّاتهم إلهياً: «لأنه لم تأتِ نبوَّة قط بمشيئة إنسان بل تكلَّم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢بط ١: ٢١). وهو سبق وقال هنا عن الروح القدس إنه «روح المسيح» لأن الروح القدس يشهد للمسيح. فقول القديس بطرس «روح المسيح الذي فيهم» يدل على سَبْق وجود المسيح. كما أن سَبْق وجود المسيح ظهر مرَّة في الصخرة التي كان يستقي منها الشعب في البرية: «وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحيًّا، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح.» (١كو ١٠: ٤)

«الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم، بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي

أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسل من السماء التي تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها»:

هنا المعنى دقيق للغاية. وإمكانية الخطأ في فهم الآية يقلب موازين عمل الأنبياء وعمل الروح القدس. فالمعنى لا يُؤخذ أنه قد أُعلن لهم أنهم يخدمون المسيحيين الآتين، ولكن أعلن الروح القدس الذي فيهم أن آلام المسيح وقيامته أو أمجاده لا تخدمهم هُم وإنما تخدم الآتين بعدهم. أي أنهم يتنبَّأون لغيرهم وليس لأنفسهم. وأنهم أتمُّوا عملهم من جهة الخلاص القادم بأنهم تنبَّأوا عنه فقط، ولكن ليس لأنفسهم.

وهكذا ما بُشِّر به المسيحيون إنما هو الحاصل الذي تنبَّأ عنه الأنبياء. فدورهم في الخلاص لم يَزِدْ عن كونهم تنبَّأوا عنه كنعمة ستوهب للجيل الذي سيظهر فيه المسيَّا ويتألَّم ويقوم.

على أن البشارة والنعمة التي بلغت المسيحيين كانت من قوة ودفع الروح القدس كما سبق ونبَّه عنها المسيح: «أوصاهم أن لا يبرحوا من أُورشليم (للبشارة) بل ينتظروا موعد الآب ... فستتعمَّدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير» (أع ١: ٤ و٥)، «فأقيموا في مدينة أُورشليم إلى أن تُلبسوا قوَّة من الأعالي» (لو ٢٤: ٤٩). كذلك القديس بولس لم يُرسَل للبشارة إلا بعد أن اعتمد وحلَّ عليه الروح القدس.

أما ما تشتهي الملائكة أن تعرفه أو تطَّلع عليه فهو: ما الذي تمَّ في الخلاص؟ لأن الخلاص معناه قبول الإيمان بالقيامة من الأموات للدخول في الخليقة الجديدة التي وُلِدَت بقيامة المسيح من الأموات بحسب قول بطرس الرسول في رسالته، والخليقة الجديدة هي البشرية التي قبلت المسيح وآمنت واشتركت في جسده ودمه بعد العماد فصارت خليقة سماوية. فالجديد على الملائكة والذي تشتهي حتى الآن أن تدركه هو ما هي الخليقة الجديدة المقدَّسة في المسيح والمتحدة فيه والمدعوة للشركة مع الآب أيضاً؟ هذا فائق على الملائكة ورؤساء الملائكة وكل الخليقة السماوية. لذلك يقول بولس الرسول منوِّهاً على ذلك أن معرفة الملائكة وكل الخلائق العليا السماوية بالخليقة الجديدة أي الكنيسة هو الدور المُلقَى على الكنيسة لكي تقوم به:

+ «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوِّعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف ٣: ١٠ و١١)

هذا الاستعلان الفائق الذي أُعلن للقديس بطرس يكشف مدى عمق معرفة هذا الرسول بقيمة الخلاص ودرجة المسيحية على المستوى السمائي.

(١: ١٣ – ٢١):

هذا مقطع هام جدًّا في الأصحاح الأول لأنه يعرض الرجاء في الآية (١٣) متكاملاً مع الآية (٢١) كأمر مُلزم أو وصية أُولى في الحياة المسيحية المتكاملة؛ مدلِّلاً على لزومية الرجاء المسيحي الحي في الآيات (١٣ – ١٧) من وجهة نظر هدف المسيحية ووجودها، وفي الآيات (١٨ – ٢١) من وجهة نظر أصل وجود المسيحية. فالرجاء يُنظر إليه هنا عند القديس بطرس أنه القاعدة الأساسية للسلوك المسيحي. وفي الاستعلان ستعُم النعمة مقابل الدينونة حسب الأعمال. وتوصية بطرس الرسول: «سيروا زمان غربتكم بخوف» تناسب الدينونة القادمة، ولكن الرجاء الحي يناسب النعمة التي ستُستعلن. وبين المسيرة أمام الله بخوفٍ والرجاء المُلقى على النعمة تأتي وصية «كونوا قديسين» (١٤ – ١٦) وتُحسب كأساس للمسيحية.

١: ١٣ «لِذلِكَ مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذِهْنِكُمْ صَاحِينَ، فَأَلْقُوا رَجَاءَكُمْ بِالتَّمَامِ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي يُؤْتَى بِهَا إِلَيْكُمْ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»

«منطقوا أحقاء ذهنكم»:

فعل «**يتمنطق**» في اللغة القديمة يعني "يربط وسطه بحزام استعداداً للحرب أو المشي أو الجري أو أي نوع من الجهاد الذي يحتاج إلى استجماع القوى".

فعبارة «**منطقوا أحقاء ذهنكم**» بالتالي تعني: استعدوا للجهاد والفهم والتيقُّظ، لذلك يضيف إليها: «صاحين» أي منتبهين إلى أعماق المعنى ودقة التعبير.

وبطرس الرسول له الحق أن يبدأ هذا المقطع من الأصحاح بأن نكون في غاية الاستعداد الذهني للفهم والمتابعة، لأن المعاني هامة جدًّا وعميقة أيضاً. وبمقارنة هذا بما جاء في رسالة العبرانيين (١٢:١) يتضح جداً أن هذا تقليد رسولي لكي يتيقَّظ القارئ أو السامع للكلام الصعب: «لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا (أرواح القديسين) لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا» (عب ١٢: ١). وباختصار وبحسب لغة الحاضر نختصرها ونقول: "انتبهوا".

وقصد القديس بطرس من الآية أن نكون على درجة استعداد روحي لتقبُّل وصايا الله وفهمها. فكون العقل يكون متمنطقاً وصاحياً يعني أنه لا تعوقه أي شهوة أو انجذاب بشيء جسدي دنيوي، أي يكون على مستوى الاستعداد لسماع صوت الله: «تكلَّم يا رب لأن عبدك سامع» (١صم ٣: ٩).

كما يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: «وأما أنت فاصْحُ في كل شيء ...» (٢تي ٤: ٥). فهو تعبير رسولي ممهّد للوصية القادمة، أي إلقاء الرجاء بالتمام على النعمة – هنا احتياج شديد لذهن صاحٍ لفهم ومتابعة قيمة الرجاء ووضعه على النعمة بكل إمكانية الذهن والقلب والضمير. بمعنى أن يكون الرجاء بثقة كاملة، بضمير غير منقسم ولا متشكّك، وتكون العزيمة موجودة دائماً لمقاومة أي ضعف أو تشكُّك، وإخضاع النفس والفكر لإرادة وضع الرجاء بالتمام على النعمة بثقة. لأن رجاء الإنسان ملوَّث بآمال وشهوات الدنيا، أما الرجاء الذي على مستوى الروح فيكون بثقة في النعمة التي تحمل الإنسان كأُم تحمل طفلها الصغير وتعبُر به الطريق الصعب. والرجاء المُلقى بالتمام على النعمة يكون خالياً من شهوات الدنيا وميول الجسد وآمال العالم.

والذي يلقي رجاءه بالتمام على النعمة لا ينغلب من التهديدات والعوز والضيق والمضايقات ولا ينغلب للألم، كما يصف بولس الرسول وضع امرأة أرملة تقية مؤمنة:

+ «ولكن التي هي بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهي تواظب (على) الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً.» (١تي ٥: ٥)

والقديس بطرس هنا لا يصف الرجاء ولكن يصف القاعدة والأساس الذي ينبغي أن يُبنى عليه الرجاء، أي أن يكون رجاؤنا حيًّا بالنعمة، فعَّالاً على أساس تدخُّل النعمة، لابد أن يبلغ مقصده بالنعمة ولابد أن يستعلن هذا الرجاء الحي في النهاية باستعلان المسيح والنعمة. وهل هو صعب أن نجعل رجاء خلاصنا حيًّا بحياة المسيح ومُلقى على النعمة التي هي قوَّة الله للخلاص؟

+ «لأنكم بالنعمة مُخلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله.» (أف ٢: ٨)

والنعمة لن تُعوزْنا أبداً فنحن أخذنا من ملء المسيح نعمة فوق نعمة كما يقول يوحنا الرسول (يو ١: ١٦).

١: ١٤ «كَأَوْلاَدِ الطَّاعَةِ، لاَ تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ».

الطاعة هنا ὑπακοῆς مطابقة تماماً ومستمدَّة من الآية الثانية من الرسالة «في تقديس الروح للطاعة» (١: ٢) وهي ذات أهمية لأن الروح الذي يشملنا كأولاد الله المؤمنين هو روح الطاعة: «مع كونه ابناً تعلَّم الطاعة مما تألَّم به. وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.» (عب ٥: ٨ و٩)

فهنا القديس بطرس يقصد بكلمة «أولاد» أو "أبناء" صلتهم بالله كأولاد الله أو كمسيحيين قد

أطاعوا الإيمان.

وكلمة «**تشاكلوا**» هنا تعني: يرجعوا إلى الشهوات القديمة التي عاشوها في جهالة الإيمان بالمسيح، وهي عادات نجسة ومرذولة ومفاسد الزنا والخمر، وهو هنا يحذِّر من العادات.

وكلمة «**جهالتكم**» تختص بالخروج عن آداب المسيحية واعتقادات فاسدة وليس بالضرورة تفيد الوثنية، لأن القديس بولس وصف نفسه بها في السابق: «أنا الذي كنت قبلاً مجدِّفاً ومُضطهِداً ومُفترياً، ولكنني رُحمت لأني فعلت **بجهل** في عدم إيمان.» (١تي ١: ١٣)

والقديس بطرس يقصد بالذات عادات وأخلاق ما قبل المعمودية للإنسان العتيق، والخروج من العادات القديمة للإنسان العتيق لا يأتي بالأمر أو التوصية أو التوسُّل ولكن ''بالموت'' الذي نمارسه في المعمودية، مشاركة بالإيمان في موت الرب عن خطايا وجهالات الإنسان العتيق: «لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (١بط ٢: ٢٤). فبطرس الرسول هنا يدعو إلى مراجعة النفس والتعهُّد الذي خضعنا له في المعمودية لنموت مع المسيح ونسلك في جدَّة الحياة ونترك جهالاتنا الأُولى. لأن كلمة «**أولاد الطاعة**» تعني بني المعمودية.

١: ١٥ «بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ».

هنا تظهر بوضوح نية القديس بطرس في قوله: «أولاد الطاعة» الذي يعني به دعوة الله للمعمودية. فالله الذي دعاهم لقبول الإيمان وهيَّأ لهم فرصة أو نعمة المعمودية قدوس هو، والذي يعتمد يعتمد للمسيح ابن الله القدوس، أي يكون تابعاً أو عبداً له. فكل إنسان قَبِلَ المعمودية هو أولاً وقبل كل شيء عبد ليسوع المسيح لأنه تعهَّد بطاعته كما يطيع العبد سيده، حتى ولو كان الملك نفسه، فهو عبد ليسوع المسيح. والمعمودية بحد ذاتها هي سر الدخول في شركة المسيح، شركة موته وقيامته. وشركة المسيح تُحتِّم القداسة. هذا هو معنى قول القديس بطرس: نظير القدوس ابن الله الذي دعاكم لقبول المعمودية باسمه كونوا أنتم قديسين عمليًّا بالقلب والفكر والعمل وكل سيرة. ومعنى هذا الأمر أو هذه الوصية «كونوا قديسين» هو أمر تحذيري، لأن عدم القداسة كشركة في قداسة المسيح معناه القطع من الشركة السرية مع المسيح، مثل العبد الذي يخون سيده، علماً بأن الذي يقدِّسنا في المعمودية هو الروح القدس لنصير أولاداً لله وأتباعاً بالروح والحق للمسيح، فأي خروج عن حياة القداسة هو مقاومة وإطفاء للروح القدس. فوصية القديس بطرس «كونوا قديسين» تعني كونوا أولاداً لله وحياتكم تكون شركة في قداسة المسيح وطاعة الروح القدس.

وفي الأصحاح الثاني من هذه الرسالة يشهد ويقرِّر القديس بطرس بقداسة المسيحي: «وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أُمة مقدَّسة شعب اقتناء لكي تُخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١بط ٢: ٩)

على أن قوله: «نظير κατά القدوس الذي دعاكم». فقوله هنا «نظير[٢] κατά» لا تفيد أن نكون على مستوى قداسة الله أو المسيح، لأن قداسة الله طبيعية جوهرية وليست صفة. فقداسة الله تعبِّر عن كيانه ووجوده وطبيعته، أما القداسة التي يطلبها القديس بطرس هنا لنا فهي ليست مجرَّد التديُّن وعدم مشابهة أهل العالم ولكن يطلب حياة القداسة في أعمالنا وأفكارنا وأقوالنا وضمائرنا في مخافة كاملة لله حتى إن حياتنا تشهد لمسيحنا وفادينا، وكلامنا وأفكارنا تمجِّد الله. لأنه ليس أعمالنا فقط بل وأفكارنا وأقوالنا ستديننا أمام الله في اليوم الأخير، وضمائرنا ستشهد لنا أو تشهد علينا.

ولماذا يحثنا القديس بطرس على حياة القداسة في كل سيرة؟ لأننا مدعوون للدخول إلى السماء ولحياة الشركة مع الآب والابن والروح القدس في الحياة الأبدية. فنحن مدعوون أن تكون حياتنا هنا تناسب وتماثل حياتنا فوق، لأن الخليقة الجديدة خليقة سماوية مدعوة للدخول إلى السماء والحياة بين السمائيين.

١: ١٦ «لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: "كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ"».

لم يقل «تقدَّسوا» وكأن التقديس عمل شخصي، ولكن إعطاء الأمر «كونوا قديسين» يفيد هنا أن الأمر يحمل التنفيذ، كقول الله في القديم: «ليكن نور فكان نور» (تك ١: ٣)، فأمر الله يقع في دائرة سلطانه. والمعنى يأتي بعدها: «لأني أنا قدوس» بمعنى أن مَنْ نعبده ونطيعه ونحيا تحت سلطانه ونستمد منه حياتنا ووجودنا هو قدوس. فليس بعد مجرَّد طلبة أو وصية، ولكن التزام أعطاه الله وهو مسئول عن تنفيذ أوامره، وقد بدأ أوامره بحقيقة ثابتة «كأولاد الطاعة»، «فكأولاد الطاعة ... كونوا قديسين لأني أنا قدوس».

وكلمة «لأني أنا قدوس» تعني مسئولية السيد وسلطانه الملكي الآمر، وهي تتضمّن معنى "لأني أنا نور سيروا في النور"، "لأني أنا الحق سيروا في الحق"، لأننا مدعوون أن نعيش في شركة معه هنا وهناك، هنا الطاعة والجهاد وهناك الإكليل والعطاء.

---

(٢) كلمة κατά التي تُرجمت هنا «نظير» تُرجمت في (كو ٣: ١٠) «حسب» وهي ترجمة أدق: «ولبستم (الإنسان) الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة (**حسب** κατά) صورة خالقه». فهي تفيد المشابهة ولا تفيد المساواة.

والسيد المسيح قالها لتحمل هذا المعنى: «ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق» (يو ١٧: ١٩). والمعنى بديع للغاية ويشابه الآية: «فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًّا ... وأنتم مملوؤون فيه» (كو ٢: ٩ و١٠). فهو أصلاً نزل من فوق ليأخذنا معه إلى فوق، وقَبِلَ الآلام وهو غير محتاج إليها أو يستحقها ولكن لكي يسلِّمها لنا كدفع غرامة الخطية، وقَبِلَ الصليب وهو بريء ولا يستحق الصلب لكي نُصلب في جسده فتُرفع عنَّا عقوبة آدم. وهو قَبِلَ أن يُقدِّس ذاته بروح القداسة لنتقدَّس نحن فيه بالحق، وقَبِلَ المسحة لنكون نحن ممسوحين فيه أو مسيحيين فيه، هكذا تماماً القول: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس». ومعناها: لأنكم صرتم أولادي للطاعة يتحتَّم أن تكونوا قديسين، فالقداسة تخرج مني إليكم وتعود إليَّ، فهي لا تبقى معكم ولكنها تخترقكم وتعود إليَّ فنحن زائلون وهو الباقي، والقداسة تشملنا طالما نحن فيه.

١: ١٧ «وَإِنْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَبًا الَّذِي يَحْكُمُ بِغَيْرِ مُحَابَاةٍ حَسَبَ عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ، فَسِيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ».

وصحتها: "**إن كنتم تدعون الله يا أبانا**". والمعنى: "إن كنتم تدعون الله يا أبانا، فاعتبروا أنفسكم أولاده". لأن القديس بطرس هنا إنما جعل أساس كلامه «أبانا الذي في السموات» هذا بحد ذاته يضعنا تحت الالتزام بأن نكون قديسين كما أنه هو قدوس.

فإن كان الله كأب سيحكم على أعمالنا فأصبح علينا حتماً أن نسير زمان غربتنا عنه على الأرض في مخافة أحكامه، كما جاءت عند القديس بولس الرسول: «الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله.» (رو ٢: ٦)

ويلاحظ القارئ أن عند القديس بطرس «حسب عمل كل واحد» يقصد الأعمال الداخلية حتى التي في الضمير والأعمال الخارجية تجاه الآخرين.

ويلزم أن ننتبه أن المحاكمة هنا تقف على التوازي مع «أبانا» أو الأب، فهو حكم أب وليس حكم بشر بل أحكام تعرف الحق كل الحق وتسمع صوت الضمير وتعرف جذور النيَّات.

وليلاحظ القارئ أن عدل الله في الحكم يتمشَّى مع محبته العُظمى التي تملأ القلوب، فالحق ينادي بالعدل، هذا لا مفر منه، وإن كان بجواره الحب ينادي بالرأفة. فأحكام الله تخرج مستوفاة العدل والحق والمحبة والرأفة. وكما أن أبوَّة الله عادلة، فالبنوَّة لله يلزم أن تكون طائعة خائفة. فإن كانت قداسة الأب عادلة، فبنوَّة الابن طائعة.

والخوف هنا ليس خوف العبيد للأسياد، ولكن الخوف الذي يمكن أن يعايش المحبة «لا خوف في المحبة بل المحبة تطرح الخوف إلى خارج لأن الخوف له عذاب وأما مَنْ خاف فلم يتكمَّل في المحبة» (١يو ٤: ١٨). والمخافة التي للبنين هي تمجيد وإكرام للآب ولا تفقد الثقة أبداً. وعند القديس بولس تأتي هكذا: «تمِّموا خلاصكم بخوفٍ ورعدة» (في ٢: ١٢) وهي تحمل معنى مَنْ يخاف ويرتعد أن يفقد ثقة ومحبة الله.

والغربة هي التغرُّب عن موطننا السمائي في حياتنا على الأرض.

١: ١٨ «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ».

«**عالمين**»: تفيد بما أنكم علمتم، أو ربما أننا نعلم. كما يستخدمها القديس بولس هكذا: «وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً في الضيقات عالمين أن الضيق يُنشئ صبراً» (رو ٥: ٣). والقديس بطرس هنا يقصد أننا افتدينا بمعنى أن المسيح اشترانا «لأنك ذُبحتَ واشتريتنا لله بدمك» (رؤ ٥: ٩)، وجاءت أيضاً في رسالة القديس بطرس الثانية هكذا: «إذ هُم يُنكرون الرب الذي اشتراهم» (٢بط ٢: ١). ويذكرها أيضاً القديس بولس الرسول هكذا: «لأنكم قد اشتُريتم بثمن، فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١كو ٦: ٢٠). وهنا: «**افْتُدِيتُمْ**»: تأتي بمعنى اشتُريتم بثمن، لا بأشياء تفنى حتى ولو كانت ذهب أو فضة، بل أغلى بما لا يُعقل أو يُقاس.

«افتُديتم ... من سيرتكم الباطلة التي تقلَّدتموها من الآباء»: هنا الفداء أخلاقي من ضلال وراثي انطبع على حياتهم وسلوكهم وأعمالهم وأقوالهم وأفكارهم، ليس في البعض أو جزء منهم ولكن كل الشعب أو كل الجنس بخروج كلِّي عن الحق والعدل والكمال لحياة كلها باطلة بصورة لا يمكن التخلُّص منها أو تغييرها. هنا الكلام موجَّه للمسيحيين عموماً، سواء كانوا يهوداً آمنوا بالمسيح أو أُمماً.

١: ١٩ «بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ».

هذا هو التقليد اللاهوتي الأوَّل!

هنا الدم لا يفيد مجرَّد موت بل موتاً دمويًّا أجراه المسيح على نفسه بمشيئته ولكن بأيدي أثمة والإفادة هنا عن «كما مِنْ حَمَل ...» تعني أن المسيح كان كحَمَل وديع بلا عيب ولا دنس. وكلمة «**كما**» هنا ليست للتشبيه أو التمثيل ولكنها وصف حقيقي لإنسان ذُبح ذبحاً للفداء كما يُذبح الحمل

الوديع ولا يعارض ولا يقاوم.

فالمسيح **دفع** أو **قدَّم** دمه **للفدية للفكاك** من سجن الخطية وإبليس، أو إنقاذاً لنا من الهلاك والموت الأبدي، **وحرَّرنا** من عبودية الخطية والشيطان.

أو تأتي بمعنى أننا كنَّا مُباعين للشيطان والخطية، والمسيح اشترانا بدمه، حياة عوضاً عن حياة، فصارت حياتنا ملكه جسداً ونفساً وروحاً.

وأول مَنْ قال بهذا التقليد القديس مرقس:

+ «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدِم وليبذُل نفسه **فدية** عن كثيرين» (مر ١٠: ٤٥)

وهذا من فم المسيح.

وأيضاً قول المسيح: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد **الذي يُسفك من أجل كثيرين**» (مر ١٤: ٢٤) كفدية.

وعندما نقول إن المسيح فدانا أو اشترانا بدمه أو قدَّم الكفَّارة، فدمه ليس له ثمن كما للذهب أو الفضة بنوعٍ أثمن أو أغلى، فثمن الدم حياة أبدية، ونحن الذين قبضنا ثمن دم المسيح وقبلنا الكفَّارة، وصار دم المسيح فينا، ولنا حق إلهي لدخول قدس الأقداس والترائي أمام الله مغفوري الخطايا. فالمسيح لم يدفع ثمن دمه لأحد غيرنا، فأصبحنا نحن أصحاب دم المسيح. ولكن فعل السفك نفسه على الصليب كان في نظر الآب كفَّارة وفدية واسترضاء لوجه الله عنا. ولكن دم الكفَّارة أُعطِي لنا ومُسحنا به.

١: ٢٠ «مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ».

كون دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم فهذا بتعبير بولس الرسول هو سر المسيح الذي لم يُعرَّف به أحد سابقاً لا أنبياء ولا قديسين:

+ «أنه بإعلان عرَّفني بالسر. كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح. الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر، كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح ... لي أنا أصغر جميع القديسين، أُعطيتْ هذه النعمة، أن أُبشِّر بين الأُمم بغنَى المسيح الذي لا يُستقصَى. وأُنير الجميع في ما هو شركة السرِّ المكتوم مُنذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف ٣: ٣ - ٩)

ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور؟
سر المسيح والكنيسة

لم نعثر للقديس بولس أو لغيره من الرسل على بيان واضح أو كامل عن ما هو سر المسيح، لأن بولس الرسول نفسه يصفه بأنه لا يُستقصى أي لا يمكن البحث أو الاستقصاء فيه فأسماه: «غِنَى المسيح الذي لا يُستقصَى».

ولكننا عثرنا في عدَّة مواضع على أمور واضح جدًّا أنها تخص سر المسيح نكتب عنها هنا باختصار. وأنا أحسبه لنفسي أني سعيد غاية السعادة أن أكتب عن سر المسيح والكنيسة.

دائماً يقدِّم القديس بولس صلاة مطوَّلة يطلب فيها نعمة خاصة وانفتاح ذهن قبل أن يتكلَّم عن سر من أسرار المسيح لعلمه أنه قد استؤمن على أعظم أسرار الله.

يفصح بولس الرسول بوضوح أن المسيح والآب كانت لهما مشيئة واحدة هي مجد الكنيسة، وأول ما أعلن عن ذلك أعلنه كالآتي:

+ «لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إيَّاكم في صلواتي. كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته. مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غِنَى مجد ميراثه في القديسين وما هي عظمة قدرته الفائقة **نحونا** نحن المؤمنين (الكنيسة) حسب عمل شدَّة قوَّته الذي عمله في المسيح إذ ❋أقامه من الأموات ❋وأجلسه عن يمينه في السموات ❋فوق كل رياسة ❋وقوَّة ❋وسيادة❋ وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط ❋بل في المستقبل أيضاً ❋وأخضع كل شيء تحت قدميه ❋وإياه جعل رأساً ❋فوق كل شيء ❋للكنيسة ❋التي هي جسده ❋ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ١٦ - ٢٣)

المعنى:

أن الله أقام المسيح من الأموات لأجلنا، وأجلسه عن يمينه في السموات لأجلنا، فوق كل رياسة لأجلنا، وكل سلطان لأجلنا، وقوَّة لأجلنا، وسيادة لأجلنا، وكل اسم يُسمَّى في هذا الدهر لأجلنا، وفي **الدهر الآتي** لأجلنا، وجعله رأساً لنا أي الكنيسة فوق كل شيء لأجلنا أي للكنيسة التي هي جسده الذي صار جسدنا، والكنيسة صارت ملء الكل في الكل.

ما معنى هذا؟

معناه أنه بقيامة المسيح قد وُلِدَت الكنيسة كخليقة جديدة سماوية أعلى من كل خلائق السموات،

وهي خليقة لا يوجد في السموات ما هو أعلى منها، وهي ملء الكل في الكل، لأن المسيح صعد إلى أعلى السموات «لكي يملأ الكل» (أف ٤: ١٠) أي جسده أي الكنيسة كما يقول بولس الرسول:

+ «فإنه فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض. ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل. وهو رأس الجسد الكنيسة ... وأن يُصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات.» (كو ١: ١٦ - ٢٠)

ولَمّا قال القديس بطرس: «الذين أُعلن لهم (الأنبياء) أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها (الخلاص) أنتم الآن بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسَل من السماء. التي تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها» (١بط ١: ١٢)، فالملائكة تشتهي أن تعرف ماذا تمَّ وكيف تم الخلاص، وليس الملائكة فقط بل وكل الرؤساء والسلاطين والرياسات والقوَّات التي في السموات، كلها تشتهي أن تطَّلع على ما تم في الخلاص، أي ما هو سر الكنيسة. لماذا؟ لماذا تشتهي الخلائق أن تطَّلع على سر الكنيسة؟

لأن الكنيسة وهي الخليقة السماوية الجديدة خُلقت من جسد المسيح الذي هو أعلى من كل الخلائق السماوية، فأصبحت الكنيسة فوق كل الخلائق السماوية، ولكن لا تُعرَّف الخلائق السماوية بما حدث في الكنيسة للخلاص وميلاد الخليقة الجديدة السماوية إلا بواسطة الكنيسة فقط. هكذا يقول بولس الرسول العارف بسر المسيح:

+ «لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطِيَتْ هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأُمم بغِنَى المسيح الذي لا يُستقصى وأُنير الجميع فيما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح. **لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة** بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف ٣: ٨ - ١١)

هذا يُحسب من أخطر وأدهش أسرار المسيح والكنيسة.

ومن الأسرار التي تكشف مستوى الكنيسة أي مستوانا في المسيح، الآية التي كتبها القديس بولس لأهل كولوسي: «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًّا. **وأنتم مملوؤون فيه.**» (كو ٢: ٩ و١٠)

ومن الأسرار التي يقف أمامها الإنسان منذهلاً قول القديس بولس:

+ «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.**» (أف ٣: ١٩)

ويذهب بنا القديس بولس بعيداً جداً إلى زمن اختيارنا في المسيح:

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. **كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم** لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة. إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته.» (أف ١: ٣ - ٥)

ويكشف لنا بولس الرسول **كيف سيجمع الله في المسيح كل ما في السماء وما على الأرض:**

+ «**إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرَّته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك.**» (أف ١: ٩ و١٠)

ومن أقوال بولس الرسول التي تدخل في شرح الصلة التي تربطنا بالمسيح قوله:

+ «فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه **كما الرب أيضاً للكنيسة لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.**» (أف ٥: ٢٩ و٣٠)

إذن، فالكنيسة جسد المسيح القائم من الأموات الذي قام من أجل الإنسان، لأنه لم يكن من خلقة ترابية حتى يفنى التراب كنهاية، بل قام بجسده هو هو المصلوب والميت وداس الموت وأعلن الحياة الأبدية التي هي حياة السماء التي صارت حياة الكنيسة وأصبحت حياة الجسد المُقام وكلنا أعضاء متحدة فيه.

ويقول بولس الرسول من جهة **وحدة المؤمنين بسبب الاتحاد بجسد المسيح الواحد أي الكنيسة كأمر حتمي:**

+ «**لأجل تكميل القديسين ... إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح ... الذي منه كل الجسد مركَّباً معاً** ومقترناً بمؤازرة كل مَفْصِلٍ حسب عمل على قياس كل جزء يُحَصِّلُ نمو الجسد لبنيانه في المحبة.» (أف ٤: ١٢ - ١٦)

والطريق إلى ذلك: «أن تخلعوا من جهة التصرُّف السابق الإنسان العتيق (الآدمي) الفاسد بحسب شهوات الغرور. **وتتجدَّدوا بروح ذهنكم. وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق**» (أف ٤: ٢٢ - ٢٤). إنسان هو جسد المسيح المقام من الموت، معدنه سماوي وحياته أبدية.

وأن «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء.» (أف ٤: ٣٠)

ملاحظة: الإنسان العتيق هو إنسان ما قبل المعمودية، مخلوق ترابي نسل آدمي مائت.
الإنسان الجديد هو ما بعد المعمودية، آمن واشترك في موت المسيح وقيامته وصعوده وصار عضواً في الجسد الإلهي، لا يموت.

ويقول القديس بطرس الرسول: «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلَّدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حَمَلٍ بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم (تقليد رسولي مسلَّم لكل الرسل)، ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم.» (١بط ١: ١٨ - ٢٠)

ويقول أيضاً القديس بطرس عن هذا الذي صار جنساً جديداً للكنيسة وكهنوتاً مقدَّساً وأُمة ميراث سماوي:

+ «أما أنتم (كنائس أسيا وجميع المسيحيين) فجنس مختار وكهنوت ملوكي أُمة مقدَّسة شعب اقتناء (ميراث دائم) لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١بط ٢: ٩)
+ «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر.» (١بط ٢: ٢٤)
+ «قد وَهَبَ لنا المواعيد العُظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.» (٢بط ١: ٤)

ويشترك مع الآباء الرسل، الأنبياءُ أيضاً - دون أن يروا - في تقرير الاختيار والمُلك الأزلي للمسيح وللمؤمنين بالمسيح، «مُساقين من الروح القدس» حسب تعبير بطرس الرسول. وهذه هي نبوَّة دانيال النبي:

+ «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه قدَّامه. فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض ... أما قدِّيسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين ... والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطى لشعب قديسي العلي. ملكوته ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون. إلى هنا نهاية الأمر.» (دا ٧: ١٣ و١٤ و١٨ و٢٧ - ٢٨)

هذه النبوَّة تساوي:

+ «على هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.» (مت ١٦: ١٨)

وأيضاً:

+ «ما لم تَرَ عين، ولم تسمع أُذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدَّه الله للذين يحبونه.» (١كو ٢: ٩)
+ «والآن مجِّدني أنتَ أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك **قبل كون العالم**.» (يو ١٧: ٥)
+ «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ... وأنا ممجَّد فيهم.» (يو ١٧: ٢٢ و١٠)
+ «ودعانا دعوة مقدَّسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع **قبل الأزمنة الأزلية**، وإنما أُظهرت الآن بظهور مخلِّصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل.» (٢تي ١: ٩ و١٠)
+ «... بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، **معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم**.» (١بط ١: ١٩ و٢٠)
+ «معلومة عند الرب **منذ الأزل** جميع أعماله.» (أع ١٥: ١٨)
+ «على رجاء الحياة الأبدية التي وعد بها الله المنزَّه عن الكذب **قبل الأزمنة الأزلية**.» (تي ١: ٢)

١: ٢١ «أَنْتُمُ الَّذِينَ بِهِ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْداً، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ».

واضح من هذه اللغة التي نجدها بكثرة في إنجيل القديس يوحنا أن المسيح في موضع الفاعل: «به تؤمنون بالله» (الذي يجعلنا نؤمن). وهو أيضاً في موضع المفعول فيه: «كما اختارنا فيه ...» (أف ١: ٤)

و«كما اختارنا فيه ...» عند بولس الرسول هي أول إعلان عن وجودنا في المسيح قبل الزمن، يقابله عند القديس يوحنا آخر إعلان عن وجودنا في المسيح في الأبدية: «ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو ٣: ٢). فالمسيح في قوله الخفي: «أنا هو الأول والآخر» (رؤ ١: ١٧) يقصد بذلك الأول بالنسبة لمعرفتنا، والآخر أي آخر معرفتنا، فهو المالئ لوجودنا منذ الأزل وإلى الأبد.

فالله هو الذي اختارنا في المسيح منذ الأزل قبل إنشاء العالم، والله هو الذي خلَّصنا بالمسيح، الأمر الذي سيُستَعلَن كآخر شيء في هذا الزمن.

والذي يقصده القديس بطرس في هذه الآية هو أنه بواسطة المسيح أنتم تؤمنون بالله، أي بواسطة الخلاص الذي أكمله المسيح من أجلنا. لأن عمل الخلاص الذي أكمله المسيح في نفسه فتح لنا الطريق إلى الله بعد أن كان محتجباً عنا تماماً. فهو تألَّم ليقودنا بصليبه إلى الله أبيه، وموته الذي ماته أنشأ له –

وبالتالي أنشأ فينا – القيامة من الأموات، وأحيا الرجاء لندخل بالقيامة إلى الحياة الأبدية والميراث السماوي.

فالمسيح هو لنا قاعدة الإيمان والرجاء في الله، كما كان إيمان إبراهيم الذي حُسب له برًّا، والذي على أساسه يصير إيماننا بالله الذي أقام المسيح من الأموات يُحسب لنا برًّا (رو ٤: ٢٣). والإيمان بالله هنا يعني التمسُّك والتعلُّق بالله الذي أقام المسيح من الأموات. والمطلوب منَّا إيمان متساوٍ مع إيمان إبراهيم بالله «أمام الله الذي آمن به الذي يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة.» (رو ٤: ١٧)

وبطرس الرسول هنا يضيف إلى قيامة الأموات «**وأعطاه مجداً**» بمعنى أنه ليس فقط أحياه من الموت، ولكن أعطاه "**المجد**". وكون أن المسيح يستقبله الله بالمجد هذا الذي عُبِّر عنه بأنه أجلسه عن يمينه، ولأننا نؤمن بمَنْ أقام المسيح من الأموات، لذلك فإنه يعطينا نصيباً معه، أي يُجلِسنا مع المسيح كتعبير عن الدخول في مجد الله والمسيح.

وفي اللاهوت يُعتبر المجد الذي أعطاه الآب للمسيح بإجلاسه عن يمينه هو في تساوي جوهر الله(٣). وقد عبَّر القديس بطرس عن هذا المجد بقوله: «بل كما اشتركتم في آلام المسيح. افرحوا (بالقيامة) لكي تفرحوا في استعلان **مجده** أيضاً مبتهجين.» (١بط ٤: ١٣)

ولو التفت القارئ الباحث المدقِّق في الآيات التي جاءت في المقطع من آية (١٨) إلى الآية (٢١) يجد أن الذي جمعه بطرس الرسول هنا كفيل بأن يعطي الإيمان والرجاء لبناء قاعدة الوجود المسيحي المبنية على المسيح من موته وقيامته. وقد استغلَّها القديس بطرس في أوامره التي يعطيها كوصايا ملزمة من الحال الواقع في الآيات (١٣)، (١٤ – ١٦)، (١٧).

(١: ٢٢ – ٢٥):

يستمر القديس بطرس من الآية (٢٢) حتى الآية (٢٥) في ثالث وصاياه الملزمة وموضوعها الأساسي هو محبة الإخوة.

١: ٢٢ «طَهَّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ، فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ».

لا يعطي القديس بطرس هنا الأمر بناء على الآيات السابقة كما يذكر شُرَّاح كثيرون، ولكنه أمر

(٣) «والآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.» (يو ١٧: ٥)

ووصية رسولية مُلزمة بحد ذاتها، والعامل المؤثِّر في وجهة نظر القديس بطرس هو محبة اليهودي لليهودي كمحبة أخوية شديدة الارتباط بالله والناموس والجنس (اليهودي)، فالقديس بطرس الرسول هنا يحاول أن يورِّثها للمؤمنين بالمسيح على نفس المستوى ولكن يسندها بعد ذلك بأسباب هامة جدًّا: مثلاً لأنهم مولودين جديداً من كلمة الله الباقية إلى الأبد.

فقوله هنا «المحبة الأخوية» يقصد بها محبة المؤمن للمؤمن، ثم يصححها بعد ذلك «بعضكم بعضاً». إنما واصفاً إيَّاها أنها صادرة «من قلب طاهر بشدَّة»: فالطهارة هنا طهارة مسح دم المسيح للضمير: «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجَّسين **يقدِّس إلى طهارة الجسد**، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (عب ٩: ١٣ و١٤)، حيث كلمة «شدَّة» لا تقع على الطهارة ولكن تقع على الإيمان بتطهير دم المسيح للضمير أي القلب. والمعنى المخفي: إن كان اليهود يحبون بعضهم من قلب طاهر طاعة للناموس ولنداء الجنس (اليهودي)، فكم تكون المحبة المعتمدة على دم المسيح الذي بذل نفسه من أجل المحبة حتى الموت «ليس لأحد حُبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه.» (يو ١٥: ١٣)

أما كلمة «عديمة الرياء»: فهي من خبرته في محبة اليهود عندما ينقلبون على بعضهم ويصيرون أعداء: «اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. نقوا أيديكم أيها الخطاة وطهِّروا قلوبكم يا ذوي الرأيين.» (يع ٤: ٨)

«طاعة الحق»:

أما الطاعة فقد استوفيناها في الآية (١٤) باعتبار أن ابن الطاعة هو المؤمن ابن المعمودية الذي أعطى نفسه وحياته كلها لله في طاعة الإنجيل. لهذا سبق وقال القديس بطرس «طهِّروا نفوسكم». فالطاعة طاعة النفس، طاعة روحية عديمة الرياء، لذلك أكملها القديس بطرس وقال: «طهِّروا نفوسكم في طاعة الحق **بالروح**» وليس طاعة الجسد بل هي طاعة الروح أي صادرة من قيادة الروح وإرشاده. لذلك سيتكلَّم القديس بطرس مباشرة عن الميلاد الجديد بالروح. فإذا جمعنا النفس مع الحق مع الروح مع المحبة يكون هو الإنسان الجديد.

وإن كان القديس بطرس يبتدئ بالمحبة الأخوية ذات الصلة بالمسيح فإنه يرتفع بمُجمَل المحبة الأخوية مثالاً وانطلاقاً لمحبة الكل بعضهم بعضاً، لأن المحبة المسيحية لا تنقسم ولا تلوَّن ولا تتجزَّأ، فهي أصلاً صادرة من الله والمسيح الذي بلغ عنده حد البذل والطاعة حتى الموت، لا من أجل الأحباء بعد بل

«ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.» (رو ٥: ٨)

وتطهير النفس في الحقيقة هو تقديسها، لأن الروح العامل هنا هو روح الله القدوس. فالقداسة إذا اتجهت ناحية المحبة تكون أقوى من مجرَّد المحبة في التعبير الروحي وتقديم البذل كما يصفها القديس بطرس نفسه: «وأنتم باذلون كل اجتهاد قدِّموا في إيمانكم فضيلة ... وفي التقوى (القداسة) مودَّة أخويَّة، وفي المودَّة الأخوية محبة.» (٢بط ١: ٥ و٧)

والمحبة يقدِّمها بولس الرسول هكذا:

+ «المحبة فلتكن بلا رياء ... وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية.» (رو ١٢: ٩ و١٠)
+ «وأمَّا المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلِّمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً.» (١تس ٤: ٩)

وهكذا تبدو المحبة الأخوية أنها تسليم الرب للرسل وتسليم الرسل لنا، لأنها لبُّ المسيحية وقوَّتها المحرِّكة، فمن عنده محبة يصنع كل شيء.

والتشديد على أنه يتحتَّم أن تكون المحبة بلا غش ولا رياء هو أيضاً تسليم رسولي:

+ «يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل **والحق**. وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكِّن قلوبنا قدَّامه.» (١يو ٣: ١٨ و١٩)

وتركيز القديس بطرس على القلب يقابله عند القديس بولس أن القلب أساس الدخول في عبادة الله ومحبة المسيح:

+ «فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتُم من **القلب** صورة التعليم التي تسلَّمتموها.» (رو ٦: ١٧)

ويضعها القديس بولس كغاية وصايا المسيح:

+ «وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء.» (١تي ١: ٥)

من هنا تظهر سيمفونية التقليد الرسولي وقوَّة وانتشار الروح في قلوب الرسل، فهو المتكلِّم فيهم جميعاً.

١: ٢٣ «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ».

وكأنما يتدرَّج بنا القديس بطرس في سلم موضوع على الأرض ورأسه مسنودة في السماء. فالذي يتعمَّق الآيات السالفة فلا يمكن أن يضبط نفسه إلا أن يصفق إن لم يكن بيده فبقلبه وروحه، لمنتهى

حبكة الروح في الاستعلان. فمن ذا الذي يقدر أن يحب من قلبه الطاهر بشدَّة وضمير تقدّس بدم المسيح؟ **إنه الإنسان الجديد!**

فهنا القديس بطرس يكشف سر القاعدة التي ينطلق منها ويعطي وصاياه الرسولية الملزمة. فهنا سر المحبة القلبية الطاهرة التي بلا رياء على مستوى الأمر والحتمية الإلهية. هنا خليقة جديدة خلعت ثوب الخطية ولوازمها وتوابعها، وأخذت صورة خالقها في البر وقداسة الحق!

+ «أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله. وكل مَنْ يحب فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله.» (١يو ٤: ٧)
+ «كل مَنْ يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِدَ من الله. وكل مَنْ يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً.» (١يو ٥: ١)

لأن محبة الآب ومحبة الابن هي قوة الروح القدس.

وأعظم قول أيضاً الذي يضمُّ كل قول عن الميلاد الجديد من الله جاء على لسان القديس يوحنا:
+ «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين وُلِدُوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله.» (يو ١: ١١ و١٢)

هنا القديس بطرس يطرح أعظم أسرار عمل الخلاص وتدخُّل الله رسميًّا في خليقة جديدة للإنسان، بمعنى الخلقة الثانية بعد الترابية، لأن الولادة بحسب أولاد آدم هي ولادة للفناء لأنه لا يولد إنسان إلا ليموت. فهنا زَرْعُ الرجل أي وسيلته ليستولد امرأة هي وسيلة للفناء، فالنطفة أو السائل المنوي وهو عامل الإخصاب الذي يخصِّب المرأة فتلد هو نفسه قابل للفساد، فإذا اتحد ببويضة المرأة وصار جنيناً ثم مولوداً فهو يسير سنة بعد سنة ليموت حتماً، فوسيلة الميلاد للجسد العتيق بذرة تنمو لتهلك وتموت حتماً.

ولكن لما أراد الله للإنسان بقاءً ووجوداً سمائياً، أرسل كلمته في بطن العذراء القديسة مريم فحبلت من الروح القدس ووَلَدَت القدوس ابن الله. هكذا يكون زرع كلمة الله التي لا يمكن أن يصيبها الفناء لأنها كلمة الله الحيَّة بحياة الله. أي أنها، كما يقول القديس يوحنا، هي الحياة الأبدية نفسها قد استُعلنت بميلاد المسيح الذي هو ابن الله بالحق والفعل لأن الله أبوه، وهو أعلن إعلاناً أنه هو والآب واحد ومَنْ رأى المسيح فقد رأى الآب. فهنا كان ميلاد المسيح من العذراء القديسة مريم هو ميلاد كلمة الله جسديًّا ولكنه ابن الله منذ الأزل، وهو رأس الخليقة الجديدة. فكل مَنْ وُلِدَ للمسيح في المعمودية بالإيمان

هو مولود من الله، أي من كلمة الله التي لن تفنى بل هي باقية إلى الأبد.

+ «أجاب يسوع الحق الحق أقول لكَ إن كان أحد لا يولد **من** الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.» (يو ٣: ٥)

أي أنه يولد من الروح، لذلك عرَّف المسيح ذلك: «المولود من الجسد جسد هو والمولود **من** الروح هو روح.» (يو ٣: ٦)

وهنا الميلاد من الله أو من الروح هو فعل يوضح البداية أو السبب وليس بمعنى الأصل أو النشأة أو الجوهر. فكلمة الله زُرعت في الإنسان فأنشأت حياة جديدة: «فاقبلوا بوداعةٍ الكلمة المغروسة القادرة أن تخلِّص نفوسكم.» (يع ١: ٢١)

فالمسيحي موضوع تحت الالتزام أن يعيش القداسة بقدر ما هو مولود ثانية لجدَّة الحياة بكلمة الله، أي كلمة الحق. فمن حيث أن كلمة الله قد استُعلنت في المسيح وقُرئت في الإنجيل، فيكون الذي غُرس فينا ليس طبيعة (جوهر) الله ولكن كلمة الله المحيية ذات القوة الفاعلة التي يلزم أن تشهد لله.

فالإنسان الذي قَبِلَ المسيح وأطاع وصاياه واشترك في موته وقيامته قد صار عضواً في الكنيسة، عضواً في جسد المسيح «ومن أهل بيت الله» (أف ٢: ١٩)، والرب يسوع أخ لإخوته لأن أباهم هو الله، الله أبوهم الذي في السماء، والرب يسوع يشبه إخوته في كل شيء (عب ٢: ١٧) ولكنه رأس الكنيسة التي هي جسده (أف ١: ٢٢ و٢٣). وبدخول المسيحي في جماعة المسيحية أي الكنيسة يصبح عارفاً بالله إذ يسلَّم إليه التقليد المسيحي والرسولي ليكون عضواً في الكنيسة في الموضع الذي يتبعه. فمحبة أخي قائمة على علاقة أخي بالله التي هي نفس علاقتي بالله، بنفس "الفيلادلفيا" φιλαδελφία (أي المحبة الأخوية)، وهي محبة روحية لأن الروح هو الفعَّال فيها. بطرس الرسول يسمِّي الكنيسة ἀδελφότης «أخوية» (٢: ١٧، ٥: ٩، ٣: ٨)، وأول ما تكوَّنت كانت مع الرسل (يو ٢٠: ١٧). ولكن بطرس الرسول يحض على استخدام المحبة مثل الأناجيل حتى نحو المسيئين (مت ٥: ٤٤ و٤٥)، لأن المحبة وُهبَت للمسيحي لتكون حياته ولغته حتى الموت، ويلزم أن تكون بلا رياء لأن الذي يُساء له بالرياء هو المحبة. فالمحبة لا تستطيع أن تكون غاشة أو كاذبة. والقديس بطرس هو الوحيد الذي يُطلق على الكنيسة اسماً آخر موازياً وهو ἀδελφότης «أخوية» كما قلنا، وهو التقليد الأول بحكم ضرورة الحياة المشتركة والأعواز والضيق الواقع عليها. والمحبة داخل الكنيسة هي الأساس الثابت الذي يخرج من القلب بحرارة وثبوت بأمانة. وطاعة الحق عند الأخ في الكنيسة هي طاعة الإنجيل وهي طاعة الله،

حيث يكون الله هو المسئول عن طاعتي للحق.

١: ٢٤ «لأَنَّ: كُلَّ جَسَدٍ كَعُشْبٍ، وَكُلَّ مَجْدِ إِنْسَانٍ كَزَهْرِ عُشْبٍ. الْعُشْبُ يَبِسَ وَزَهْرُهُ سَقَطَ».

هنا القديس بطرس يصف طبيعة الله وصفاً تشبيهيًّا بالمفارقة مع الإنسان وكلمة الإنسان. لأن كلمة الله لَمَّا تجسَّدت وصفت لنا الله بوضوح وجدَّدت الزمن والتاريخ. وكلمة الله في العهد القديم كانت توصف فقط بإدراك الله في التوراة، ولكن الآن ومن خلال الكلمة المتجسِّد أمكن وصف كلمة الله بتشبيه الوجود الفائق الإدراك والاتساع غير القابل للفناء والباقي إلى الأبد. وقد حاول فيما مضى إشعياء النبي أن يستجلي لنا صورة الكلمة فقال:

+ «صوتٌ قائل ناد، فقال بماذا أُنادي؟ كل **جسد** عشب وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقًّا الشعب عشب. يبس العشب ذبل الزهر. وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.» (إش ٤٠: ٦ - ٨)

ولكن لماذا يقول إشعياء عظيم الأنبياء هذا التمثيل؟ ولماذا بالأكثر يقول القديس بطرس بقول إشعياء هذا القول؟ يلزم أن نشرح هذا وذاك: فإشعياء النبي يقول قوله عن "كلمة إلهنا" ῥήμα τοῦ θεοῦ ἡμῶν فيضع إشعياء النبي البشرية كلها بجملتها كجسد، كيف تتغير وتزول أمام كلمة إلهنا التي تثبت في دعوتها وعهدها مع الشعب. ويأخذ القديس بطرس هذا ويضع الكنيسة (الروح) عوض الشعب (الجسد) كوعد الله - ويصف إشعياء كيف صار "الخروج" أي خروج شعب إسرائيل من مصر إلى وجود جديد كما في الكنيسة، تخرج من اضطهادها التي تجوزه الآن بالجسد إلى حياة جديدة وولادة جديدة بالروح. ويكشف القديس بطرس التشبيه في الآية القادمة (٢٥): «وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد. وهذه هي الكلمة التي بُشِّرتم بها (الإنجيل)».

١: ٢٥ «وَأَمَّا كَلِمَةُ الرَّبِّ فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ. وَهذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي بُشِّرْتُمْ بِهَا».

وهنا يكشف القديس بطرس عظمة الميلاد الجديد ومعناه اللاهوتي البديع، فالولادة الجديدة للإنسان حيَّة لحياة أبدية هي لإثبات أن كلمة الله ووعده للبشرية لا يفنى بل يحيا إلى الأبد.

فشعب إسرائيل المشبَّه بالجسد استنفذ وصفه التاريخي والزمني لكلمة الله ووعده الأول، وجاءت الكنيسة بالعهد الجديد والروح حسب كلمة الله كخلقة جديدة روحية لتكمِّل وعد الله وإثبات أن كلمته لا تفنى ولكنها باقية إلى الأبد.

وهذا هو سر قوله: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى (الجسد) بل مما لا يفنى (الروح) بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد». هنا كلمة الله هي الإنجيل وهي المسيح ابن الله، لأن المعروف والذي سبق وقاله القديس بطرس: «الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١: ٣)، هنا تحديد أن الولادة الثانية هي خلقة جديدة روحية بعد أن استنفدت الخلقة الأُولى الجسدية كل الزمن والتاريخ، لأننا نحن نحيا الآن الحياة الأبدية بانتظار خلع جسدنا العتيق المنسوب للخلقة الأولى الزمانية التي شبهها كل من إشعياء النبي والقديس بطرس بالأكثر بالعشب وزهره، أي جسد الإنسان ومجده الأرضي بعد أن يستنفد زمنه يذبل الزهر ويفنى العشب.

الأصحاح الثاني

الأصحاح الثاني

٢: ١ «فَاطْرَحُوا – كُلَّ خُبْثٍ وَكُلَّ مَكْرٍ وَالرِّيَاءَ وَالْحَسَدَ وَكُلَّ مَذَمَّةٍ».

الأصحاح الثاني متعلّق بالأصحاح الأول من نفس الرسالة.

هنا القديس بطرس يكلّم المولودين ثانية، المولودين من الكلمة أي أبناء الإنجيل وهو سيتكلّم الآن عن الإنجيل في الآية القادمة، ولكن لكي يتكلّم عن قوّة عمل الكلمة في الإنجيل يلزم أن يكونوا على استعداد لسماع الكلمة الروحية لكي يسمعوها بالروح بالذهن المفتوح. وهكذا ابتدأ يقول بضرورة أن يطرحوا جانباً كل خبث، كمن يخلع ثوباً متسخاً، كما قالها القديس بولس: «أن تخلعوا من جهة التصرُّف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور.» (أف ٤: ٢٢)

وكلمة «**اطرحوا**» جاءت في الرسالة إلى العبرانيين: «لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا **لنطرح** كل ثقل والخطية المحيطة بنا ...» (عب ١٢: ١)

وجاءت أيضاً في رسالة كولوسي: «وأما الآن **فاطرحوا** عنكم أنتم أيضاً الكل، الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح، من أفواهكم» (كو ٣: ٨). ويكمِّلها في هذه الآية بالسبب الذي جاء عند القديس بطرس في رسالته: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد.» (كو ٣: ٩ و١٠)

وقالها أيضاً القديس يعقوب في رسالته: «لذلك **اطرحوا** كل نجاسة وكثرة شر فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تُخلِّص نفوسكم.» (يع ١: ٢١)

وبعد كلمة «الخبث» يذكر القديس بطرس «وكل مكر»، و«كل» هنا تشمل أنواع المكر، والرياء والحسد وكل مذمة. وكل هذا الكتالوج من الآثام الشريرة يذكره القديس بولس في رسالة رومية (١: ٢٩ و٣٠).

٢: ٢ «وَكَأَطْفَالٍ مَوْلُودِينَ الآنَ، اشْتَهُوا اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشِّ لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ».

هنا تعقيب واضح على «مولودين ثانية ... بكلمة الله». فالإنجيل وهو كلمة الله هو كلبن الأم عديم الغش الذي يرضع منه الولد المولود حديثاً بنهم شديد ويشتهيه كل لحظة، فهو الغذاء الوحيد الذي أعدَّه الله للطفل ليشرب وينمو به دون أن يدري أنه غذاءه الوحيد. فإذا قُدِّم له أي شيء آخر يرفضه.

وفي أناشيد سليمان[١] يُشبّه الذي يعصر اللبن في فم المؤمن بأنه هو الروح القدس، أما اللبن فهو نابع من الآب (١٩: ١ إلخ) وهذا التشبيه حق، فإن كان الإنجيل هو اللبن الحقيقي فاللبن هو الحق!

فإن كان اللبن المغشوش يُمرض المولود، فكلمة الإنجيل المحرَّفة تُمرض الروح والنفس. لهذا شدَّد القديس بطرس أن يشبِّه الكلمة بـ«اللبن **الحقيقي** عديم الغش»، الكلمة التي إذ يرضعها المؤمن من ثدي السماء فهي التي تقيم الحياة:

+ «افرحوا مع أُورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها. افرحوا معها فرحاً يا جميع النائحين عليها. لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها. لكي تعصروا وتتلذَّذوا من دِرَّة مجدها.» (إش ٦٦: ١٠ و١١)

وأورشليم هنا هي كنيسة الله السماوية.

ومن تقليد الكنيسة الأولى وطقسها أنها كانت تقدِّم لكل معتمد بعد أن يخرج من المعمودية - باعتباره مولوداً روحيًّا جديداً (الآن) - كأس لبن محلًّى بالعسل الأبيض[٢]. وهذا يذكِّر عمليًّا ورمزيًّا بأنه وُلِدَ من الكلمة ومن الكلمة والحق ينمو في النعمة والخلاص.

+ «وُجِدَ كلامُكَ فأكلْتُه فكان كلامُكَ لي للفرح ولبهجة قلبي لأني دُعِيتُ باسمك يا رب إله الجنود.» (إر ١٥: ١٦)

وتشبيه كلام الإنجيل باللبن تقليد كنسي بسبب الميلاد الجديد بالروح خاصة عند القديس بطرس لأنه أول مَنْ قال: «مولودين ثانية ... بكلمة الله الحيَّة الباقية إلى الأبد». وتشبيه نبع اللبن من السماء أو من الله في أناشيد سليمان هو تطبيق لقول القديس يوحنا في إنجيله «من الله وُلِدُوا». فالولادة هي من الله، بينما النمو حتماً يكون من الله، والقديس بطرس يكمِّل الآية فعلاً: «لكي تنموا به»، لأنه لبن روحي ينمِّي الروح ويستعلن الحق. كما تشبِّه أناشيد سليمان من يوصل إلينا اللبن أو يعصره في فمنا بأنه هو الروح القدس.

نخرج من هذا بأن كلمة الله في الإنجيل هي الغذاء الوحيد للنفس والروح بالنسبة للإنسان الجديد، الذي يشتاق إلى الإنجيل في كل يوم وكل مساء وكل لحظة اشتياقَ الطفل المولود حديثاً للبن أُمه. وهذا

---

(١) "أناشيد سليمان Odes of Solomon" هي أناشيد مكتوبة في بدء العصر المسيحي بعد كتابة إنجيل القديس يوحنا. وهي أناشيد تتغنى بالعلاقة بين النفس والمسيح. أما نسبتها إلى سليمان فليس بمعنى أن سليمان مؤلِّفها لأنه من الواضح أنها مكتوبة في العصر المسيحي، ولكن بمعنى أنها امتداد مسيحي لنشيد الأنشاد المنسوب أصلاً لسليمان.

(٢) هيبوليتس. التقليد الرسولي (٢١).

الكلام ليس للوعظ أو لتزويق الكلام ولكنه اختبار روحي اختبرتُه في حياتي كلما أجد نفسي قد مالت نحو الهمّ وثقّلت عليَّ الحياة بمطالبها فأطلب الإنجيل، وبقراءتي في الكلمة أندمج في الإنجيل وأحيا فيه بروحي وتنفرج نفسي وتبتهج وأطرح عني كل ثقل الحياة. فالإنجيل هو هدية الله لكل متعب وكل طالب للحياة والحكمة ولذّة العشرة الإلهية، لأن صوت الإنجيل يُسمع بالروح القدس ويحرِّك الروح نحو خالقها.

كذلك أعترف أمام الله أن كل مرَّة أبدأ كتابة شرح جديد أو مقالة أو خطاب تعزية أشعر بأني أنمو في المعرفة وفي الحق وفي النعمة. وفي حياتي كلها لم تصل نفسي إلى حالة الشبع من الإنجيل، فمهما قرأت ومهما كتبت أظل جوعاناً، فكلمة الإنجيل تُشبِع وشبعها لا ينتهي، فمهما أكلت تقوم جوعاناً.

والسر في هذا الأمر يأتي في الآية القادمة.

٢: ٣ «إِنْ كُنْتُمْ قَدْ ذُقْتُمْ أَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ».

أصلها من المزمور (٣٤: ٨):

+ «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكِّل عليه».

والقديس بطرس هو الوحيد الذي يشير إشارة واضحة إلى هذا المعنى في المزمور، وهي بديهية أن الرب يؤكل ويشرب: «خذوا كلوا ... خذوا اشربوا». فالرب يُذاق، وإن كان الأكل والشرب على الوضع الملموس قد جاء في العشاء الأخير ولكن المعنى الخطير هو الحقيقة الإلهية العملية: «فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦: ٥٧)، و«إن عطش أحد فليُقْبِل إليَّ ويشرب.» (يو ٧: ٣٧)

وقد قرأت في أحد الكتيبات عن سيدة ظهر لها الرب ولما أبدت الخوف الشديد قال لها عدَّة مرَّات: «انظري إليَّ». ليس هنا نظر البصر بالعين بل نظر الذهن المفتوح للاستعلان لأنه كان موجوداً أمامها ويقودها في طريق مرعب ونجَّاها خطوة بخطوة.

فدعوة القديس بطرس: «إن كنتم قد ذُقتم أن الرب صالحٌ» تفيد: ذوقوا فإن الرب صالح وحلو، فإن ذقتم أن الرب صالح فكم تكون كلمته ووصاياه. وكل مَنْ ظهر لهم الرب صاروا مأخوذين به ومتحدين بصورته وأصبح كلامه لهم دستور حياة ينفذونه بتهديد الموت.

كذلك إن شئت أن تعرف أيها القارئ فإن كل مَنْ يقرأ كلمة الله بقلب مفتوح وذهن مفتوح يشعر بجمال الرب وحلاوته ولا يعود شيء في الدنيا يعادله، لأن الرب صالح حقًّا وعجيب. لذلك يقول إشعياء النبي بالروح: «ويُدعى اسمه عجيباً Wonderful.» (إش ٩: ٦)

فالقديس بطرس يدعوك اليوم أن تذوق الرب لتتأكد أنه صالح ليصير الإنجيل هو غذاء الحق الذي به تنمو.

ولكي نأخذ الكلمة بالصدق والحق نسمع بولس الرسول يتكلَّم عن المسيح في سفر العبرانيين هكذا:

+ «ولكن الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة (إذ لبس جسداً ومات) يسوع. نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت. لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد.» (عب ٢: ٩)

هنا يشرح لنا بولس الرسول كلمة «يذوق» في المعنى اللاهوتي: أنه يَقْبله بذهنه وقلبه وروحه لدرجة التشبُّع. فالذي ذاق الموت ذاق الحياة وأعطانا بذَوْقه للموت أن نذوق الحياة بالرغم من أننا لم نذُقْ الموت بعد، بل انتقلنا من الموت إلى الحياة.

+ «الحق الحق أقول لكم إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو ٥: ٢٤)

وتفسير الكلام هنا يحتاج إلى انتباه، لأن الموت الذي نموته بالجسد غير الموت الذي كان الإنسان يموته بدون الإيمان بالمسيح، لأن الموت الذي يكون بدون المسيح موت أبدي حسب عقوبة آدم، ولكن المسيح قد أبطل الموت الأبدي بموته وأنار لنا الحياة والخلود بقيامته. فنحن في المسيح يسوع لا نذوق الموت الأبدي. لهذا يقول المسيح: « الحق الحق أقول لكم إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني ... قد انتقل من الموت إلى الحياة»، لأن الموت الذي نموته الآن بالجسد ينقلنا فوراً من الموت إلى الحياة ولا نبقى في الموت.

فهنا الذي يذوق الرب أنه صالح يعني أنه قد تحقَّق من شخصه أنه ابن الله بالحق، وصدَّق موته، وصدَّق قيامته، وذاق سر الموت بالشركة في موت المسيح وسر القيامة بقيامته. فلابد أن يصل إلى تحقيق فعلي أن الرب صالح!

فالرب غلب الموت وأبطله وداسه وأعطانا سلطاناً أن ندوسه ونُبطل سلطانه ونقوم في غلبة مَنْ قام غالباً العالم والموت!!

٢: ٤ و٥ «الَّذي إذْ تَأْتُونَ إلَيْه، حَجَراً حَيًّا مَرْفُوضاً منَ النَّاس، وَلكنْ مُخْتَارٌ منَ الله كَريمٌ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيِّينَ – كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ – بَيْتاً رُوحِيًّا، كَهَنُوتاً مُقَدَّساً، لِتَقْديمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ الله بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ».

بعد أن ذكر القديس بطرس الميلاد الثاني من الكلمة الحيَّة الباقية إلى الأبد، واجه المولود الجديد بالكلمة العقلية أي الإنجيل كلبن عديم الغش يبني النفس ليكمِّل خلاصها. ثم جاء الآن إلى المسيح نفسه كواضع أساس التعليم، والمعلِّم الوحيد، ويصفه بأنه يلزم للمولود ثانية أن يواجه المسيح نفسه كحياة له يحياها. فوصف المسيح هنا كحجر حي، يقصد به أساس البناء المسيحي الذي يلزم حتماً أن يتحد به المسيحي، فهو مولود ثانية ليرث الحياة الأبدية. والحياة الأبدية تبدأ من هنا على الأرض، فنحن نحيا الحياة الأبدية فعلاً ولكن ننتظر أن نلقي أجسادنا للتراب لنذهب إلى المسيح. فالشركة في حياة المسيح تبدأ من هنا لأننا صرنا من جسده أو أعضاء في جسده، فيلزم للعضو أن يثبت في الجسد. والتعبير هنا كله منصبٌّ على علاقتنا الروحية العملية القائمة فعلاً على ذوق المسيح كحياة نذوقها ونحياها.

فمن رضاعة الإنجيل نأتي إلى الاتحاد بالمسيح. ويضع هنا القديس بطرس وصفاً للمسيح الذي نأتي إليه أنه حجر حي مختار من الله وكريم، أي مجيد، لم يستطع الناس، وليس إسرائيل فقط، أن يأتوا إليه، بل رفضوه. ولكن نحن كمولودين له من الله نأتي إليه كحجر أساس مطلوب منَّا أن نصير نحن أيضاً حجارة حيَّة، أي أعضاء أحياء في الجسد الحي، نبني أنفسنا على أساس المسيح، وبالإيمان الواحد والثبوت الدائم ووحدة المحبة نصير بيتاً روحيًّا، حيث المسيح نفسه رئيس كهنة، وإذ وُلِدنا منه، صرنا وارثين كهنوته الإلهي، أي نأتي إليه كحجارة حيَّة وكهنوت مقدَّس.

فمطلوب منَّا أن نكون بيتاً روحيًّا جديداً غير الأول، لأننا وُلِدنا ثانية لبشرية جديدة روحية مدعوة لميراث السماء. فنحن بالتمثيل حجارة حيَّة مبنية على أساس حي هو المسيح، ننمو هيكلاً للرب، يكهن فيه الرب، ونحن نصير فيه وبه كهنة نقدِّم ذبائح روحية.

وهذا التشبيه الذي يقدِّمه القديس بطرس مبني على مزمور (١١٨: ٢٢)، وعلى إشعياء (٢٨: ١٦):

+ «الحجر الذي رفضه البنَّاؤون قد صار رأس الزاوية.» (مز ١١٨: ٢٢)
+ «هأنذا أؤسِّس في صهيون حجراً. حجر امتحان حجر زاوية كريماً أساساً مؤسَّساً.» (إش ٢٨: ١٦)

وصار هذا تقليد الرسل:

+ «ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر، لم يُدرك ناموس البر. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس. فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة. كما هو مكتوبٌ: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل مَنْ يؤمن به لا يُخزَى.» (رو ٩: ٣١ - ٣٣)

وبهذا ظهر تعليم المسيح واستُعلن أنه هو الصخرة الحيَّة أي الأساس للتعليم بالإيمان للخلاص،

ويتحتَّم أن نبني أنفسنا عليه بالتتلمذ للإنجيل وتعليم الرسل: «أني أنا حي فأنتم ستحيون.» (يو ١٤: ١٩)

وواضح أن البيت الروحي هو الكنيسة المتحدة بالمسيح والتي يقيمها المؤمنون بالعبادة الحيَّة والشركة الصادقة في المحبة. أما الذبائح المقبولة فهي الصلاة والتسبيح والتمجيد: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم.» (مت ١٨: ٢٠)

فالكنيسة هي موضع الذبائح الروحية المقبولة، والكهنوت المقدَّس في المسيح وفي وجوده الحي في وسط المؤمنين في خدمة الكلمة الحيَّة، فنحن الذين أعطينا حياتنا لله وتقدَّسنا بالكلمة فنحن المعتبرون ذبائح حيَّة لله.

+ «ولكنني وإن كنت أنسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته أُسر وأفرح معكم أجمعين.» (في ٢: ١٧)
+ «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدِّموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية.» (رو ١٢: ١)
+ «فلنقدِّم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه. ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يُسر الله.» (عب ١٣: ١٥ و١٦)

٢: ٦ «لِذلِكَ يُتَضَمَّنُ أَيْضاً فِي الْكِتَابِ: هَئَذَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ زَاوِيَةٍ مُخْتَاراً كَرِيماً، وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَنْ يُخْزَى».

هنا يذكر ما سبق وكتبناه عن إشعياء النبي (٢٨: ١٦).
ويقصد بحجر صهيون، وحجر الزاوية يسوع المسيح من نسل داود.
«والذي يؤمن به لن يخزى» جاءت في النص "بل سيُقبَل لدى الله".

٢: ٧ «فَلَكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تُؤْمِنُونَ الْكَرَامَةُ، وَأَمَّا لِلَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ، فَالْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ، هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ»

هنا يقصد الذين أُرسلت إليهم الرسالة لأنهم آمنوا بالمسيح وصارت لهم كرامة المسيح بمعنى قد صاروا ورثة المسيح في الله.

أما الذين لا يطيعون، فلحظّهم السيِّئ المميت أن المسيح قد صار رأس الزاوية، كما ذَكَرَ سفر إشعياء (٨: ١٤):
+ «ويكون مَقْدِساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتي إسرائيل وفخًّا وشركاً لسكان أُورشليم، فيعثر

بها كثيرون، ويسقطون فينكسرون ويعلقون فيُلْقَطُون.» (إش ٨: ١٤ و١٥)

وانظر أيضاً: (رو ٩: ٣٣):

+ «كما هو مكتوبٌ ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل مَنْ يؤمن به لا يُخزَى».

أما عند القديس لوقا فقد سُمِّي بصخرة هلاك:

+ «فنظر إليهم وقال إذاً ما هو هذا المكتوب الحجر الذي رفضه البنَّاؤون هو قد صار رأس الزاوية. كل مَنْ يسقط على ذلك الحجر يترضَّض، ومن يسقط هو عليه يسحقه.» (لو ٢٠: ١٧ و١٨)

٢: ٨ «وَحَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ. الَّذِينَ يَعْثُرُونَ غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْكَلِمَةِ، الأَمْرُ الَّذِي جُعِلُوا لَهُ».

ويعني أن المسيح يصير للذين لم يؤمنوا به سبب هلاك.

+ «لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح.» (١تس ٥: ٩)

والمسيح يضع الذين لم يؤمنوا به حسب نص الآية القديمة، يضعهم في موضع الخزي.

وبقوله: «الأمر الذي جُعلوا له» يفيد أنهم قد هلكوا باختيارهم.

٢: ٩ «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ».

غير الطائعين رُفضوا وعثروا لأنهم مرفوضون، وأما الذين أطاعوا الكلمة واعتمدوا وآمنوا بالمسيح وبمَنْ أرسله، فدخلوا في زمرة القديسين وأهل بيت الله، وأخذوا الجنس الجديد الذي خلقه المسيح للبشرية الطائعة يوم قيامته. فصاروا - حقًّا - جنساً مختاراً في الابن الوحيد، لا بعهد سيناء وإنما بعهد دم الحمل الذي بلا عيب يسوع المسيح فمُسحوا بمسحته، وأخذوا كهنوته بالميراث السماوي، وصاروا أبناء ملكه مالكين معه إلى الأبد. لهم قداسته التي قدَّس بها ذاته لكي تكون هي قداستنا، واختار أفرادها من كل العالم، من كل لسان وأُمة، كل مَنْ آمن واعتمد دخل في جسم الكنيسة الذي هو جسده المقدَّس، فصاروا أُمة مقدَّسة لها ثبوت دائم في المسيح ومختومة بيد الله، وأصبحوا للمسيح شعباً مختاراً من كل أطراف العالم، ودخلوا الحظيرة وصاروا له حملاناً صغيرة يضعها في حضنه ويقود المرضعات. وهو شعب ليس له عرق أرضي ولا جنس يمتُّ لآدم، ولكنه شعب قد اشتراه المسيح بدمه لله، فهو

شعب مُشتَرَى أي شعب اقتناه الله لا بذهب ولا فضة بل بدم الحمل الوديع الابن المحبوب:

+ «لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأُمة، وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة، فسنملك (في الحياة إلى الأبد).» (رؤ ٥: ٩ و١٠)

هنا ولو أن كل الأسماء والألقاب والتشبيهات هي التي وردت في العهد القديم، ولكن لا يُقصد بها إسرائيل، ولكن إسرائيل كانت ظلاً لها وشبه السماويات (عب ٨: ٥)، أما هنا فالسماويات عينها (عب ٩: ٢٣). إسرائيل قد فُدي في العهد القديم بحمل الفصح؛ وهنا فُدي شعب الله بابن الله ذاته الذي كان يشبه الحمل الوديع في أخلاقه لتتم الأوصاف الظاهرية ويبقى الجوهر سرًّا مكتوماً. وإسرائيل كان لها خدَّام كهنة ورثوا كهنوتهم من هارون رئيس الكهنة، وهنا كهنة خدام للكلمة، كل مَنْ حملها في قلبه وجعلها في لسانه، ورثوا كهنوتهم من رئيس الكهنة الأعظم يسوع المسيح خادم الأقداس العليا الذي دخل أول مرَّة فوجد لنا فداءً أبديًّا (عب ٩: ١٢).

وقد سبق القديس بطرس ووصف سامعيه وقارئيه قائلاً: «أنتم الذين بقوَّة الله محروسون، بإيمان، مستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير» (١بط ١: ٥)، والآن يكشف كل سر الحقيقة.

وعبارة «جنس مختار» أخذها من إشعياء النبي: «لأسقي **شعبي مختاري**» (إش ٤٣: ٢٠) وفي الترجمة السبعينية وُجِدَت «جنسي المختار» τὸ γένος μου τὸ ἐκλεκτόν وهكذا أيضاً جاءت في (إش ٤٣: ١٠):

+ «أنتم شهودي يقول الرب وعبدي **الذي اخترته** لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أني أنا هو. قبلي لم يصوَّر إله وبعدي لا يكون. أنا أنا الرب وليس غيري مخلِّص.» (إش ٤٣: ١٠ و١١)

وجاءت أيضاً في (إش ٤٤: ٢).

هذه الأوصاف قد وُضِعت للمسيحيين بسبب محبة الله ولأنهم اختيروا من العالم ولم يعودوا يتبعون العالم: «بطرس رسول يسوع المسيح إلى المتغرِّبين ... المختارين» (١بط ١: ١)

وكلمة «**الملوك**» صفة تأتي قبل الكهنوت، في الأصل اليوناني، لأن صفة المسيح هي ملك وكاهن على رتبة ملكي صادق:

+ «ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض. الذي أحبَّنا وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه. وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين.» (رؤ ١: ٥ و٦)

ويلزم الاهتمام بتقديم الملوك على الكهنة في الوعد الإلهي، لأن الكاهن هو خادم الكلمة أما الملك فمخدوم، لذلك أُعطيَ نصيب الملوكية قبل نصيب الكهنوت لكي تكون الخدمة خدمة ملوكية، وهذا يعطي الكهنوت أعلى درجة للحرية.

أما قوله: «**شعب اقتناء**» λαὸς εἰς περιποίησιν فيراها القديس بولس في رسالته إلى تيطس هكذا: «الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهِّر لنفسه **شعباً خاصاً** λαὸν περιούσιον غيوراً في أعمال حسنة.» (تي ٢: ١٤)

وكلمة «**نوره العجيب**» هو معرفة المسيح والآب. هذا هو النور الحقيقي.

وكثير من الشُرَّاح الكبار جعلوا الكلام منصبًّا على رفض إسرائيل واستبدالها بالكنيسة، ولكن هذا لا يستقيم روحيًّا أبداً، فإسرائيل هي ظل السماويات في كل ما لها، فإذا أزيل الظل يلزم إزالة الأصل، لذلك إسرائيل باقية مهجورة كوعد الله إلى أن يدخل ملء الأُمم، ثم تأخذ بعد ذلك مكانها الجديد بنوع آخر.

٢: ١٠ «الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْباً، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ. الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ وَأَمَّا الآنَ فَمَرْحُومُونَ».

والكلام هنا مأخوذ من هوشع النبي:

+ «فقال ادْعُ اسمه لوعَمِّي (ليس شعبي) لأنكم لستم شعبي وأنا لا أكون لكم.» (هو ١: ٩)
+ «وأزرعها لنفسي في الأرض وأرحم لورحامة وأقول للوعَمِّي أنتَ شعبي وهو يقول أنتَ إلهي.» (هو ٢: ٢٣)

والذي يوضِّح الكلام أكثر قول هوشع:

+ «ويكون عوضاً عن أن يقال لهم لستم شعبي يُقال لهم أبناء الله الحي.» (هو ١: ١٠)

واضح أن الله لم يتغيَّر ولكن الذي تغيَّر هو الشعب لأن الله في أوقات كثيرة رفض أن يكون شعب إسرائيل هو شعبه، ولكنه عاد ورحم من الشعب مَنْ تاب وعاد إلى الله وآمن بالتجديد وقَبِلَ إرسالية الخلاص، هؤلاء كل مَنْ قبلوا الخلاص صاروا من شعب الله بل وأولاد الله. وهذا الوصف هو لسبي إسرائيل الذين قبلوا المسيح وآمنوا بالخلاص. والخراف الأُخر التي من حظائر أخرى اشتركت في نفس الخلاص وآمنت ودخلت الحظيرة تحت رعاية نفس الراعي الصالح.

وواضح أنهم في السابق قد فقدوا معزَّة الله ورحمته بأعمالهم ولكن الآن بعد أن اعتمدوا وآمنوا

صاروا من أولاد الله فدخلوا لرحمة الله الكاملة.

٢: ١١ «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ كَغُرَبَاءَ وَنُزَلاَءَ، أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفْسَ».

الآن وبعد أن وضع بطرس الرسول الكنيسة المتغرِّبة في أعلى قمة المستويات البشرية، كملوك وكهنة لله الآب، الآن يعود إلى علاقة أفراد الكنيسة بالعالم وأهل العالم، وكيف ينبغي على المؤمنين باسم المسيح أن يكونوا بلا لوم في كل السلوك تجاه الأُمم، بل يكونوا أيضاً مثالاً أعلى أمام الناس، معتمداً في ذلك على الأساس الذي يعيشون به.

وبقوله «أيها الأحباء» فهنا يذكِّرهم بالفضيلة الأُولى والمُثلى في المسيحية التي تشهد للمسيح.

ويكون سلوكهم بإحساس مَنْ هم غرباء ونزلاء بالنسبة لمستوطني العالم لأن وطنهم الحقيقي هو فوق في السماء. والآن يعيشون كغرباء عن وطنهم ونزلاء على الأرض، فتكون سيرتهم وسلوكهم باتضاع وغير متكالبين على العالم ولا شهوات الجسد لأن الذين يعيشون حسب الجسد هم في الحقيقة يعيشون موتهم لا حياتهم.

وفي سفر العبرانيين يذكر القديس بولس أن الآباء القديسين الأولين قد عاشوا عيشة مَنْ هم غرباء ونُزلاء على الأرض لأنهم كانوا يطلبون وطناً أفضل، أي سماوي، مؤكِّداً أنهم عاشوا طيلة حياتهم على رجاء المواعيد الآتية وماتوا ولم يروها، أما نحن الآن المؤمنين بالمسيح فقد استوطنَّا حقًّا فوق فأصبحنا بإرادتنا غرباء ونزلاء على الأرض لأننا نطلب الوطن السمائي.

والشهوات الجسدية منحازة للجسد وللعالم وللتراب الذي أُخذ منه آدم وتسبب في اللعنة التي تورث الجسد التراب ثانية. أما النفس فهي منحازة بطبيعتها لنفخة الله التي أعطاها لآدم ليعيش بها ويقاوم الجسد لو أراد وأطاع الله. والنفس في المسيحية هي التي تتجدد وتأخذ صورة خالقها في القداسة والحق. لذلك فالحرب في المسيحية قويَّة بين النفس المنحازة للروح وبين الجسد المنحاز للتراب والعالم: «أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف» (مت ٢٦: ٤١). وهذا هو قول المسيح لما كان يصلِّي في جثسيماني ولذلك قال لهم: «صلُّوا لئلا تدخلوا في تجربة!» (مت ٢٦: ٤١) لأنها حرب الشيطان، فهو يحارب النفس عن طريق الجسد!

فشهوات الجسد مصوَّبة نحو النفس لكي تفقد رجاءها وحبَّها وصلتها بالمسيح. لأن الإنسان إما أن

ينحاز نحو الجسد وإما ينحاز نحو الروح، وهكذا إما يُستعبد للجسد وإما يتحرَّر من سلطان الجسد ويعبد الله بالروح.

وبولس الرسول ينصح تلميذه تيموثاوس أن يهرب من الشهوات الشبابية أي لا يعطيها فرصة بل يقاومها ويهرب من كل مواقفها.

ولكن الشهوات الجسدية لا تنحصر في الناحية الجنسية فقط، بل محبة المال هي شهوة جسدية، ومحبة اقتناء الأشياء الثمينة والذهب وفصوص الماس شهوة جسدية قادرة أن تجر النفس إلى الهلاك، وحب العظمة والرئاسة هي شهوة جسدية تحارب النفس المحبة للعبادة والتواضع، وشهوة البطن في أنواع المأكولات والمشروبات هي تحارب النفس وتسلب الإنسان خفة الجسد وانتباه الروح للصلاة والعبادة. والشهوات الجسدية لا حصر لها، فكل ما يحارب النفس ويحرم الإنسان من العبادة والصلاة يكون دائماً من وحي الجسد:

+ «وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكمِّلوا شهوة الجسد، لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون.» (غل ٥: ١٦ و١٧)

+ «ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.» (غل ٥: ٢٤)

وهنا صلب الجسد مع الأهواء والشهوات هي صناعة القديسين التي تفرَّغوا لها خاصة في بدء حياتهم، فالصوم والسهر وقراءة الإنجيل والسجود المتواتر وقراءة سير القديسين والوقوف في الصلاة ساعات طويلة هي صلب الجسد مع الأهواء والشهوات، لأنها تتوقَّف وتضعف وتتلاشى ويعيش الإنسان حرًّا من مجاذبات الجسد وشهواته، ويتفرَّغ للمعيشة مع المسيح في سيرة القداسة والطهارة وطاعة المسيح.

٢: ١٢ «وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا، فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ، يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا».

يلاحظ أن التوجيه السالف في الآية (١١) كان سالباً بمعنى الامتناع، أما في هذه الآية فيركِّز التوجيه على الناحية الإيجابية من جهة السلوك المسيحي في العالم. هنا يوجِّه أنظار المؤمنين المتغرِّبين في وسط الأُمم أن تكون سيرتهم وسلوكهم حسناً أو صالحاً يتناسب والمسيح الذي يعبدونه بالروح القدس الذي بلا عيب. فالمطلوب من المسيحي لا أن يكون قديساً في المجتمع الذي يعيش فيه ولكن ذا سيرة حسنة أي ممدوحة وصالحة. لأن المسيحية دائماً في وسط الأُمم مذمومة ومُفْتَرى عليها، والذين يتبعون المسيح

يدفعون ضريبة تبعية المسيح أي الصليب. فشهادة بيلاطس «أني لست أجد فيه علَّة» (يو ١٩: ٦) تنبِّه ذهن المسيحيين أن تكون سيرتهم على مستوى المصلوب. فهو صُلب أي حُكم عليه بالإعدام، بينما هو، من فم القاضي، لم يفعل علَّة واحدة تؤخذ عليه، مع ذلك حَكَمَ بصلبه. فهكذا يكون سلوك المسيحيين شاءوا أم أبوا: أن تصدر ضدَّهم الأحكام بينما سيرتهم تشهد لهم أنهم لا توجد علَّة واحدة تؤخذ عليهم. ولكن مذمَّة الناس وحكمهم الخاطئ إنما يمجِّد الله يوم الاستعلان لأن سيرتهم تشهد أنهم إنما حملوا الصليب حسناً:

+ «وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهَدون.» (٢تي ٣: ١٢)

ولكن توجيه القديس بطرس هو أن يكون سلوك المسيحيين حسناً بين الأُمم حتى ولو اعتبروهم فاعلي شر، وهذا يمجِّد المسيح.

وحكم الأُمم على المسيحيين أنهم فاعلو شر لا يأتي عن اقتناع ولكن سببه هو أنهم يختلفون عنهم في السلوك والصدق والأمانة والطهارة، فهم مكروهون لأنهم يعطون المثل الأعلى الذي يدين الآخرين بدون وعظ أو شهادة. وهذا لم يَفُتْ على القديس بطرس بل قاله بالحرف الواحد: «الأمر الذي فيه يستغربون أنكم لستم تركضون معهم إلى فيض هذه الخلاعة عينها مجدِّفين» (١بط ٤: ٤). بل ويعتبرون المسيحيين أنهم مجرمون لأنهم يخالفون المجتمع العالمي وأنهم خطر. وهذه وضحت أيام نيرون لما اضطهد المسيحيين باعتبار أنهم قد أشعلوا النار في روما، ولكن المؤرِّخ تاسيتس يقول في مذكراته (١٥: ٤٤) سنة ١١٠ ميلادية:

[استطاع نيرون أن يثير الشك في الذي بدأ بإشعال النار ليخفي عمله هو لأنه هو الذي أشعل النار في روما. وحوَّل الأنظار نحو المسيحيين الذين كانوا مكروهين من أجل جرائمهم. ولكن بعد تحقيق الشرطة لم يقتنع أنهم هم السبب في إشعال النار ولكن السبب كان فقط كراهيتهم للجنس البشري.][٣]

وحقَّق ذلك المؤرِّخين سيوتونيوس Suetonius: (نيرون ١٦ – Nero, III. ii. LCL)

وهنا يقصد القديس بطرس أن يرد المسيحيون على ادعاءات الأُمم في افتراءاتهم الكاذبة، وذلك بأن يظهروا أمام الناس بأعمالهم الصالحة وتمجيد الله. وهو يعطي نموذجاً حيًّا لذلك في رسالته:

+ «كذلك أيتها النساء كُنَّ خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يُربحون

(3) *Comment. on 1st Peter*. Leonhard Goppelt (p. 159 no 17).

بسيرة النساء بدون كلمة. ملاحظين سيرتكم الطاهرة بخوف.» (١بط ٣: ١ و٢)

فالوسيلة الوحيدة لإسكات افتراءات غير المؤمنين هو سلوك المسيحيين الصالح كنموذج حي لمن هو المسيحي، الذي سيُستعلن علناً يوم استعلان المسيح، فتصير أعمال المسيحيين تمجيداً للمسيح.

وكان تقليد الكنيسة شديداً في لفت أنظار المؤمنين أنهم شهود للمسيح بأعمالهم لكي يكونوا كارزين لا بالكلمة ولكن بالأعمال التي تمجِّد المسيحية والله. وإليك الأمثلة:

+ «كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله.» (١كو ١٠: ٣٢)
+ «اسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج مفتدين الوقت. ليكن كلامكم كل حين بنعمة مُصلَحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد.» (كو ٤: ٥ و٦)
+ «لكي تسلكوا بلياقة عند الذين هم من خارج ولا تكون لكم حاجة إلى أحد.» (١تس ٤: ١٢)
+ «ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس.» (١تي ٣: ٧)
+ «جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يُفتَرى على اسم الله وتعليمه.» (١تي ٦: ١)
+ «متعقلات عفيفات ملازمات بيوتهن صالحات خاضعات لرجالهن لكي لا يُجدَّف على كلمة الله.» (تي ٢: ٥)
+ «مقدِّماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة ومقدِّماً في التعليم نقاوة ووقاراً وإخلاصاً وكلاماً صحيحاً غير ملوم. لكي يُخزى المضاد إذ ليس له شيء رديء يقوله عنكم. والعبيد أن يخضعوا لسادتهم ويرضوهم في كل شيء غير مناقضين غير مختلسين بل مقدِّمين كل أمانة صالحة لكي يزينوا تعليم مخلِّصنا الله في كل شيء.» (تي ٢: ٧ - ١٠)
+ «لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء.» (١بط ٢: ١٥)
+ «ولكم ضمير صالح لكي يكون الذين يشتمون سيرتكم الصالحة في المسيح يخزون فيما يفترون عليكم كفاعلي شر.» (١بط ٣: ١٦)
+ «فلا يتألم أحدكم كقاتل أو سارق أو فاعل شر أو متداخل في أمور غيره.» (١بط ٤: ١٥)
+ «فليضئ نوركم هكذا قدَّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات.» (مت ٥: ١٦)

هنا إشارة المسيح لنجاح عملية الكرازة بالأعمال في المستقبل وإمكانية تحول الأعداء إلى مَن

يمجدون الآب السماوي، وقد سمعنا ببعض الحالات المبنية على أثر السلوك الصالح على نفوس الناس.

قائمة الواجبات المفروضة على المسيحي في التقليد الكنسي:

نجدها في (١بط ٢: ١٣ - ٣: ٧) وهي متصلة بمجموعة كولوسي (٣: ١٨ - ٤: ١) كما أنها متصلة بمجموعة أفسس (٥: ٢٢ - ٦: ٩) وتدعى قائمة الواجبات أو قانون شئون البيت.

ونخصّص لها سرداً يضمّها في مقابل بعضها ليظهر التقليد الكنسي واهتمامه.

(١بط ٢: ١٣ - ٣: ٧)

+ «فاخضعوا لكل ترتيب بشريٍّ من أجل الرب. إن كان للملك فكمن هو فوق الكل، أو للولاة فكمُرسَلين منه للانتقام من فاعلي الشر، وللمدح لفاعلي الخير. لأن هكذا هي مشيئة الله: أن تفعلوا الخير فتُسكتوا جهالة الناس الأغبياء. كأحرار، وليس كالذين الحرية عندهم سترةٌ للشرِّ، بل كعبيد الله. أكرموا الجميع. أحبوا الإخوة. خافوا الله. أكرموا الملك.

أيها الخُدَّام، كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة، ليس للصالحين المترفّقين فقط، بل للعنفاء أيضاً. لأن هذا فضلٌ، إن كان أحدٌ من أجل ضمير نحو الله، يحتمل أحزاناً متألّماً بالظلم. لأنه أيُّ مجد هو إن كنتم تُلطَمون مُخطئين فتصبرون؟ بل إن كنتم تتألّمون عاملين الخير فتَصبرون، فهذا فضلٌ عند الله. لأنكم لهذا دُعيتم. فإن المسيح أيضاً تألّم لأجلنا، تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطيةً، ولا وُجدَ في فمه مكرٌ، الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألّم لم يكن يهدِّد بل كان يُسلِّم لَمَنْ يقضي بعدل. الذي حَمَلَ هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجَلْدَتِهِ شُفيتم. لأنكم كنتم كخرافٍ ضالة، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأُسقفها.

كذلكُنَّ أيتها النساء، كُنَّ خاضعات لرجالكُنَّ، حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة، يُربَحُون بسيرة النساء بدون كلمة، ملاحظين سيرتكُنَّ الطاهرة بخوف. ولا تكن زينتكُنَّ الزينة الخارجية، من ضفر الشعر والتحلّي بالذهب ولبس الثياب، بل إنسان القلب الخفي في العديمة الفساد، زينة الروح الوديع الهادئ، الذي هو قدَّام الله كثير الثمن. فإنه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكلات على الله يُزيِّن أنفُسَهُنَّ خاضعات لرجالهنَّ. كما كانت سارة تُطيع إبراهيم داعيةً إياه سيِّدها. التي صرتُنَّ أولادها، صانعاتٍ خيراً، وغير خائفاتٍ خوفاً البتة.

كذلكم أيها الرجال، كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائيِّ كالأضعف، مُعطين

إيَّاهُنَّ كرامةً، كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة، لكي لا تُعاق صلواتكم. **والنهاية** كونوا ...».

(كو ٣: ١٨ – ٤: ١):

+ «أيتها النساءُ، اخضعنَ لرجالكُنَّ كما يليقُ في الربِّ. أيها الرجالُ، أحبوا نساءَكُم، ولا تكونوا قُساةً عليهنَّ. أيها الأولادُ، أطيعوا والديكم في كلِّ شيءٍ لأن هذا مرضيٌّ في الربِّ. أيها الآباءُ، لا تُغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا. أيها العبيدُ، أطيعوا في كلِّ شيءٍ سادتكم حسب الجسد، لا بخدمة العين كمَنْ يُرضي الناس، بل ببساطة القلب، خائفين الربَّ. وكلُّ ما فعلتم، فاعملوا من القلب، كما للربِّ ليس للناس، عالمين أنكم من الربِّ ستأخذون جزاءَ الميراث، لأنكم تخدمون الرب المسيح. وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة.

أيها السادة، قدِّموا للعبيد العدل **والمساواة**، عالمين أن لكم أنتم أيضاً سيِّداً في السموات».

(أف ٥: ٢٢ – ٦: ١٠):

+ «أيها النساءُ اخضعنَ لرجالكُنَّ كما للربِّ، لأن الرجل هو رأسُ المرأة كما أن المسيح أيضاً رأسُ الكنيسة، وهو مخلِّصُ الجسد. ولكن كما تخضعُ الكنيسةُ للمسيح، كذلك النساءُ لرجالهنَّ في كل شيءٍ. أيها الرجال، أحبوا نساءكم كما أحبَّ المسيحُ أيضاً الكنيسة وأسلَمَ نفسه لأجلها، لكي يُقدِّسها، مُطهِّراً إيَّاها بغسل الماء بالكلمة، لكي يُحضرها لنفسه كنيسةً مجيدةً، لا دَنَسَ فيها ولا غَضْنَ أو شيءٌ من مثل ذلك، بل تكون مقدَّسةً وبلا عيب. كذلك يجبُ على الرجال أن يُحبُّوا نساءَهُم كأجسادهم. مَنْ يُحبُّ امرأته يُحبُّ نفسه. فإنه لم يُبغضْ أحدٌ جسدهُ قطُّ، بل يَقُوتُهُ ويُربِّيه، كما الرب أيضاً للكنيسة. لأننا أعضاءُ جسمه، من لحمه ومن عظامه. من أجل هذا يترك الرجل أباهُ وأُمَّهُ ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السرُّ عظيمٌ، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة. وأما أنتم الأفرادُ، فليُحبَّ كلُّ واحدٍ امرأته هكذا كنفسه، وأما المرأةُ فلتَهَبْ رجُلَهَا.

أيها الأولاد، أطيعوا والديكم في الربِّ لأن هذا حقٌّ. أكرم أباك وأُمَّكَ، التي هي أوَّل وصيَّة بوعد، لكي يكون لكم خيرٌ، وتكونوا طوال الأعمار على الأرض. وأنتم أيها الآباءُ، لا تُغيظوا أولادكم، بل ربُّوهم بتأديب الربِّ وإنذاره.

أيها العبيدُ، أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوفٍ ورعدَة، في بساطة قلوبكم كما للمسيح لا بخدمة العين كمَنْ يُرضي الناس، بل كعبيد المسيح، عاملينَ مشيئة الله من القلب، خادمين بنيَّةٍ

صالحة كما للربِّ، ليس للناس. عالمين أن مهما عَمِلَ كل واحد من الخير فذلك يناله من الربِّ، عبداً كان أم حُرًّا. وأنتم أيها السادة، افعلوا لهم هذه الأمور، تاركين التهديد، عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات، وليس عنده محاباةٌ. **أخيراً** يا إخوتي ...».

والمُلاحَظ على هذه الأساليب للحياة اليومية بالنسبة للآباء والأولاد والنساء والرجال والعبيد أنها تتلاقى كلها في قالب واحد يمثِّل العصر الذي كان يعيش فيه الرسل، ولكن المبادئ والمُثُل العليا كلها مأخوذة من التوراة والإنجيل.

وتُعتبر التوصيات التي جاءت في رسالة كولوسي بالنسبة لأسلوب الحياة اليومية هي أقدم ما وُجد وهي تختلف عن أسلوب باقي الرسالة.

والغرض الذي تركِّز عليه التوصيات هي علاقة المسيحي بالآخرين: بالأب أو الابن أو الأخ أو الأم أو العمل أو الحكومة أو الملك أو الأسياد أو العبيد أو الأزواج.

ويُلاحَظ أن التوصيات التي جاءت في رسالة كولوسي أو رسالة أفسس جاءت ازدواجية، وكل اثنين تبدأ بالأقل أولاً: الزوجات ثم الأزواج، الأولاد والآباء، العبيد والأسياد.

ولكن في رسالة القديس بطرس الأُولى، نجد أن القديس بطرس مهتم بالعلاقات العامة.

٢: ١٣ «فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ، إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ».

هذه التوصيات بالخضوع (وليس الطاعة) نجدها واردة في رسالة القديس بولس إلى أهل رومية (١٣: ١ - ٧) هكذا:

+ «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطانٌ إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتَّبة من الله، حتى إن كل مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونةً. فإن الحُكَّام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ افعل الصلاح فيكون لكَ مدحٌ منه، لأنه خادم الله للصلاح! ولكن إن فعلتَ الشرَّ فَخَفْ، لأنه لا يحملُ السيف عبثاً، إذ هو خادم الله، منتقمٌ للغضب من الذي يفعل الشرَّ. لذلك يلزمُ أن يُخْضَعَ له، ليس بسبب الغضب فقط، بل أيضاً بسبب الضمير. فإنكم لأجل هذا تُوفُونَ الجزية أيضاً، إذ هُم خُدَّام الله مواظبونَ على ذلك بعينه. فأعطوا الجميع حقوقهم: الجزية لَمَنْ له الجزية. الجباية لَمَنْ له الجباية. والخوفَ لَمَنْ له الخوفُ والإكرامَ لَمَنْ له الإكرامُ».

كذلك نجدها في الرسالة الأُولى لتيموثاوس (٢: ١ - ٣) هكذا:

+ «فأطلب أول كل شيء، أن تُقام طلباتٌ وصلواتٌ وابتهالاتٌ وتشكُّراتٌ لأجل جميع النـــاس، لأجل الملوك وجميع الذين هُم في منصب، لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار، لأن هذا حسنٌ ومقبولٌ لدى مخلِّصنا الله».

كذلك نجدها في الرسالة إلى تيطس (٣: ١ و٢) هكذا:

+ «ذكِّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين، ويطيعوا، ويكونوا مستعدين لكل عملٍ صـــالحٍ، ولا يطعنوا في أحد، ويكونوا غير مخاصمين، حكماء، مُظهرين كل وداعة لجميع الناس».

تقليد وصايا المجتمع:

واضح أنه كان في الكنيسة تقليد عام وراء هذه النصوص وهو يعتمد أساساً على وصـــية الـــرب والمخلِّص:

+ «يا معلِّم، نعلم أنك صادقٌ ولا تُبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، بل بالحقِّ تُعلِّم طريق الله. أيجوز أن نُعطي جزية لقيصر أم لا؟ نعطي أم لا نعطي؟ فعَلِمَ رياءَهُم، وقـــال لهـــم: لمـــاذا تجرِّبونني؟ ايتوني بدينار لأنظره. فأتوا به. فقال لهم: لَمَنْ هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر. فأجاب يسوع وقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فتعجَّبوا منه.» (مر ١٢: ١٤ - ١٧)

ونجدها مكمَّلة عند اكليمندس الروماني في رسالته الأُولى.

وهذه النصوص في مجموعها نجدها أنها ليست متفقة معاً فقط من جهة دعوة المسيحيين أن يحترموا الدولة، ولكنها أيضاً تمتد لتعطي نفس الكلمات، وكلها تنادي لا فقط بالطاعة، ولكـــن بالخضـــوع للحكام كسلطة عليا بأسمائهم في ذلك الوقت، كلٌ بلقبه؛ باعتبار أن كافة السلطات تعامل بالعدالـــة. وهذه الوصايا تماثل في الجزء الأكبر منها التعبيرات اليونانية في ذلك الوقت، مستخدمة في ذلك التقليد الكنسي. والذي أورده القديس بطرس الرسول في الأصحاح الثاني من رسالته الأُولى نجده مطابقاً حرفيًّا لما جاء في رسالة رومية (١٣)، وفي الرسائل الرعوية. لأن الذي جاء في الرسالة إلى رومية هو الشكل الأصلي الذي أخذت منه الكنيسة تقليدها.

ولكن الذي جاء في الرسالة الأُولى للقديس بطرس (٢ - ٣) لا يعود إلى الله بصفته مؤسِّس الترتيب الرئاسي كما أتى في رسالة رومية عن الخضوع للسلطات العليا لأنها مرتَّبة من الله (١٣: ١ - ٧) الذي يلمِّح إلى تلكؤ اليهود في الخضوع للرياسات، وترمُّت بعض المسيحيين تجاه أهمية الحكومة المدنية. ولكن

القديس بولس يؤكّد أن المسيحيين مُطالبون بالخضوع للسلطات الرسمية من أجل الضمير (رو ١٣: ٥).

ولكن القديس بطرس يلفت نظر المسيحيين إلى أنه يلزم عليهم الخضوع لكل مَنْ له كرامة في الدولة وللجميع (٢: ١٧). ويشير القديس بطرس إلى أن الخضوع الكامل للهيئات الرسمية هو إعلان للحرية المسيحية (٢: ١٦).

ولكن كل من القديس بطرس الرسول في رسالته الأُولى والقديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية يلمّح إلى تقليد مسيحي واحد إنما مُصاغاً بطريقة مختلفة.

ويهتم القديس بطرس بوضع أساس لكل توجيهاته وهو: «من أجل الرب»، «لأن هكذا هي مشيئة الرب». ولما قال: «أكرموا الجميع» كان يقصد كل ممثّلي الدولة، وأعطى مثل صَلْب المسيح وآلامه كمَثَل لاحتمال القسوة والظلم.

وحينما بدأ بطرس الرسول توجيهاته بدأها بالخضوع لكل ترتيب بشري. وقد فسَّر هذا القول العلماء بأنه بحسب ما جاء في اليونانية يفيد الأنظمة المدنية لحكام المدينة والهيئات المدنية التي تخدم الرعية. وهذا نوع من الترقّي في فهم القديس بطرس لواجب المجتمع وكل مَنْ يمثّله.

وعندما يحض القديس بطرس على الخضوع، يعطي أساس الخضوع أنه "لأننا أحرار"، والحرية عند القديس بطرس هي حرية الفداء الذي رفعنا من مستوى الخطاة والجهالة إلى مستوى الأبرار والحكماء، ومن مستوى ظلمة هذا الدهر إلى نور معرفة الله.

وحينما يحض القديس بطرس على إكرام الجميع، ليس للأقوياء والأغنياء فقط بل وللعبيد والأسياد العنفاء، فهذه حكمة المسيحي من نحو رقي المجتمع وهي على مستوى المحبة الأخوية المطلوبة للمؤمنين داخل الكنيسة.

«فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب»:

«اخضعوا ... من أجل الرب»:

هنا واضح فكر القديس بطرس في أن الخضوع أمر صعب بالنسبة للمسيحي لأنه لا يخضع إلا لله، لذلك لكي يقود المسيحي إلى وضع لائق ومناسب له وضع سبب الخضوع أنه «من أجل الرب» أو تكريماً وتقديساً للرب. ونجد الرسول بعد ذلك يبني كل توجيهاته على أساس هذا المفهوم.

والخضوع للسلطات وهيئات الدولة تقليد رسولي كما سبق وأوضحنا، ونجده مكرَّراً في (رو ١٣: ١):

«لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتَّبة من الله»، وأيضاً: «لذلك يلزم أن يُخضَعَ له (السلطان) ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير» (رو ١٣: ٥). كذلك نجدها في رسالة كورنثوس الأُولى ولكن من جهة خضوع النساء لرجالهن (١كو ١٤: ٣٤) وتُكرَّر في معظم الرسائل من جهة هذا الأمر (أف ٥: ٢٢)، (كو ٣: ١٨)، (تي ٢: ٥).

ولكن خضوع المسيحي للسلطات هو من أجل الرب، بمعنى لكي لا نجعل أنفسنا عثرة أمام الآخرين. وفي الأصل اليوناني تأتي بمعنى الخضوع لترتيب المدينة أو المؤسسات.

وكون القديس بطرس يضع الخضوع للملك في رأس توجيهاته، فمن خلْف الكلام يظهر ما يدور في خُلد القديس بطرس وهو الاضطهاد الشديد الذي كان يقوم به الأباطرة في أيام الرسل. فالخضوع هنا هو لحساب سمعة الكنيسة وسلامتها وحفاظاً على حياة أولادها. أما قوله: «فكمن هو فوق الكل»، هنا يمتد الخضوع لمن يعيِّنه الإمبراطور من ملوك وولاة، والمعنى يشمل كل السلطات.

٢: ١٤ «أَوْ لِلْوُلاَةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ».

الولاة هُم الرؤساء المباشرون الذين يباشرون سلطات الدولة، وأهم بنود السلطة هو الأمن، لذلك كان فكر القديس بطرس منصبًّا على فاعلي الشر بمعنى انضباط الأمن بالقوة والعقاب للمخالفين ومدح الموالين للدولة الذين يقومون بأعمال تعود على الدولة بالخير.

والقديس بطرس لا يستعمل أسلوب القديس بولس الذي يتمادى في تعلية شأن الولاة أنهم خدَّام الله (رو ١٣: ٤ و٦)، ولكنه في الحقيقة لا يمتدح الولاة ولا أعمالهم الخاصة ولا يحبِّذ أن يشترك المسيحيون في أعمالهم.

٢: ١٥ «لأَنَّ هكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ: أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتُسَكِّتُوا جَهَالَةَ النَّاسِ الأَغْبِيَاءِ».

القديس بطرس يهتم هنا بصالح الشعب المُضطَهَد المتألِّم، ويعلن لهم أنه في إحتمال الألم والاضطهاد يلزم أن يكون الإنسان في وضع مَنْ يفعل الخير، حتى تُحسب آلامهم شركة في آلام المسيح ويجازوا عنها بالمجد، وهذا يظهر بوضوح في الأصحاح الرابع من نفس الرسالة: «فإذاً الذين يتألَّمون بحسب مشيئة الله، فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير» (٤: ١٩). وسيشرحها باستفاضة في (٢: ١٩ و٢٠).

إذن، فمشيئة الله هي أن نعمل الخير كالمحبة للآخرين والعطف على الفقراء أكثر من الواجب المفروض. وعمل الخير بهذه الصورة قادر أن يُسكت الجهلاء الذين يشتمون طريق الرب ويسيئون إلى

سمعة المسيحيين. والمسيحي يُثاب عن تألُّمه الآن وفي يوم الافتقاد (٢: ١٢).

٢: ١٦ «كَأَحْرَارٍ، وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ سُتْرَةً لِلشَّرِّ، بَلْ كَعَبِيدِ اللهِ».

عندما قال المسيح: «تعرفون الحق والحق يحرِّركم» (يو ٨: ٣٢) هاج عليه الفريسيون باعتبار أنهم أحرار و لم يستعبدهم أحد كأولاد لإبراهيم بكل افتخار، فقال لهم المسيح: «كل مَنْ يعمل الخطية هو عبد للخطية» (يو ٨: ٣٤) وليس حرًّا. هنا يطابق القديس بطرس ذلك بقوله: إن المسيحي صار حرًّا من الخطية والعبودية لكل الأعمال الشريرة، ولكن إن كان أحد قد تحرَّر وهو لا يزال يعمل الشر فقد استخدم الحرية ستاراً ليبرِّئ نفسه من دينونة عمله الشرير، ويفصح القديس بطرس بأن الحر الحقيقي هو الذي يعبد الله من كل قلبه.

٢: ١٧ «أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ. أَحِبُّوا الإِخْوَةَ. خَافُوا اللهَ. أَكْرِمُوا الْمَلِكَ».

يحاول القديس بطرس هنا أن يخرج قليلاً من محيط السلطات فضمَّ «الجميع» وأضاف محبة الإخوة أي المؤمنين، وفوق كل شيء وقبل كل شيء «خافوا الله». ولكن المركز الذي يدور حوله جعله أخيراً وهو في ذهنه أهم شيء بعد الله «أكرموا الملك».

والآية تبتدئ بـ «أكرموا» وتنتهي بـ «أكرموا»، وفي ذهن القديس بطرس الآية: «أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون.» (١صم ٢: ٣٠)

وفي مقابل: «أكرموا الجميع»، يأتي: «أحبوا الإخوة» وهي تأتي هنا متلألئة لأن الله محبة. والقديس بطرس دون جميع الرسل مغرم بذكر كلمة «الأُخوِيَّة»[٤] = Brotherhood = τὴν ἀδελφότητα أي الكنيسة.

وهنا: «خافوا الله» تأتي بمعنى التوقير الشديد والمخافة المُحبَّة. وهنا أراد بطرس الرسول أن يضع الله قبل الملك لأن القيصر كان في رتبة تشبه رتبة الإله، والمخافة لله أعلى من إكرام الملك. ولا يزال إلى الآن إكرام الملك يصل إلى حد قريب من العبادة حينما يقف المواطن بأي رتبة ويعطي التعظيم والسلام للعَلَم.

٢: ١٨-٢٠ «أَيُّهَا الْخُدَّامُ، كُونُوا خَاضِعِينَ بِكُلِّ هَيْبَةٍ لِلسَّادَةِ، لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَطْ، بَلْ

---

(٤) جاءت في الترجمة العربية «الإخوة» (جمع أخ) ولكنها في الأصل اليوناني تعني «الأخويَّة» أو "الجماعة الأخوية" وفي ذلك إشارة إلى الكنيسة.

لِلْعُنَفَاءِ أَيْضاً. لأَنَّ هذَا فَضْلٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوَ اللهِ، يَحْتَمِلُ أَحْزَاناً مُتَأَلِّماً بِالظُّلْمِ. لأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ؟ بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيْرَ فَتَصْبِرُونَ، فَهذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللهِ».

هنا يصل القديس بطرس الرسول إلى غرض وقلب الرسالة، فهو يُرسل الرسالة إلى أعضاء الكنائس في آسيا وما حولها المتألمين ظلماً من جور الحكام وقسوة السلطان واضطهاد وتعيير المجتمع الوثني، كما يخاطب العبيد الذين كانت البشرية في أيامهم تستعبد الإنسان.

وبالتالي يكون الذين يتألّمون وهم مخطئون لا فضل لهم. ولكنه يبتدئ كلامه بحقيقة تقليدية أنه لا مجد ولا كرامة لمن يخطئ بإرادته فيتألم بينما هو سبب تألمه.

والقديس بطرس الرسول يستخدم كلمة مجد κλέος للمرة الوحيدة في العهد الجديد.

ولكن إن كان أحد يسلك حسناً ولكن يُجازَى بالظلم - ويقصد من ذلك معاقبة المسيحيين وهم يعيشون ويسلكون بالحق ولكن يتألّمون ظلماً - فهذا يُحسب له نعمة (فضل) من الله، وهذا التحمُّل للآلام يرضي الله.

والقديس بطرس يذكر في رسالته النعمة باستمرار:

+ «الذين تنبَّأوا عن النعمة التي لأجلكم.» (١: ١٠)
+ «ألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة.» (١: ١٣)
+ «كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة ...» (٣: ٧)
+ «كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة.» (٤: ١٠)
+ «وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة.» (٥: ٥)
+ «وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده ...» (٥: ١٠)
+ «واعظاً وشاهداً أن هذه هي نعمة الله الحقيقية التي فيها تقومون.» (٥: ١٢)

وهذه النعمة هي سر الابتهاج: «مع أنكم الآن - إن كان يجب - تُحزَنون يسيراً بتجارب متنوعة.» (١: ٦)

النعمة عند بطرس الرسول:

الكلمة باليونانية χάρις تؤدِّي في جذرها معنى كل ما يُسِرّ ويُبهج، والحلاوة والرأفة. والكلمة عند

القديس بولس كاصطلاح لاهوتي تعني أن الله يعطي نفسه في المسيح يسوع خاصة في عمل الفداء: «متبرِّرين مجَّاناً بنعمته (نعمة الله) بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو ٣: ٢٤). كما تعني في الإيمان الدخول الكلِّي بكل الكيان تحت المسيح: «فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو ٦: ١٤). كما أن النعمة عند القديس بولس تَهَب عطاياها الثمينة جدًّا: "ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا: نبوَّة، خدمة، تعليم، وعظ، سخاء العطاء، التدبير المجتهد، الرحمة بسرور، المحبة بدون رياء، اجتهاد نشط، حرارة روحية، رجاء فَرِح، صبر في الضيق، مواظبة على الصلاة، مشتركين في احتياجات القديسين، مقدِّمين بعضكم البعض في الكرامة، عابدين الرب، إضافة الغرباء، البركة على المضطهِدين، بركة دائمة وليس لعنة أبداً، الشركة في الفرح، الشركة مع الباكين، عدم مجازاة عن شر بشر، حسب طاقتكم سالموا جميع الناس، لا تنتقموا لأنفسكم، أطعم عدوك واسقه، لا يغلبنَّك الشر بل اغلب الشر بالخير." (رو ١٢: ٦ - ٢١)

وكلمة χάρις لم تأت في السبعينية بهذه المعاني لذلك تعتبر النعمة χάρις في العهد الجديد أنها جديدة وليس لها أصول في العهد القديم. ولا يوجد في العهد الجديد كله من استخدم النعمة في أعمق معانيها مثل بطرس الرسول[٥] في رسالته الأُولى، وغير بولس الرسول لا يوجد إلاَّ بطرس الرسول وحده من استخدم المواهب χαρίσματα كانطلاق من النعمة وهي تخريج من χάρις وجاءت خارج رسائل القديس بولس عند بطرس الرسول فقط:

+ «كونوا مضيفين بعضكم بعضاً بلا دمدمة. ليكن كل واحد بحسب ما أخذ **موهبة** χάρισμα يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على **نعمة** χάριτος الله المتنوعة.» (١بط ٤: ٩ و١٠)

والقديس بطرس يستعمل كلمة النعمة χάρις في هذه الرسالة كصورة لجوهر الخلاص، ذات لَفْتَة أخروية من الله نحو البشرية بمعنى أنه يهب الحياة[٦].

+ «كذلك أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضعف مُعطِين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم **نعمة الحياة** لكي لا تُعاق صلواتكم.» (١بط ٣: ٧)

هذا التحوُّل (النعمة) حدث بحدوث آلام المسيح حتى الموت المبشَّر بها في الإنجيل، الأمر الذي

---

(5) *A comment. on 1 Peter*, Leonahard. Goppelt. p. 200.

(6) χάρις in this letter is moreover the formal essence of the saving eschatological turning of God to humankind that bestows life.

سيشملنا جميعاً (النعمة) في الاستعلان الأخير:

+ «فألقوا رجاءكم بالتمام على **النعمة** التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط ١: ١٣)

كما يؤكّد القديس بطرس في نهاية الرسالة أن قصده الكلّي أن يوجّه نظرهم بما قدَّمه من وعظ ومن شهادة إلى أن كل ما قاله يدور حول حالة النعمة التي يعيشون ويقومون فيها:

+ «واعظاً وشاهداً أن هذه هي نعمة الله الحقيقية التي فيها تقومون.» (١بط ٥: ١٢)

مُلفتاً نظرهم إلى أن المسيح هو الذي وهبهم هذه الحالة - حالة النعمة الحقيقية التي يقومون فيها.

بل ويوجّه قلوبهم أنه حتى الذي يتألَّم بالظلم وهو في الإيمان المسيحي يعيش، فهذه أيضاً حالة نعمة **وفضل** من الله (١بط ٢: ١٩).

ثم يشهد لنعمة الله في نهاية الرسالة كختام: «وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع ...» (١بط ٥: ١٠). وأن الله يهب نعمته مجّاناً للمتواضعين (١بط ٥: ٥).

والملاحظ أن رسالة القديس بطرس الأُولى قائمة بالنعمة وعلى النعمة، فهو يبدأ بها الرسالة «لتُكثَر لكم النعمة» (١: ٢)، وينهي بها الرسالة: «إله كل نعمة» (٥: ١٠)، ويلخِّص كل ما قاله في الرسالة بأنه «النعمة الحقيقية.» (٥: ١٢)

٢: ٢١ «لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ».

قبلها مباشرة قال: «بل إن كنتم تتألَّمون عاملين الخير فتصبرون، فهذا فضل عند الله»، ويكمِّل القديس بطرس: «لأنكم لهذا دُعيتم»، ويقصد بذلك أن التألُّم ونحن عاملون الخير ونصبر، فهذا هو أساس المسيحية وإلى هذا الوضع عينه دُعينا للإيمان المسيحي.

وعبارة «لهذا دُعيتم» هي اصطلاح رسولي مسيحي وهي تعادل الاختيار للخلاص، فهي دعوة المسيح: «فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة» (١: ١٣)، لأن الذي دعا هو أمين (١كو ١: ٩)، (١تس ٥: ٢٤)، هو دعا ونحن نأتي إليه (٢: ٤)، وأن نأتي إليه إشارة إلى المعمودية، فالمعمودية هي استجابة لدعوة المسيح، ولكن بعد الدعوة هنا المسير في طريق الآلام والاحتمال والصبر كما ترك لنا المسيح مثالاً لكي نتبعه.

وقوله: «المسيح أيضاً تألَّم من أجلنا» هو جزء من نص الاعتراف بالمسيح أن المسيح مات من

أجلنا، فموت المسيح كان عملاً كهنوتيًّا لأنه قَبِلَ أن يُذبَح على الصليب من أجل خطايانا سافكاً دمه ثمناً لفدائنا، كما جاءت في رسالة القديس بطرس: «فإن المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله، مُماتاً في الجسد ولكن محيًى في الروح.» (١بط ٣: ١٨)

ولكن تألُّم المسيح كان تألُّماً فصحياً أي حتى الذبح:

+ «الذين أراهم أيضاً نفسه حيًّا ببراهين كثيرة بعد ما تألَّم ...» (أع ١: ٣) حتى الصليب والموت.
+ «أما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألَّم المسيح قد تمَّمه هكذا.» (أع ٣: ١٨)
+ «موضِّحاً ومبيِّناً أنه كان ينبغي أن المسيح يتألَّم ويقوم من الأموات.» (أع ١٧: ٣)

أما أن نتألَّم نحن من أجل اسم المسيح فهذا نوع من الاختيار والتبني وشركة المجد:

+ «لأني سأريه كم ينبغي أن يتألَّم من أجل اسمي.» (أع ٩: ١٦)

فنحن «نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه.» (رو ٨: ١٧)

وفعل الألم الفصحي πάσχω في رسالة بطرس الرسول يأتي في المركز الأول ويشير إلى سبب الرسالة وقوَّتها أكثر من أي سفر آخر في الكتاب المقدَّس، وهذا الفعل يأتي في رسالة بطرس الرسول ١٢ مرَّة وفي باقي الأسفار كلها يأتي ٣٠ مرَّة.

وتأتي شركة الألم في ألم المسيح بوضوح: «بل كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين» (١بط ٤: ١٣). هنا تُحسب آلامنا آلاماً للشركة، علماً بأن القديس بولس لم يستخدم كلمة ألم فصحي πάσχειν للتعبير عن آلام المسيح، أي ألم يُفضي إلى الموت، ولكنها وردت على لسان المسيح أو في الإنجيل بكثرة:

(مت ١٦: ٢١، ١٧: ١٢)، (مر ٨: ٣١، ٩: ١٢)، (لو ٩: ٢٢، ١٧: ٢٥، ٢٢: ١٥، ٢٤: ٢٦ و٤٦). وهذا الألم الفصحي "بَسْخين" πάσχειν يشرحه القديس بطرس في رسالته من الآية (٢: ٢١ - ٢٥). هذا هو الألم الفصحي عند القديس بطرس وهو تقليد إنجيلي رسولي.

وبطرس الرسول هو صاحب التعبير πάσχειν بهذا المعنى وشرحه.

«تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته»:

«تاركاً لنا مثالاً» هي دعوة من القديس بطرس الرسول لنقتفي خطوات المسيح ونجعله مثالاً لنا نحتذي به. ومن هنا خرج أول تعبير مسيحي أخلاقي على لسان الكنيسة "imitatio Christi" أي

التمثُّل بالمسيح، وكان له من ينادي به ويتمسَّك به كطريق إيمان.

والقديس بطرس هو صاحب مبدأ أن المسيح تألَّم كمثال يُحتَذَى! ولكن بنوع من الأمر وليس الاختيار. ترك لنا مثالاً ὑπογραμμόν تركه وراءه لخاصته. وهذا التعبير في اللغة اليونانية الأُولى يُستعمل لمن سار في طريق افتتحه ليسير الناس عليه، وهذا ما يقصده القديس بطرس من قوله: «"تاركاً" لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته» أي نسير على أثر خطواته التي تركها لنا كمثال يلزم أن نسير فيه.

هذا التقليد أدَّى إلى ظهور كلمة التلمذة أو التبعية ἐπακολουθεῖν أي التبعية أو التلمذة على مثال، أي المسير بدقَّة خلف إنسان على نفس خطواته، أي أن يصير الإنسان تلميذاً لشخص مشتركاً في قصده أو غايته.

ويشترك القديس بطرس باصطلاحه ἐπακολουθεῖν كاصطلاح فني مع سفر الرؤيا: «هؤلاء هم الذين **يتبعون** الخروف حيثما ذهب.» (رؤ ١٤: ٤)

وفي هذين الموضعين فقط جاءت هذه الكلمة كاصطلاح فني في كل العهد الجديد. وهذا كان عمل التلاميذ مع المسيح أثناء حياته على الأرض، وقد حذت حذوه الكنيسة بعد القيامة مباشرة، ولكن ليس بالوضع العملي لأنه قد صعد إلى السموات، ولكن بالتعليم وخاصة في احتمال الآلام والاضطهادات.

أما كيف نتبع خطواته فقد وردت في الآية التي بعدها. وحصر التبعية أو التلمذة للمسيح في الآية (٢١) على صورة الإلزام جاء في قوله: «تاركاً لنا مثالاً لكي»، كما يشدِّدها قوله: «لهذا دُعيتم».

والمعنى أن يسوع المسيح إنما يقود الذين يتبعونه من خلال آلامه كاشفاً لهم عن طبيعة آلامه ليزدادوا تمسُّكاً وسعياً وراءها، ويريهم كيف يتحمَّلون الآلام التي تلاحقهم. وهكذا سار الآباء الرسوليون على هذا التعليم.

تسبحة المسيح: المسيح تألَّم من أجلنا (٢٢ – ٢٥):

٢: ٢٢ – ٢٥ «الَّذي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ، الَّذي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضاً، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ. الَّذي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ. لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَخِرَافٍ ضَالَّةٍ، لكِنَّكُمْ رَجَعْتُمُ الآنَ إِلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْقُفِهَا».

ويحسبها العلماء أنها أُنشودة كانت تقولها الكنيسة كتقليد مسلَّم. واللغة اليونانية تكشف الانسجام

بين أبيات هذه التسبحة.

وتصويرها الشعري مقتبس من سفر إشعياء النبي الأصحاح (٥٣) وخاصة (٥٣: ٩):

+ «على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش»، وأيضاً: (٥٣: ٧):

+ «ظُلم أما هو فتذلَّل ولم يفتح فاه ...»، وأيضاً: (٥٣: ١٢):

+ «سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين»، وأيضاً: (٥٣: ٤):

+ «لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها»، وأيضاً (٥٣: ٥):

+ «وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحُبُره شُفينا».

وقد سبق للقديس بطرس ووصف الآلام الفصحية أي المؤدِّية إلى الموت في (١: ١٩): «بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح»، ويكمِّلها هذا المشهد بالآيات (٢: ٢٢ - ٢٥) ويصف موت المسيح أنه موت كفَّاري في الآيات (١: ١٨)، (٢: ٢١ و٢٤):

+ «عالمين أنكم افتديتم ... من سيرتكم الباطلة التي تقلَّدتموها من الآباء».

+ «فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا ...».

+ «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر».

وقوله عن الفداء الكهنوتي يُعتبر في قمة الوضوح في (١بط ٣: ١٨):

+ «فإن المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله مُماتاً في الجسد ولكن محيًّى في الروح».

والسؤال: من أي مصدر استقى القديس بطرس كلمة «من أجلنا»؟ المصدر هو المسيح على كأس العشاء:

+ «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك **من أجل** كثيرين.» (مر ١٤: ٢٤)

هكذا أخذتها الكنيسة الأُولى وصارت تقليداً رسوليًّا ظاهراً جدًّا في صلوات العشاء الأخير.

وبهذا التمهيد نكون قد وصلنا إلى منابع تسبحة المسيح التقليدية في الكنيسة الأُولى.

«الذي لم يفعل خطية ولا وُجدَ في فمه مكرٌ»:

إذا استثنينا الكلمتين الأولَيين نجد نص إشعياء (٥٣: ٩) الذي بدايته «أنه لم يعمل ظُلماً»، وقد

استبدلها القديس بطرس: «الذي لم يفعل خطية»، وفي رسالة القديس يوحنا الأُولى (١يو ٣: ٥) استبدلها: «وليس فيه خطية» لأن الكلمة اليونانية التي استخدمتها السبعينية لترجمة قول إشعياء ἀνομία كان من الصعب إدراكها في العصور الأُولى. ففي رسالة العبرانيين تُرجمت «خطية» (عب ١٠: ١٧). وهكذا أيضاً في (١يو ٣: ٥). وهذه العبارة متصلة بما يليها: أنه لم يفعل خطية ولكن نحن الذين فعلنا الخطية، فهو لم يحمل خطاياه بل حمل خطايانا.

فالمسيح اتبع الله في كلماته لأنه كان ينطق بمشيئة الله، حتى إن ما ورد بخصوص عدم عمله أي خطية لم يُذكر ليؤكّد براءته بل ليؤكّد أنه حمل خطايانا نحن:

+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه.» (٢كو ٥: ٢١)
+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات.» (عب ٧: ٢٦)
+ «وتعلمون أن ذاك أُظهر لكي يرفع خطايانا وليس فيه خطية.» (١يو ٣: ٥)

«الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألَّم لم يكن يهدِّد بل كان يسلِّم لمن يقضي بعدل»:

بمقتضى ما قيل في الآية السابقة يكون المسيح قد تألَّم وهو بريء، ولكنه لم يبادل الشر الذي تلقّاه بشر من جهته، حاشا، وهكذا فبطرس الرسول كان ينادي بما نادى به المسيح:

+ «غير مجازين عن شر بشرٍّ أو عن شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مباركين عالمين أنكم لهذا دُعيتم لكي ترثوا بركة» (١بط ٣: ٩). تبعاً لوصية الرب والمخلِّص:
+ «لكني أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لاعنيكم. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم.» (لو ٦: ٢٧ و ٢٨ إلخ)

وإشعياء النبي تنبأ بهذا الأسلوب:

+ «ظُلم أما هو فتذلَّل و لم يفتح فاه. كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازِّيها فلم يفتح فاه.» (إش ٥٣: ٧)

ويقول أحد العلماء (Selwyn) إن التعبير الذي يقوله القديس بطرس هنا هو تعبير شاهد عيان، ولكنه كان أيضاً ملتزماً بالتقليد، فهو يحكي قصة الآلام كلها دون أن يتمادى في الوصف:

+ «فابتدأ قومٌ يبصقون عليه ويغطُّون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبَّأ. وكان الخُدَّام يلطمونه.» (مر ١٤: ٦٥)

+ «وألبسوه أُرجواناً وضفروا إكليلاً من شوكٍ ووضعوه عليه.» (مر ١٥: ١٧)
+ «وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم.» (مر ١٥: ١٩)

والمدوَّن أن المسيح لم يَرُدّ ولم يُعطِ جواباً على الذين كانوا يفترون عليه، ولم يكن يهدِّد عندما زادوا في ضربه وتأليمه، وكان صامتاً كصخرة لا تتحرَّك من موضعها والضربات نازلة عليها. وكان صامتاً ولم يتهم الذين أساءوا إليه بل على النقيض كان وجهه يشع بالمحبة، وكان يُصَدِّق على أحكام حاكميه. وكان كما يقول العلاَّمة كليمندس الإسكندري - وصادقت عليه الفولجاتا - إن خضوع المسيح لبيلاطس وسلطانه صار هو الأساس الذي على مستواه قال القديس بطرس في رسالته: «أكرموا الملك» (٢: ١٧)، وعلى أساسها يقول بولس الرسول لأهل رومية: «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء ... لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب.» (رو ١٢: ١٩)

والآية التي نحن نشرحها (٢: ٢٣) هي تطبيق عملي لما سمع القديس بطرس وشهد وشاهد: «غير مجازين عن شرٍّ بشرٍّ أو عن شتيمةٍ بشتيمةٍ بل بالعكس مُبارِكين عالمين أنكم لهذا دُعيتم لكي ترثوا بركة.» (١بط ٣: ٩)

«الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجلدته شُفيتم»:

سبق القديس بطرس وأعطى الآية (٢٢) يثبت فيها أن المسيح تألَّم وهو بريء مما نُسب إليه، لذلك فآلامه آلام كفَّارة عن الآخرين، وإذ هو نفسه المذبوح على الصليب أصبح هو الذبيحة وهو الكاهن معاً، وهنا في الآية (٢٤) يمتد بالآية (٢٢) إلى فقرتين متوازيتين كلٌّ منهما يبتدئ بـ «الذي»، كل منهما مقتبس من إشعياء. ومضمون الفقرتين ليس فقط أن ينجينا ويفدينا من الخطية، بل القصد أن يفكنا من قيد الخطية وحبسها وعبوديتها، لذلك تتجه الفقرتان إلى التعليم الأبدي.

والحقيقة التي في الفقرة الأُولى «**الذي حمل هو نفسه خطايانا**» مقتبسة من إشعياء (٥٣: ٤)، أن المسيح كعبد الله حمل ليس خطاياه هو ولكن خطايانا نحن، وحملها كما يقول في جسده على الخشبة. وفي اللغة اليونانية يأتي فعل «حَمَلَ» - كما في إشعياء - ومعها حرف يفيد الإشارة إلى الآلة التي عليها حمل الخطايا ἐπὶ τὸ ξύλον وهو اصطلاح عُرف في الكنيسة «على الخشبة (الصليب)».

ويأتي تعبير القديس بطرس «حمل هو خطايانا في جسده على الخشبة» على أساس الآيات السابقة

أنه لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه مكر. **والسؤال الآن: كيف؟**

أما كيف حمل خطايانا في جسده فبدايتها في جثسيماني عندما صلّى ثلاث مرّات بلجاجة أن يعفيه الله من شرب هذه الكأس: «يا أبتاه، إن شئتَ أن تجيز عني هذه الكأس» (لو٢٢: ٤٢؛ مت ٢٦: ٤١ – ٤٣). ولكن لم يكن المسيح جزعاً من الموت أو كارهاً للموت ولكن الإعفاء كان على أساس أنه يحمل خطايا البشرية ومنها التجديف والزنا والعداوة والبغضة وغيرها من الخطايا، التي وجد أنه لو حملها لا يستطيع أن يقف أمام الله الآب، وإلا كيف أن ابن الله يجدِّف على الله أبيه أو يقف أمامه بحالة القاتل والزاني والعدو؟؟ استحالة لأن الأمر لا يخصّه هو بقدر ما يخص العلاقة التي تربطه بالآب وهي علاقة حب ووحدة مطلقة وطاعة بنوية. هنا كان المسيح يصلّي بلجاجة أن يعفيه الآب من أن يشرب من هذه الكأس ويقف أمامه كمتعدٍّ وخاطئ – ولكن الله الآب ردَّ على المسيح أن هذه هي مشيئة الآب التي لابد أن يطيعها ويقبلها على أساس أنها كلها ستُغفر وتتلاشى ويظل المسيح كما هو الابن المحب المحبوب. فكان رد المسيح فلتكن مشيئتك لا مشيئتي. وحَمَلَ خطايا كل بني آدم في جسده.

أما كيف هذا أيضاً؟

فالإجابة لاهوتية صرف: أن المسيح لما تجسَّد وأخذ جسداً بشريًّا في هيئة إنسان حل فيه كل ملء اللاهوت جسديًّا، وبهذا أخذ الجسد صفة اللاهوت وهو عدم المحدودية، وبهذه الصفة الإلهية امتد جسده ليشمل كل أجساد البشرية وبالتالي خطاياها. أخذها في جسده حسب مشيئة الآب.

وعلى هذا الحال وقف أمام السنهدريم وأمام بيلاطس يُحاكم، وكان كل همهم أن يتخلّصوا منه ويصلبوه. أما كل هم المسيح فكان في أن ينجح ويأخذ حكم الصلب عن الخطايا التي حملها في جسده. وهنا سر موافقته على الاتهامات كلها دون رد أو مناقشة، وموافقته على الحكم معتبراً أن الحكم صدر من الله أولاً وبيلاطس ينفذ حكم الله. فحَمَلَ الصليب عن سرور لأنه سيلغي حكم الموت عن الإنسان بموته وأنه سيُبرِّئ الإنسان من حكم الموت بقيامته حيًّا من الموت بجسده. فحمَلَ الصليب ورضي أن يُصلب من أجلنا.

أما قوله: «الذي بجَلْدَته شُفيتُم» فأصلها اليوناني يعني "بجُرْحه"[٧] وهي جراح الصليب التي أدَّت إلى الموت وبها شُفي الإنسان الذي جرحته الخطية جراح الموت. وهو نفس الاصطلاح الذي استُخدم في إشعياء النبي في (٥٣: ٥) «وبحُبُره μώλωπι شُفينا». ولكن الآية واضحة أنها جروح «وهو مجروح

(٧) هذه الكلمة جاءت هنا فقط في كل العهد الجديد ومعناها الجروح الوارمة μώλωψ.

لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه وبحبره شُفينا».

فجروح المسيح التي توزَّمت على الصليب كان لها صورة استعلانية، بالإيمان، للخطايا التي اقترفها الإنسان وهي مؤدِّية إلى الموت، ولكن في سبيلها تتغيَّر لتأخذ صورة الشفاء. جروح الصليب جروح لها رائحة ترياق عدم الموت، وعطر الحياة الأبدية هبَّت على الأجساد الميتة التي للقديسين فقاموا وفتحوا القبور وخرجوا نحو المدينة في أثر رائحة المصلوب، والعظام التي أكلتها الشمس هبَّت عليها رائحة الصليب فألبستها أعصاباً وجلداً ولحماً وصارت تتحرَّك كجيش قادم من عالم آخر مهيَّأ أن يسير في موكبه الصاعد.

أما كيف أن جميع الناس المؤمنة بالمسيح تموت بموت المسيح فقد شرحها بولس الرسول: «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا» (٢كو ٥: ١٤). والمسيح أوضح في ليلة العشاء السرِّي التي باشر فيها تكميل الفصح في نفسه أنه بكسر جسده على الصليب وسفك دمه قد وهب جسده لكل خاطئ ليتحد به ويأكله ويشرب دم المسيح ويحيا به: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٥٤). وعاد وعبَّر عن أكل الجسد وشُرب الدم بكمال الشخص ذاته: «فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦: ٥٧). وعبَّر عن الأكل أنه ليس أكلاً لملء البطن ولا الشرب للارتواء ولكنه أكل حقيقي وشُرب حقيقي (يو ٦: ٥٥)، أي يمتُّ إلى الجوهر ولا يمتُّ إلى المظهر. أما كيف نأكل الجوهر، فأكل الجسد وشُرب الدم جوهريًّا يعني الملء بالحق. وهنا الإيمان ينقل الطعم والمذاق إلى الجسد الجديد (الباطن) ليملأه وينمِّيه لأنه من طبيعته وكيانه. فالجسد العتيق ينشغل في الأكل والشرب والجسد الجديد يتلهَّف تلهُّف الطفل الرضيع ليأخذ غذاءه اليومي دون أن يدري عنه شيئاً. فالجوع واللهفة هي التي تربط الإنسان الجديد بالجسد والدم (أي بالتناول). وأسماه اللبن العقلي عديم الغش إذ يتصل معنى الكلمة وجوهرها إلى المسيح نفسه. وهكذا يؤكل المسيح الواحد كل لحظة من ملايين الناس والمسيح هو هو جديد في كل صباح:

+ «تعالوا إليَّ أيها المشتاقون إليَّ واشبعوا من ثماري ... فإن مَنْ يأكلني يزداد جوعاً إليَّ ومَنْ يشربني يزداد عطشاً إليَّ»، هكذا يصوِّر سفر يشوع بن سيراخ الحقائق (سي ٢٤: ١٩ و٢١).

وكل مرَّة نأكل الجسد ونشرب الدم ننال قوَّة الصليب وقوَّة المصلوب، أي ننال غفران الخطايا، وبذلك نلغي الإنسان العتيق بأعماله وننال امتداداً في الحياة الأبدية التي بلا نهاية.

ونخرج كل مرَّة من حضرة الرب بعد أكل الجسد وشرب الدم، بحسب الإنسان العتيق أمواتاً لا

وجود لنا، وبحسب الإنسان الجديد رأسنا يرتفع في السماء.

«لأنكم كنتم كخراف ضالة، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأُسقفها»:

«كخراف ضالة»:

فعيشة الخطية وحياة شهوات العالم يشبِّهها القديس بطرس بخروف قد ضلَّ عن المرعى وعاش تائهاً في وسط الذئاب، ولكنه كفَّ عن الخطية وتعرَّف على راعي النفوس القديسة وأُسقفها. وهو وصف مأخوذ من (إش ٥٣: ٦):

+ «كلنا كغنم ضللنا، مِلْنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا».

«رجعتم»: ἐπεστράφητε

وقد اتخذته الكنيسة الأُولى وصار تعبيراً تقليديًّا عن الخروج والبعد عن الكنيسة ثم العودة إلى راعي نفوسنا وأُسقفها. ونجد التواصل في هذا التعبير بين إشعياء النبي والعهد الجديد قائماً في (مر ٤: ١٢)، (مت ١٣: ١٥)، (يو ١٢: ٤٠)، (أع ٢٨: ٢٧) كما يلي:

- **المنبع (إش ٦: ١٠) السبعينية:**

+ « لأن قلب هذا الشعب غلظ. وآذانهم قد ثقل سماعها. وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم **ويرجعوا** ἐπιστρέψωσιν فأشفيهم».

- **(مر ٤: ١٢):**

+ «لكي يُبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا لئلا **يرجعوا** فتُغفر لهم خطاياهم».

- **(مت ١٣: ١٥):**

+ «لأن قلب هذا الشعب غلظ. وآذانهم قد ثقل سماعها. وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم **ويرجعوا** فأشفيهم».

- **(يو ١٢: ٤٠):**

+ «قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم **ويرجعوا** فأشفيهم».

- **(أع ٢٨: ٢٧):**

+ «لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وبآذانهم سمعوا ثقيلاً وأعينهم أغمضوها. لئلا يبصروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم **ويرجعوا** فأشفيهم».

فتشبيه المسيح بالراعي والشعب المؤمن بالخراف «الرعية» التي ترجع إليه، تقليد في العهد القديم. ولكن القديس بطرس لا يأخذ بالتقليد القديم ولكن بالذي خرج من طابعه جديداً. فالمسيح نفسه وصف عمله في الخلاص من خلال المثل عن الخروف الضال هكذا:

+ «أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحداً منها ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده ...» (لو ١٥: ٤ - ٧)
+ «بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.» (مت ١٠: ٦)
+ «فأجاب وقال لم أُرسَل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.» (مت ١٥: ٢٤)
+ «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك.» (لو ١٩: ١٠)

وفي العهد الجديد سُمِّي المسيح بالراعي:

+ «وإله السلام الذي أقام من الأموات **راعي** الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الأبدي.» (عب ١٣: ٢٠)
+ «لأن الخروف الذي في وسط العرش **يرعاهم** ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم.» (رؤ ٧: ١٧)
+ «أنا هو **الراعي** الصالح. والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف.» (يو ١٠: ١١)

أما القديس بطرس فيستعمل هذا الاصطلاح في رسالته هكذا:

+ «ارعوا **رعية الله** التي بينكم نظاراً، لا عن اضطرار بل بالاختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط، ولا كمَنْ يسود على الأنصبة بل **صائرين أمثلة للرعية**. ومتى ظهر **رئيس الرعاة** تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى.» (١بط ٥: ٢ - ٤)

«راعي نفوسكم وأسقفها»:

هنا كلمة «أسقفها» مقصود بها عمل الراعي وهذا موافق لتقليد الكنيسة المبكِّر المذكور في (أع ٢٠: ٢٨):

+ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها **أساقفة** لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه».

وهذا تقليد قديم جدًّا وأصله في العهد القديم (حز ٣٤: ١١ - ١٦):

+ «لأنه هكذا قال السيد الرب. هأنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها ἐπισκέψομαι (وهي كلمة من

نفس أصل ἐπίσκοπος أي أسقف) كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه المشتَّتة. هكذا أفتقد غنمي وأُخلِّصها ... أرعاها في مرعى جيد ... أنا أرعى غنمي وأربضها يقول السيد الرب. وأطلب الضال وأسترد المطرود وأجبر الكسير وأعصب الجريح ... وأرعاها بعدلٍ».

أما الاسم «أسقف» overseer = ἐπίσκοπος إنما يشير إلى الناظر من علٍ وهو ينظر ليرعى ويتحنَّن ويقود شعبه، وهي لائقة جدًّا بالمسيح كمخلِّص كما يدعوه بولس الرسول:

+ «ولكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له. وربٌّ واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به.» (١كو ٨: ٦)

وحينما يقول القديس بطرس «راعي نفوسكم»، فهنا النفس تفيد الكيان البشري بأجمعه. لذلك فالمسيح الآن وهو في المجد كناظر على الكنيسة وراعيها من فوق هو يحفظها من كل شر، خاصة الذين تحتضنهم الكنيسة وهم محسوبون رعية المسيح أو أهل بيت الله. وقوَّة العلي تحيط بالكنيسة وتعيد إليها الذين خرجوا كل واحد في طريقه، تعيد إليهم الطريق الذي ضلُّوه.

فالرعية قد أشتُرِيَت بثمن أغلى من الفضة والذهب، دم المسيح الذي بلا عيب، الذين ولدوا بقيامة المسيح من الأموات وصاروا أحياء لله. الذين دعاهم الله إلى المسيح ليتبعوه كالتلاميذ.

فالراعي الأعظم أسقف نفوسهم يقودهم إلى مكان دعوتهم.

والقديس بطرس يعبِّر عن عودة بني إسرائيل الضالين بكلمة ἐπεστράφητε أي العائدين إلى خلاصهم وهو روح الرسالة مثل (٢: ٢٥).

+ «الذين قبلاً لم تكونوا شعباً (بني إسرائيل) وأما الآن فأنتم شعب الله (بالحق)، الذين كنتم غير مرحومين، وأما الآن فمرحومون.» (٢: ١٠)

+ «الذي مثاله يخلِّصنا نحن الآن. أي المعمودية.» (٣: ٢١)

وأيضاً: «أنكم افتُديتم» (١: ١٨)، «وُلِدتُم جديداً» (١: ٢٣)، «وَلَدَنَا ثانية» (١: ٣).

فروح الرسالة يدور حول عودة الخراف (بني إسرائيل) من مراعيها الضالة إلى راعيها الحقيقي وأسقف نفوسهم الوحيد.

الأصحاح الثالث

الأصحاح الثالث

٣: ١ «كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ».

هذا كان تقليد الكنيسة الساري أيام الرسل تبعاً لتوصيات المسيح كما نجد في:

+ «أيتها النساء اخضعن لرجالكنَّ كما يليق في الرب.» (كو ٣: ١٨)
+ «أيتها النساء اخضعن لرجالكنَّ كما للرب.» (أف ٥: ٢٢)
+ «لتتعلَّم المرأة بسكوت في كل خضوع.» (١تي ٢: ١١)
+ «لكي ينصحن الحدثات أن يكنَّ محبَّات لرجالهنَّ ويحبين أولادهن، متعقِّلات عفيفات ملازمات بيوتهنَّ صالحات خاضعات لرجالهنَّ لكي لا يُجدَّف على كلمة الله.» (تي ٢: ٤ و٥)

ويسير على هذا الأسلوب القديس اكلمندس الروماني في رسالته الأُولى (١: ٣، ٢: ٧)، وكذلك القديس بوليكاربوس (Phil 4:2). وهكذا كان التقليد المتوارث منذ سارة امرأة إبراهيم.

كذلك يسير القديس بطرس على هذا المنوال مقتبساً بالأكثر من القديس بولس (كو ٣: ١٨) و(أف ٥: ٢٢)، وحتى ما ورد في الآية (٣: ٥) عند القديس بطرس فهو مقتبس من (تي ٢: ٤).

وفي الزواج المختلط حيث المرأة تكون هي المسيحية والرجل وثنياً، فالوصية تكون للمرأة حتى تكون مثالاً للشهادة للمسيح بالأعمال وفي السلوك اليومي. وهذا يشبه ما جاء في (١كو ٧: ١٦): «لأنه كيف تعلمين أيتها المرأة هل تخلِّصين الرجل؟ أو كيف تعلم أيها الرجل هل تخلِّص المرأة؟».

٣: ٢ «مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ».

لكي تهتم المرأة بما يُقال عنها لتكون مثالاً للحشمة ومخافة الله كما يليق بالمرأة التقية لكي تعطي المثل المسيحي بين الآخرين.

٣: ٣ «وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ».

القديس بطرس يعطي صورة للتقليد العام الذي كان سائداً في الأوساط المسيحية التقية. ونجد التشابه بين رسالة بطرس الأُولى والرسالة الأُولى إلى تيموثاوس (٢: ٩ - ١٥):

+ «وكذلك أن النساء يزيِّن ذواتهنَّ بلباس الحشمة مع ورع وتعقُّل، لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن. بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة. لتتعلَّم المرأة

بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تُعلِّم ولا تتسلَّط على الرجل بل تكون في سكوت. لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء. وآدم لم يُغْوَ لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدِّي. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد (حسب مشيئة الله لدوام النسل) إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقُّل».

وهذا كله صار تقليد الكنيسة المتوارث مع الرجوع دائماً للمُثُل القديمة. ويلاحظ أن التقليد كان يتمسَّك بخضوع المرأة للرجل سواء في الحياة العامة أو الزوجية، ولكن الإخضاع ليس وارداً، بل الخضوع الإرادي من تلقاء المرأة بأن تُخضع نفسها. ولكن هذا السلوك كان السائد في الأوساط القديمة كنوع من العادة وليس بنوع من الأمر أو التدخل في شخصية المرأة. ويوضِّحها القديس بولس هكذا:

+ «أيتها النساء اخضعن لرجالكُنَّ **كما يليق في الرب**.» (كو ٣: ١٨)

أي بنوع اللياقة والعادة السائدة منذ القدَم. ووصية الرسل في التقليد الكنسي بالنسبة للزوج والزوجة نجدها مستمدة أصلاً من تعليم الرب، كما جاء في إنجيل القديس متى: «يترك الرجل أباه وأُمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذن، ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جَمَعَهُ الله لا يفرِّقه إنسان.» (مت ١٩: ٥ و٦)

والقديس بولس الرسول جعل العلاقة بين الزوج والزوجة هي نفس العلاقة التي بين المسيح والكنيسة، واعتبر أن هذا سر عظيم، لأن علاقة المسيح بالكنيسة أكبر أسرار الحياة المسيحية المثالية. والتشبيه قائم على أساس بذل المسيح حياته من أجل الكنيسة. وهكذا يرى بولس الرسول أن العلاقة بين الرجل وزوجته ينبغي أن ترقى إلى هذا السر باستعداد المحبة التي تهوِّن على الزوج أن يضحِّي من أجل زوجته وأولاده. كذلك يؤكِّد أن لا فرق بين ذكر وأُنثى في المسيح (غل ٣: ٢٦ - ٢٨، ١كو ١٢: ١٣، كو ٣: ١١، ١كو ١١: ١١ و١٢):

+ «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كُلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ. ليس عبدٌ ولا حرٌّ. ليس ذكرٌ وأُنثى، لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع.» (غل ٣: ٢٦ - ٢٨)
+ «لأننا جميعنا بروحٍ واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسدٍ واحد، يهوداً كُنَّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١كو ١٢: ١٣)
+ «حيث ليس يونانيٌّ ويهوديٌّ، ختانٌ وغرلةٌ، بربريٌّ سكيثيٌّ، عبدٌ حُرٌّ، بل المسيح الكل وفي الكل.» (كو ٣: ١١)

+ «غير أن الرجل ليس من دون المرأة، ولا المرأة من دون الرجل في الرب. لأنه كما أن المرأة هي من الرجل، هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة.» (١كو ١١: ١١ و١٢)

٣: ٤ «بَلِ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ».

هنا يستعرض القديس بطرس الحالة الروحية للمرأة في السيرة الداخلية أي مع الله لأنها أهم من مظاهر الحياة. وهو هنا يتعرَّض لرأس مال المرأة في الحياة المسيحية الذي يرفع من قدرها أمام الله والناس.

«بل إنسان القلب الخفي»:

هذا تصوير الإنسان الجديد الذي هو أول وأعظم ثمرة للعبادة والإيمان المسيحي العملي، ويصف هذا الوجود هكذا: «بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان. الذي مَدْحه ليس من الناس بل من الله.» (رو ٢: ٢٩)

وكل هذه الاتجاهات هي تقليد موروث من الإنجيل وأقوال المسيح نفسه:

+ «فأبوك الذي **يرى في الخفاء** هو يجازيك علانية.» (مت ٦: ٤)

وقوله عن الاهتمام بإنسان القلب واصفاً إياه بالخفي، يتكلَّم القديس بطرس عن الإنسان الجديد والخليقة الجديدة التي حازها الإنسان بقيامة يسوع المسيح من الأموات. هنا الإنسان الجديد هو إنسان القلب وأعماله كلها غير مُستَعلَنة ولا معروضة للناس، ولكنها أعمال البر والتقوى في حياة المخافة لله، أعمال الإيمان المسيحي الذي يطلب وجه الله: «لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدَّد يوماً فيوماً» (٢كو ٤: ١٦). هو إنسان الله وليس إنسان العالم. ويصف القديس بولس حالة الإنسان الجديد ويسميه الإنسان الباطن في مقابل الإنسان العتيق الظاهري: «فإني أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية.» (رو ٧: ٢٢ و٢٣)

ويسميه القديس بطرس: «الروح الوديع الهادئ الذي هو قدَّام الله كثير الثمن»، هذه صفة الإنسان الجديد أنه إنسان الله الخفي، إنسان القلب، الإنسان المدعو للحياة الأبدية وشركة الروح القدس وشركة الآب والابن.

٣: ٥ «فَإِنَّهُ هكَذَا كَانَتْ قَدِيماً النِّسَاءُ الْقِدِّيسَاتُ أَيْضاً الْمُتَوَكِّلاَتُ عَلَى اللهِ، يُزَيِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ».

القديس بطرس يقدِّم مثالاً من العهد القديم، ولكن في الحقيقة والواقع أن نساء العهد الجديد اللاتي قبلن الروح القدس وعشن عيشة الكنيسة والتقليد الكنسي الروحي صرن أعلى مستوى من جميع قديسات العهد القديم، وعندنا العذراء مريم تعطي أول نموذج لبنات الله المختارات وكيف صرن أعمدة هامة مشهوداً لها في الكتاب المقدَّس وفي سيرة الإنجيل والكنيسة الأُولى. فبطرس الرسول لم يكن أمامه أمثلة لسيدات تقيَّات إلاَّ سيدات العهد القديم، ولكن النساء في العهد الجديد أخذن مستوى الرجال في الإيمان والخدمة والعمل في كرم الرب، وبلغن في سيرة القداسة والتقوى مستوى الإنجيل والحياة الجديدة كخليقة جديدة خلعت عنها صفات الفرق بين الرجل والمرأة في الرب، إذ صرن واحداً في المسيح ومع المسيح.

فالمرأة في المسيحية إذا كانت مؤمنة مُحبَّة للمسيح تكون قد فقدت ضعفها الأنثوي ومستوى حواء في نقص الرتبة عن الرجل، وصارت من جنس المسيح سواء بسواء مع الرجل، بل أن المسيح قد رفع قدرها جدًّا لما اعتبر الكنيسة هي عروسه وهو عريسها الأبدي وسلَّمها سرّ جسده وسر ملئه الروحي، وصار هو رأس الكنيسة، والمرأة كالرجل عضو في جسده الحي، كما أنها عضو في الكنيسة المقدَّسة الرسولية. وأعضاء الكنيسة متساوون في الكرامة، فكرامة المرأة من كرامة المسيح، وقد تقدَّست فيه، وأخذت بقيامته من الأموات نعمة الخليقة الجديدة التي انمحى منها الفارق المخزي بين الرجل والمرأة، فليس رجل وامرأة في المسيح بل الكل واحد مقدَّس في الرب. وهذا وارد في ذهن وإيمان بطرس الرسول: «**معطين إيَّاهُنَّ كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة.**» (١بط ٣: ٧)

والمرأة في الملكوت ستفقد نهائياً صورة الأنوثة ووظائفها: «لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون بل يكونون كملائكة الله» (مت ٢٢: ٣٠)، لأن الإنسان الجديد قد أخذ جنس المسيح الذي ليس فيه ذكر وأُنثى، ولا شباب وشيخوخة. فنعمة الحياة الأبدية مع الله لا يقلقها ضعف بشري ولا همٌّ ولا حزن، ويمسح الله بيديه دموع شقاء الإنسان ليسعد بحب الله الأبدي.

وبطرس الرسول هنا لا يلفت نظر المرأة من حيث الخارج ولباس الخارج - فهو يلفت نظرها إلى ما حدث بواسطة قيامة المسيح بالنسبة للمرأة إذ أصبحت هي الكنيسة التي تلد أعضاء المسيح من لحمه ودمه، وتعطيهم غذاءهم الروحي لا من ثدييها بل من ثدي السماء لينموا به حتى يصيروا كالرأس الذي

وُلدوا له ومنه. وإن المرأة نفسها قد أصبح عملها أقوى من عمل الرجل في القدوة ومعاملة البنين بالوداعة والهدوء اللذين يتصف بهما الإنسان الجديد الذي يعيش في المسيح وبالمسيح. فالمرأة قد خلعت ثوب حواء الذي يظهر لأولاد الشيطان أنه عثرة، خاصة إذا خلعت مشتهيات النفس الجائعة نحو العالم من ذهب وفضة والماس وألوان ثياب تبهر العيون، ولبست لباس الحشمة لكي ترضي لا زوجها بعد بل ملاكها الذي يحرسها ويقدِّم عنها حساباً لدى الرب. في هذا يقول بولس الرسول:

+ «لهذا ينبغي للمرأة أن **يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة.**» (١كو ١١: ١٠)

+ «غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب.» (١كو ١١: ١١)

فإن كان في هذه الأيام الرديئة نجد أن حقوق الرجل تحفظها له المحكمة، فإن حقوق المرأة يحفظها لها المسيح.

٣: ٦ «كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرَاهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ "سَيِّدَهَا" الَّتِي صِرْتُنَّ أَوْلاَدَهَا، صَانِعَاتِ خَيْراً، وَغَيْرَ خَائِفَاتٍ خَوْفاً الْبَتَّةَ».

فالنساء كسارة لهن ذات وعد الميراث (٣: ٦)، فالمسيحيات هنَّ ضمن شعب الله الجديد المختار في المسيح. «وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أُمة مقدَّسة شعب اقتناء (أي اقتناه الله بالسواء بدم المسيح) لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره (المسيح) العجيب.» (٢: ٩)

وفي عُرف القديس بطرس كما في عُرف القديس بولس أن كل أمثلة العهد القديم «جميعها أصابتهم مثالاً وكتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور.» (١كو ١٠: ١١)

«غير خائفات خوفاً البتَّة»:

هنا يتكلَّم عن المرأة المسيحية التي قبلت الإيمان وقبلت المسيح كرأس الجسد وصاحبه، وهنَّ أعضاء الجسد الوحيد المقدَّسات فيه، لا يقترب منهن الخوف البتَّة، من أي ناحية أخرى يأتي منها الخوف، سواء أكان من زوجها غير المسيحي أو من سلوك الأُخريات غير المسيحيات. لأن المسيحي في نفسه يعيش بالإيمان الخالي من الخوف والمملوء بالرجاء الحي.

٣: ٧ «كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَالْوَارِثَاتِ أَيْضاً مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ، لِكَيْ لاَ تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ».

القديس بطرس يستطرد الكلام الذي بدأه بالنساء ولكن نحو الرجال الأزواج. وهنا يقدِّم القديس

بطرس حكمة التقليد المسيحي الكنسي بالنسبة للأزواج والزوجات أيضاً: «أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة، لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله» (١تس ٤: ٤ و٥). والمعروف في التقليد الكنسي القديم أن الرجل يقتني زوجته بحكمة وكرامة لأن النساء جنس أضعف، والقصد الأساسي للزواج هو إنجاب الأولاد لتكميل عمل الخلاص عبر الأجيال.

وفي الحقيقة تعتبر الكنيسة أن الرجل مسئول مع زوجته لحفظ العلاقة الزوجية في حالة روحية، والقديس لوقا يشير إلى زوجة كانت على مستوى النبوَّة عاشت مع زوجها في قداسة الأنبياء: «وكانت نبيَّة حنَّة بنت فنوئيل من سبط أشير، وهي متقدِّمة في أيام كثيرة، قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها» (لو ٢: ٣٦). وينصح القديس بولس الزوجيْن أن يكونا على اتفاق كامل من جهة استجابة رغبة الواحد للآخر: «ليوفِ الرجل المرأة حقَّها الواجب وكذلك المرأة أيضاً الرجل.» (١كو ٧: ٣)

ويعطي القديس بولس المثال الرسولي لكرازة الرسول ومعه زوجته: «ألعلَّنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وإخوة الرب وصفا (بطرس)» (١كو ٩: ٥). وهكذا ينص التقليد على أن الزوجين يعيشان باتفاق بينهما (بمعرفة وإفراز) في محبة متبادلة، لأن كلا الزوج والزوجة هما محبوبان عند الرب: «فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً بل بالحري احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة.» (رو ١٤: ١٣)

+ «فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضي أنفسنا.» (رو ١٥: ١)

والقديس بطرس في (٣: ٧) إنما يقصد الضعيف روحيًّا، فالزوجة بحسب الرب ينبغي أن تتلقَّى الحب من زوجها على مستوى المسيح والكنيسة: «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها» (أف ٥: ٢٥). هذا تقليد مسيحي منذ أن قامت الكنيسة واعتُبرت أنها جسد المسيح.

وهكذا صار التقليد المسيحي الأخلاقي: فالزواج في المسيحية يقوم على أساس أخلاقي بنظرة أخروية، فالزواج له هدف أخروي وهو شركة الرجل أو المرأة في الوراثة الواحدة في السموات «كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة»، فالكرامة اللازمة التي يكون الزوج مسئولاً عنها بالنسبة لامرأته تقوم على أساس التساوي المطلق في وراثة ملكوت الله، لأنه ولو أنهما متحدان في الإيمان الواحد، ولكن في الميراث السماوي كل واحد ينال نصيبه من الله بمفرده، فكل المؤمنين هم زملاء نعمة ميراث سماوي،

وإلى هذا القصد وهذه النهاية تنتهي كل وصايا العبادة والأخلاق، والزواج والزمالة في المحبة والحياة تعطي فرصة أكثر للزوج والزوجة لنوال نصيبهما في الميراث الموضوع.

وإشارة القديس بطرس: «لكي لا تُعاق صلواتكم» يشير بها إلى وعد الرب عن الصلاة المشتركة: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠). فإذا اضطربت العلاقة بين الزوج والزوجة، فستتوقّف الصلاة ولا يكون لها قبول، لأن الصلاة المقبولة هي التي تخرج من القلب المتواضع الشاكر المتوافق في حياة مسيحية واحدة.

٣: ٨ «وَالنِّهَايَةُ، كُونُوا جَمِيعاً مُتَّحِدِي الرَّأْيِ بِحِسٍّ وَاحِدٍ، ذَوِي مَحَبَّةٍ أَخَوِيَّةٍ، مُشْفِقِينَ، لُطَفَاءَ».

هنا ذكر القديس بطرس كلمة «والنهاية» بقصد أن ينتقل بها في حالة الزوج والزوجة إلى حالة المجتمع المسيحي كله، كل أعضاء الكنيسة الواحدة معاً. وهي الحالة التي عبَّر عنها بالمحبة الأخوية وهي حالة ما ينبغي أن يكون عليه الوسط المسيحي الإيجابي - لأنه في المقابل سيذكر الحالة السلبية المرفوضة بعد ذلك - مشيراً إلى ما ينبغي أن يكون عليه كل واحد: أن يتغلّب على كل ما يُنقص المحبة والشركة الواحدة في المسيح ويجدُّ في أثر الوحدة المسيحية بالبذل من أجل المحبة: «المحبة لا تصنع شرًّا للقريب» (رو ١٣: ١٠)، «وادِّين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية» (رو ١٢: ١٠)، «لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً، لأن مَنْ أحبَّ غيره فقد أكمل الناموس (الوصايا).» (رو ١٣: ٨)

والقديس بطرس يحاول هنا أن يوفي أوامر المسيح ووصاياه، وهو يركّز على محبة الأخ لأخيه بالنسبة لأعضاء الكنيسة، الواحد للآخر، وهي ليست محبة على المشاع للجميع ولكن بالنسبة لأعضاء الكنيسة، الإخوة في المسيح يسوع، ويذكر هنا المحبة التي تهم الجماعة في شركة المسيح الضرورية والحتمية بالنسبة للكنيسة كما نجدها في أعمال الرسل:

+ «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل **والشركة** وكسر الخبز والصلوات» (أع ٢: ٤٢). وأيضاً:
+ «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المُعتَبَرون أعمدة أعطوني وبرنابا يمين **الشركة** لنكون نحن للأُمم وأما هُم فللختان، غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنتُ اعتنيت أن أفعله» (غل ٢: ٩ و١٠). وأيضاً:
+ «الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً **شركة** معنا.» (١يو ١: ٣)
+ «ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا **شركة** بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهِّرنا من كل خطية.» (١يو ١: ٧)

أما أن يكون لكم «وحدة الرأي بحسٍّ واحد» فنجدها في (رو ١٢: ١٥):

+ «فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين.» (رو ١٢: ١٥)

وهكذا يكون أعضاء الكنيسة مجتهدين أن يكون لهم كيان متحد ولهم هدف واحد مثل:

+ «لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً» (في ٢: ٤). وأيضاً:

+ «وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا اهتماماً واحداً فيما بينكم بحسب المسيح يسوع» (رو ١٥: ٥). وأيضاً:

+ «أخيراً أيها الإخوة افرحوا، اكملوا، تعزّوا، اهتموا اهتماماً واحداً، عيشوا بالسلام، وإله المحبة والسلام سيكون معكم» (٢كو ١٣: ١١). وأيضاً:

+ «ولكنني أثق بكم في الرب أنكم لا تفتكرون شيئاً آخر، ولكن الذي يزعجكم سيحمل الدينونة أيَّ مَنْ كان.» (غل ٥: ١٠)

ولكن ليس بمعنى أن يتبعوا كلهم بروجراماً واحداً، ولكن بالتفاهم والتحادث معاً في الرب الواحد كوصية بولس الرسول: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه ...» (في ٢: ٥ - ٧). ولا ينكبُّ كل واحد على تحقيق أغراضه وتحقيق نفسه: «مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين. لا تكونوا حكماء عند أنفسكم» (رو ١٢: ١٦). ولكن يخدمون بعضهم بعضاً كما أعطاهم الله من المواهب كما يقول القديس بطرس الرسول في ذات الرسالة: «ليكن كل واحد بحسب ما أخذ من موهبة يخدم بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة.» (١بط ٤: ١٠)

والذي ينتج عن وحدة الشركة في المسيح ليس أن يطابق الواحد الآخر في عمله ومسيرته بل أن تنتهي الخصومات والأحقاد وتنتهي العداوة، كما يقول بولس الرسول إلى أهل كورنثوس: «ولكنني أطلب إليكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً ولا يكون بينكم انشقاقات بل كونوا كاملين في فكر واحد ورأي واحد.» (١كو ١: ١٠)

«بحسٍّ واحد»: συμπαθεῖς

أي أن يكونوا ذوي مشاعر واحدة، ما يُحزن الواحد يُحزن الآخر، وما يُفرح الواحد يُفرح الآخر، ويكون للإنسان شعور طيب من جهة الآخرين.

فإذا كانت المحبة سائدة بين الإخوة، أي كانوا "ذوي محبة أخوية" φιλάδελφοι يكون الكل بفكر واحد نحو الهدف الواحد ὁμόφρονες. وأهم مواصفات وحدة الجماعة فوق ذلك كله هو أن يكون كل واحد منفتحاً على الآخر مستجيباً لمؤازرته حتى التضحية بالذات في المساعدة الحقيقية روحيًّا وماديًّا:

+ «**وأحشاؤه** هي نحوكم بالزيادة متذكراً طاعة جميعكم كيف قبلتموه بخوفٍ ورعدةٍ.» (٢كو ٧: ١٥)
+ «فإن الله شاهد لي كيف أشتاق إلى جميعكم في **أحشاء** يسوع المسيح.» (في ١: ٨)
+ «فإن كان وعظٌ ما في المسيح، إن كانت تسلية ما للمحبة، إن كانت شركة ما في الروح، إن كانت **أحشاء** ورأفة.» (في ٢: ١)
+ «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين **أحشاء** رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان لأحد على أحد شكوى، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً» (كو ٣: ١٢ و١٣). وأيضاً:
+ «الذي رددته. فاقبله الذي هو **أحشائي**.» (فل ١٢)

وهذا هو نفس المعنى الذي تدور عليه قصة المسيح للعبد غير الرحيم (مت ١٨: ٢٣ - ٣٥) وكذلك السامري الصالح في (لو ١٠: ٣٧).

وهكذا تصبح الكنيسة شاهدة لصحة أعضاء المسيح. والسر في هذه الألفة الصادقة جدًّا أن كل واحد يعتبر أخاه أهم منه ولا يهتم بما يخصّه ولكن بالأهم ما يخص الغير: «لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً» (في ٢: ٤)، «لا شيئاً بتحزُّب أو بعُجْبٍ بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم» (في ٢: ٣). لأن المصدر الذي يستمد منه الإنسان مشاعره وقوّته وضميره هو محبة الرب. على هذا المثال الرائع يقدِّم المسيح نفسه للكنيسة وبالأخص الضعفاء والمهمومين:

+ «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هيِّن وحملي خفيف.» (مت ١١: ٢٨-٣٠)

وهكذا سقى الكنيسة من نبعه السماوي أخلاقاً وإحساساً وشعوراً واستوعبته كنيسة الرسل وصار تقليداً أبديًّا يعيش به أولاد الله أينما كانوا.

٣: ٩ «غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ، بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرِثُوا بَرَكَةً».

هنا يصف الجماعة التي بُنيت على المحبة. وكانت المحبة هي المثل الأعلى الثابت للعلائق بين أفراد الجماعة المسيحية في الكنيسة وقد صارت هي الأساس الذي يتعامل به الكل، فهي على هذا المستوى ترفض أن يدخلها عنصر العنف والشر من الخارج، وهكذا تصير العلائق بين الأعضاء شفافة، متمثّلين بالمسيح «الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألّم لم يكن يهدِّد بل كان يُسلِّم لمن يقضي بالعدل» (١بط ٢: ٢٣). والقديس بطرس يزيد بعد ذلك في نفس الأصحاح قائلاً: «فمَنْ يؤذيكم إن كنتم متمثّلين بالخير، ولكن وإن تألّمتم من أجل البر فطوباكم.» (١بط ٣: ١٣ و١٤)

هذا التقليد الكنسي مستقى مباشرة من سلوك المسيح خاصة في آلامه، كذلك من وصيته في هذا الأمر وخاصة من أجل مهاجمة الأعداء، إذ نفى نفياً قاطعاً أن يكون للمسيحي أعداء بقوله: «أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت ٥: ٤٤). والمسيحي يرد على العداوة والاضطهاد والإيذاء بالسلوك الإيجابي والصلاة والإحسان للمسيء، على أن القاعدة الإنجيلية الثابتة أن الإغاظة والاتهام لا يُرد عليهما بالمثل، ولا حتى تدخل في التأثير على المحبة والمودة والمبارَكَة.

وليلاحظ القارئ الهوَّة المريعة بين السلوك اليهودي لشعب إسرائيل بحسب وصايا الناموس وبين وصايا المسيح للعهد الجديد - فلما كان الشعب الإسرائيلي متغرِّباً وسط الشعوب كان سهل المأكل من الأعداء المحيطين به فتربَّى على الحرب ومقاومة الأعداء، وحتى سلوك الشعب تجاه عداوة اليهودي لليهودي إذا بغى عليه، فتقول الوصية في سفر الخروج الأصحاح (٢١):

+ «مَنْ ضرب إنساناً فمات يُقتل قتلاً».
+ «وإذا بغَى إنسان على صاحبه ليقتله بغدرٍ فَمِنْ عند مذبحي تأخذه للموت».
+ «ومَنْ ضرب أباه أو أُمَّه يُقتل قتلاً».
+ «ومَنْ شتم أباه أو أُمَّه يُقتل قتلاً».
+ «وإن حصلت أذيَّةٌ تُعْطِي **نفساً بنفسٍ وعيناً بعينٍ وسنًّا بسنٍّ ويداً بيدٍ ورِجْلاً برِجْلٍ وكيًّا بكيٍّ وجُرحاً بجُرحٍ ورضًّا برضٍّ.**» (خر ٢١: ١٢ - ٢٥)

فالنقلة التي نقلها المسيح الرب لشعبه نقلة مذهلة أخرجت الجنس البشري عن طبيعة جنسه ورفعت

الإنسان إلى مستوى الملائكة، بل إلى مستوى ابن الله في البر والتقوى والمحبة والتسامح والطاعة حتى بذل الذات:

+ «**أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مُبغضيكم. وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم**» (مت ٥: ٤٤)

وقول القديس بطرس «بل بالعكس **مُباركين**» وُجد فقط عند القديس بطرس ولا يوجد في الرسائل الأخرى. وحينما يزيد عليها «**عالمين أنكم لهذا دُعيتم لكي ترثوا بركة**» فمعناها: إنكم تباركون المقاومين والمضطهِدين لأنكم قد حصلتم على البركة بل ودُعيتم لكي تباركوا لكي تحقّقوا ميراثكم.

ولكن حينما يبارك المسيحي إنساناً عدوًّا غير مسيحي فهو يبارك على أساس أنه ابن البركة، أي يبارك ليثبت أنه مسيحي، ولكن ليس لكي يعطي البركة فهي تُحسب كرد فعل غطاء يغطّي به نفسه من سهام العدو وإثارته وبذلك يترك العدو ليد الله ليعمل به ما يشاء: «إن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فاسقه، لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نارٍ على رأسه.» (رو ١٢: ٢٠)

٣: ١٠ «لأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَرَى أَيَّاماً صَالِحَةً، فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بِالْمَكْرِ».

القديس بطرس هنا يقتبس من المزمور (٣٤):

+ «هلمَّ أيها البنون استمعوا إليَّ فأعلّمكم مخافة الرب، مَنْ هو الإنسان الذي يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيراً؟ صُن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلُّم بالغش، حد عن الشر واصنع الخير، اطلب السلامة واسعَ وراءها. عينا الرب نحو الصدِّيقين وأُذناه إلى صراخهم، وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم.» (مز ٣٤: ١١ - ١٦)

هنا "**محبة الحياة**" عند القديس بطرس تختلف عن محبة الحياة لصاحب المزمور. فالقديس بطرس هو الوحيد الذي ركّز على الحياة ζωή ، فهو يقصد بها الوجود الكلّي للإنسان مع الله خالقه. وقد وردت للقديس بطرس أيضاً في (٣: ٧) عن النساء الوارثات معكم نعمة الحياة.

هذه النعمة - أي نعمة الحياة - قد أُعطيت للإنسان كميراث.

أما «**الأيام الصالحة**» عند المسيحي فهي أيام البركة التي فيها عزاء الله، أما صفة الصلاح فتعني الصلاح الروحي وليس الجسدي. فالأيام الصالحة هي الأيام التي يلتصق فيها المسيحي بالرب. ويكرِّرها القديس بطرس على هذا الأساس: «ولكم ضمير صالح»، «سيرتكم الصالحة» في نفس الأصحاح. على

أن القديس بطرس يقصد ما يخص السماء والحياة الأخرى، وهي صفات الإنسان الجديد، الخليقة التي قامت بقيامة المسيح بحسب قول القديس بطرس (١: ٣)، (١: ٢٣). ونحن نعيشها منذ الآن وهي حقًا الحياة التي تُشتهى والأيام التي نعتبرها أعظم وأقدس أيامنا. هي حياة مخفية مع المسيح في الله: «ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد» (١: ٨)، «كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين» (١بط ٤: ١٣). كما يقول القديس بولس: «لأنكم قد متُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كو ٣: ٣)، ولكن عند القديس بطرس أوضح وأقوى[1].

وقول القديس بطرس: «مَنْ يحب الحياة "فليكفف لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلّما بالمكر"» يقولها بنوع من التحذير: «إن كان أحد فيكم يظن أنه دِّين وهو ليس يُلْجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة» (يع ١: ٢٦). وأيضاً للقديس يعقوب: «إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يُلجم كل الجسد أيضاً» (يع ٣: ٢)، «هكذا اللسان أيضاً هو عضو صغير ويفتخر متعظّماً. هوذا نار قليلة أيّ وقود تحرق، فاللسان نارٌ. عالَم الإثم. هكذا جُعل في أعضائنا اللسان الذي يدنِّس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويُضرم من جهنم ... أما اللسان فلا يستطيع أحد من الناس أن يذلّله. هو شرٌّ لا يُضبط مملوء سمًّا مميتاً. به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكوَّنوا على شبه الله. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة.» (يع ٣: ٥ - ١٠)

والقديس بطرس ينبِّه أن لا يخضع الإنسان للشر إن بالكلام أو اللسان.

٣: ١١ «لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّلاَمَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ».

بنفس النغمة السابقة من نفس المصدر يمتد هنا القديس بطرس:

«يعرض عن الشر»:

أي يمتنع عن الشر وشبه الشر ويلتصق بالخير والخيِّرين في كل الأحوال، وهنا يدخل إلى مركز التقليد الأبوي الرسولي: يطلب السلام **ζητησάτω εἰρήνη** ويجدُّ في أَثَرِه **καὶ διωξάτω αὐτήν**. ففي مركز الحياة المسيحية بكل ظروفها الحزينة والمفرحة يلتزم بالسلام، هذا هو أساس التقليد التعليمي الرسولي: «إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس» (رو ١٢: ١٨). وهذا التقليد ينبع أصلاً من قول الرب يسوع في إنجيل القديس متى: «طوبى لصانعي السلام. لأنهم أبناء الله يُدعون» (مت ٥:

(1) Leonhardt Goppelt, *A Commentary on I Peter,* 1978, Eng. tr. 1933, p. 237.

٩). وإن تمسَّك الإنسان بالسلام كأساس لمعاملاته في البيت وخارج البيت وفي العمل وفي اللعب والفراغ فلن يُخطئ أبداً، لأن وعد المسيح مسنود بالطوبى ومُعطي القدرة لأن يصيروا بنينَ لله. وعلى الإنسان أن يختار الخسارة مع السلام والتنازل عن الرأي وعن الثمن وعن الحقوق الذاتية من أجل السلام ليحيا السلام مع رب السلام كابن ملتصق بأبيه.

٣: ١٢ «لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَى الأَبْرَارِ، وَأُذُنَيْهِ إِلَى طَلِبَتِهِمْ، وَلكِنَّ وَجْهَ الرَّبِّ ضِدُّ فَاعِلِي الشَّرِّ».

البار هو من برَّره الله بسبب إيمانه ورجائه الحي فيه، وهنا عند القديس بطرس يُثبت البار أنه ابن السلام، يعيشه ويجدُّ في أثره كسيده الذي يعيش بمشيئته وتحت تدبيره. وإن كان المسيح قد أعطى الطوبى ولقب أولاد الله لمن يصنع السلام فقد صار صانع السلام في دائرة تدبير الله، تحت نظره وسمعه، والله يعطي أكثر جدًّا مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة الممنوحة لنا (أف ٣: ٢٠) في شخص يسوع المسيح رب السلام. أما الذي يُعرِض عن السلام ويضحِّي بوصية الله الأساسية فلا ينتظر أن ينفتح عليه وجه الله: أنتم تطلبون وأنا أَعرِضُ عنكم لأنكم تطلبون ما لا أشاءه وما لا أريده.

وليتذكر القارئ لماذا وقف جمهور الجند السمائي يعلنون لبني البشر أن بميلاد المسيح تمجَّد الله في الأعالي وحلَّ على الأرض السلام بعد لعنة آدم، ودخل السرور قلب الإنسان عوض المرارة والأحزان. فالذي لا يتبع السلام يكون قد رفض انتظار الملائكة وتغاضى عن دائرة السلام التي تركَّزت في بيت لحم. ومعروف أن مَنْ له الابن له الآب أيضاً (١يو ٢: ٢٣)، ومَنْ لا يؤمن بالابن يمكث عليه غضب الله (يو ٣: ٣٦).

فالسلام هو مجال الله الجديد للإنسان الجديد، ينبع من قلب المسيح ليستقر في كل نفس تحب المسيح: «إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن أناثيما (وترجمتها cursed by God أي هو ملعون من الله). ماران أثا.» (١كو ١٦: ٢٢)

فصانعو السلام على الأرض هم في درجة الملائكة الذين لهم الحق أن يقولوا ماران أثا أي تعال أيها الرب سريعاً، لأن ابن المحبة هو ابن السلام وهو الذي يطلب مجيء رب السلام.

ورب الإنجيل لا يتركنا لأهواء مشيئتنا لأنه اشترانا بدمه، فهو يحيط بنا إحاطة الروح بالجسد، فهو صانع الأذن والعين لكي تراه وتسمع له ويراها ويسمع لها، فوجه الرب مُواجِهٌ لوجهنا. ولكن إن كنا لسنا أولاده فهل يمكن أن يعتني بنا أو يعطينا وجهه؟

مواجهة الآلام

(٣: ١٣ – ٤: ١١)

القديس بطرس هنا بعد أن كلّم العبيد (٢: ١٨ – ٢٥): «لأن هذا فضلٌ إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألّماً بالظلم»، يعود إلى أبناء الكنيسة الذين اشتراهم المسيح بدمه ليكونوا عبيداً لله. هنا القديس بطرس يفتتح مجالاً جديداً للآلام كنتيجة للمجتمع الذي ينكر المسيح ويعتبرنا أعداء. صحيح أن القديس بطرس لمس موضوع الآلام بسرعة في (١: ٦): «إن كان يجب أن تُحزَنُون يسيراً بتجارب متنوعة»، وفي (٢: ١٢): «يفترون عليكم كفاعلي شر»، وفي (٢: ٩ – ٢١، ٣: ٩).

لكنه الآن يتقدَّم إلى القاعدة العامة للتقليد الأبوي الأقدس من جهة الآلام في كنيسة الله. ويقدِّمها في ثلاثة أجزاء:

- ففي (٣: ١٣ – ١٧): يعطي الوصية الأساسية بأن نكون مستعدين لاحتمال الآلام.
- وفي (٣: ١٨ – ٢٢): يدعِّم ذلك بمثال المسيح الذي تألّم لأجلنا.
- وفي (٤: ١ – ٦): يعرض النتيجة الخلاصية للآلام.

ثم يعطي في (٤: ٧ – ١١): الوصايا اللازمة للكنيسة لاستمرار وجودها حتى النهاية القريبة ثم تبتدئ الرسالة من (٤: ١٢): كما كانت في (٢: ١١): بمخاطبة جديدة «أيها الأحباء» وتستمر في (٤: ١٢ – ١٩): تتناول موضوع الألم مرَّة أخرى من وجهة نظر أخرى.

الاستعداد أن نتألّم في المجتمع من أجل سلوكنا: (٣: ١٣ – ١٧):

٣: ١٣ – ١٧ «(و) مَنْ يُؤْذِيكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِالْخَيْرِ؟ وَلكِنْ وَإِنْ تَأَلَّمْتُمْ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ فَطُوبَاكُمْ. وَأَمَّا خَوْفَهُمْ فَلاَ تَخَافُوهُ وَلاَ تَضْطَرِبُوا، بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الإِلهَ فِي قُلُوبِكُمْ، مُسْتَعِدِّينَ دَائِماً لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ، وَلَكُمْ ضَمِيرٌ صَالِحٌ، لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ يَشْتِمُونَ سِيرَتَكُمُ الصَّالِحَةَ فِي الْمَسِيحِ، يُخْزَوْنَ فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ. لأَنَّ تَأَلُّمَكُمْ إِنْ شَاءَتْ مَشِيئَةُ اللهِ، وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ خَيْراً، أَفْضَلُ مِنْهُ وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ شَرًّا».

هذا الجزء إنما جاء مرتَّباً بعناية كبيرة. فهو يبدأ بحرف (واو) καί ليستطرد ويربط الكلام بما سبق

وقدَّمه، ويتساءل: وفي هذه الحال - أي سلوكهم بالصلاح - مَنْ يؤذيهم؟ وتجيء باليونانية: «وأنتم غيورون من أجل الصلاح»، وقد سبق أن قيلت في رسالة بيطس:

+ «الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهِّر لنفسه شعباً خاصاً **غيوراً في أعمال حسنة**.» (تي ٢: ١٤)

وتفيد بحسب قصص التقليد والاستشهاد: التصميم والإصرار وانحراف الشعور في بذل الذات من أجل الصلاح، كما نحس من روح هذه الرسالة في حث القديس بطرس للشعب.

وفي الآية (١٤) يطالب بالبر، وفي الآية (١٦): «ولكم ضمير **صالح**»، وفي الآية (١٧): «**صانعون خيراً**» وهي مفتاح الآية (٢: ١٢): «وأن تكون سيرتكم بين الأُمم **حسنة**»، وجاءت في (٣: ٦): «**صانعات خيراً**».

وهكذا يتصوَّر مجتمعاً مسيحياً عادلاً كما جاء في (٤: ١٥): «فلا يتألم أحدكم كقاتل أو سارق أو فاعل شر أو متداخل في أمور غيره». ويكون للمسيحي ضمير صالح أمام الله في المسيح كشركة كريمة مع الرب.

«ومَنْ يؤذيكم إن كنتم غيورين للخير؟»:

وبطرس الرسول يقول: «مَنْ يؤذيكم» وبالتدقيق «مَنْ يسيء إليكم»، لأن الله ينظر إلى المظلومين والمُضطَهَدين من الغير ظلماً. وكلمة «يؤذيكم» أو «يُسيء إليكم κακώσων» تجيء بمعنى الاضطهاد في سفر الأعمال:

+ «فيستعبدوه **ويسيئوا إليه** أربعَ مئة سنة. والأمة التي يستعبدون لها سأدينها أنا يقول الرب.» (أع ٧: ٦ و٧)

+ «فاحتال هذا على جنسنا **وأساء** إلى آبائنا.» (أع ٧: ١٩)

+ «وفي ذلك الوقت مدَّ هيرودس الملك يديه **ليُسيء** إلى أُناس من الكنيسة.» (أع ١٢: ١)

فكلمة «يؤذيكم» تشير إلى الاضطهاد.

وبطرس الرسول يحث الشعب في رسالته لكي يتبع التقليد الذي وضعه المسيح: «فليُضئ نوركم هكذا قدَّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥: ١٦)، والتي تعني أنه يلزم أن يكون لنا أعمال صالحة في وسط مظلم حتى يتمجَّد النور الحقيقي. وهكذا يأتي تشجِّع المسيح ومن ورائه الرسل، مؤكِّدين أن قوَّة الصلاح حتماً تغلب الشر، وعلى هذا الأساس وضع

القديس بطرس آيته: «غير مجازين عن شر بشر أو عن شتيمة بشتيمة بل بالعكس مباركين عالمين أنكم لهذا دُعيتم لكي ترثوا بركة» (٣: ٩). وهذا يعني أن البركة والمباركة قد غلبت الشتيمة والشر، وهذا يعزوه القديس بطرس لقوة الإنجيل والكلمة: «لهذا دُعيتم».

«ولكن إن تألَّمتم من أجل البر فطوباكم، وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا»:

«ولكن إن تألَّمتم من أجل البر فطوباكم»:

هنا القديس بطرس يستمد تقليده الرسولي من قول المسيح: «طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات» (مت ٥: ١٠). هنا واضح كيف خرج التقليد الرسولي الكنسي من الإنجيل مباشرة. والقديس بطرس يوضِّحها جدًّا بقوله في (٤: ١٤): «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم». فهي معركة بين الظلمة والنور بدون عراك. فالأعمال الحسنة تبدِّد الظلام الكاذب، والصمت إزاء التعيير باسم المسيح يمجِّد الله ويُكسب المعركة.

ولسان حال القديس بطرس: وإذ أنتم مستعدون للألم تمِّموا صلاحكم في علاقتكم بالآخرين.

«وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا»:

طبعاً يقصد أن لا يخافوا الشر طالما هم يخافون الله والمسيح، وقد سبق وأشار إلى مخافة الله في (١: ١٧)، (٢: ١٧)، (٣: ٢):

+ ««فسيروا زمان غُربتكم بخوف»،
+ «خافوا الله، أكرموا الملك».
+ «ملاحظين سيرتكم الطاهرة بخوف».

فطالما الإنسان يعيش في مجال خوف الله لا يعود بعد يخاف إنساناً ولا كل ما يعمله الإنسان. وهو هنا يستعين بإشعياء النبي (٨: ١٢ و١٣):

+ «لا تخافوا (أشور) خوفه ولا ترهبوا. قدِّسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم».

ولكن القديس بطرس لا يقتبس حرفيًّا ولكن مجرى الكلام واضح والمعنى يُلزم الكاتب بما يشبه الاقتباس.

وكلمة «خوفهم» هنا تنصبُّ على المجتمع الغريب الذي يعيشون فيه، لأن الرب الإله الذي يتبعونه - أي المسيح القائم في السماء - ينزع من قلوبهم الخوف حينما يقدِّسون اسمه كما نقول في الصلاة الربانية: «أبانا الذي في السموات ليتقدَّس اسمك». هنا تقديس الاسم مثل الاعتراف به تماماً. هذا هو الخلاص الذي نعيشه الذي يحطِّم كل شر، لأن قداسة الله تسود وتملأ الكون كله وتغطِّي كل المواقف:

«تكونون قديسين لأني قدوسٌ الربُّ إلهكم» (لا ١٩: ٢). هنا تتقدَّس الحياة واليوم والعمل والفكر والكلمة، والرب إلهكم هو المسيح القائم في السماء.

والمعنى الذي يقصده بطرس الرسول هو أن ضغط المجتمع المخالف للمسيح يُنشئ خوفاً، فبطرس الرسول يقول: «أما خوفهم فلا تخافوه ولكن قدِّسوا الرب الإله»، يقصد يسوع المسيح القائم في السماء يحكم ويدبِّر. وهذا هو روح الخلاص الذي نعيشه ونغلب به العالم. فالإيمان بالمسيح الذي نعيشه في قلوبنا يطرد الخوف خارجاً، أي خارج محيط الحياة التي نحياها في الرب.

«بل قدِّسوا الرب الإله في قلوبكم، مستعدين دائماً لمجاوبة كل مَنْ يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف»:

لقد استوفينا عدم الخوف في الآية السابقة، وهنا نجيء إلى النصف الآخر: «مستعدين دائماً لمجاوبة كل مَنْ يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف». وقد جاءت كأصل للتقليد في (لو ١٢: ٤):

+ «ولكن أقول لكم يا أحبائي لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر، بل أريكم ممَّن تخافون: خافوا من الذي بعد ما يقتل له سلطان أن يلقي في جهنم. نعم أقول لكم من هذا خافوا.» (لو ١٢: ٤ و٥)

هذا على أساس أن الله سيتولى الدفاع عنَّا:

+ «ومتى قدَّموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجُّون أو بما تقولون، لأن الروح القدس يعلِّمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه.» (لو ١٢: ١١ و١٢)

وهنا يقصد الرب كل المواقف الخطرة بكل أنواعها وكل ظروفها سواء خاصة مع الأفراد أو عامة حكومية أمام السلطات الرسمية. هنا يتولَّى الله الدفاع والتبرير أو التبريء. والقديس بطرس هنا يذكر «لمجاوبة» ἀπολογίαν أي إعطاء تقرير أو سبب: «فإذاً كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله» (رو ١٤: ١٢). وأيضاً: «فيحصل على فرصة **للاحتجاج** عن الشكوى» (أع ٢٥: ١٦)، وأيضاً: «إني أحسب نفسي سعيداً أيها الملك أغريباس إذ أنا مزمع أن **أحتج** اليوم لديك عن كل ما يحاكمني به اليهود» (أع ٢٦: ٢)، وأيضاً: «في **احتجاجي** الأول لم يحضر أحد معي، الجميع تركوني، لا يُحسب عليهم» (٢تي ٤: ١٦). وتعني الدفاع أمام المحكمة. ولكن في (١كو ٩: ٣)، (٢كو ٧: ١١) تعطي معنى آخر: «هذا هو **احتجاجي** عند الذين يفحصونني» (١كو ٩: ٣) وتعني الدفاع الخاص الشخصي. «كم أنشأ فيكم من الاجتهاد بل من **الاحتجاج**» (٢كو ٧: ١١) وتعني هنا دفاع رفضي سلبي.

ولكن الذي يقصده القديس بطرس هو عن المناقشات الجارية كل يوم بين المسيحيين وغير المسيحيين عن سلوكهم وتفكيرهم. ولكن مثل هذه المناظرات قد تؤدِّي إلى المحاكمة الرسمية القانونية كما جاء في سفر الأعمال عن فترة المسيحية الأُولى (أع ١٦: ١٩ - ٤٠): «فلما رأى مواليها أنه قد خرج رجاء مكسبهم أمسكوا بولس وسيلا وجرُّوهما إلى السوق إلى الحكَّام ...» (أع ١٦: ١٩). الأمر الذي انتهى بحبس بولس وسيلا، وأفرج عنهم الله بزلزلة، وآمن رئيس السجن وكل بيته. وهكذا انتهى الدفاع المسيحي إلى نشر الكلمة.

وأيضاً: (أع ١٧: ٦ - ١٠):

+ «ولما لم يجدوهما جرُّوا ياسون وأُناساً من الإخوة (المسيحيين) إلى حُكام المدينة صارخين إن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة حضروا إلى ههنا أيضاً.» (أع ١٧: ٦)

وأيضاً: (أع ١٩: ٢٤ - ٤٠):

+ «لأننا في خطر أن نُحَاكَم من أجل فتنة هذا اليوم وليس علَّة يمكننا من أجلها أن نقدِّم **حساباً** عن هذا التجمُّع.» (أع ١٩: ٤٠)

كذلك نجد هذا الوضع في إنجيل القديس لوقا (١٢: ١١):

+ «ومتى قدَّموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما **تحتجون** أو بما تقولون لأن الروح القدس يعلِّمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه.» (لو ١٢: ١١ و١٢)

وبطرس الرسول يسبق فيتصور أنه قد يحدث مثل هذا، وهو يحذِّر أن لا يكون المسيحي تحت اللوم: «فلا يتألَّم أحدكم كقاتل أو سارق أو فاعل شر أو متداخل في أمور غيره. ولكن إن كان كمسيحي فلا يخجل (من أي تهمة) بل يمجِّد الله من هذا القبيل.» (١بط ٤: ١٥ و١٦)

ولكن هنا في هذا الأصحاح لا يقصد ذلك، ولكن يقصد ويطلب أن يكون كل مسيحي على مستوى المعرفة الصحيحة بإيمانه وعقيدته في المسيح لكي يستطيع أن يعطي فكرة صحيحة عن أي ما يخص الإيمان المسيحي، وهذا هو مستوى كل مسيحي أن يكون باستعداد الكرازة بما يؤمن به عندما يُسأل عن ذلك. وأوضح ما يكون ظاهراً لغير المؤمن هو سبب الرجاء الحي الفرح في المسيحي المؤمن المحب للمسيح.

وهكذا نجد القديس بطرس يهتم جدًّا بالرجاء الحي الذي نعيشه علناً وليس بمجرَّد الإيمان الصامت:

+ «ولَدَنا ثانية **لرجاء حيّ**.» (١بط ١: ٣)

+ «حتى إن إيمانكم **ورجاءكم هما في الله**.» (١بط ١: ٢١)

لأن عند القديس بطرس، ما يميِّز المسيحي كعلامة واضحة هو الرجاء الحي، والسبب هو أن المسيحي دائماً ينظر إلى المستقبل ويفرح بالحاضر.

«ولكم ضمير صالح، لكي يكون الذين يشتمون سيرتكم الصالحة في المسيح، يخزون في ما يفترون عليكم كفاعلي شرٍّ»:

«ضمير صالح»:

هنا يطالب القديس بطرس الإنسان المسيحي الذي ابتدأ يرد على غير المسيحي فيما يخص إيمانه أنه يلزم قبل كل شيء أن لا يثور أو يغضب أو يُظهر عدم الرضا، بل يتكلَّم من منطلق ضمير صالح من نحو الآخر، أي يحتج وله في قلبه مودَّة واحترام ولطف من جهة الآخر حتى ولو كان عدوًّا.

مثلما ورد في رسائل القديس بولس:

+ «هكذا فليحسبنا الإنسان (المستفسر) كخدَّام المسيح ووكلاء سرائر الله. ثم يُسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً. وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُحكم فيَّ منكم أو من يوم بَشَر. بل لست أحكم في نفسي أيضاً. فإني لست أشعر بشيء في ذاتي. لكنني لست بذلك مبرَّراً. ولكن الذي يحكم فيَّ هو الرب.» (١كو ٤: ١ - ٤)

و«الضمير الصالح» معناه أن يكون المسيحي عائشاً حقًّا في الإيمان ولكن دون أن يشعر أنه إنسان كامل:

+ «لست أني قد نلت أو صرت كاملاً، ولكني أسعى لعلِّي أُدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع. أيها الإخوة، أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت. ولكني أفعل شيئاً واحداً: إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قُدَّام ... فليفتكر هذا جميع الكاملين منا، وإن افتكرتم شيئاً بخلافه فالله سيُعلن لكم هذا أيضاً. وأما ما قد أدركناه، فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه، ونفتكر ذلك عينه.» (في ٣: ١٢ - ١٦)

وكما في (رو ١٢: ٣):

+ «فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل مَنْ هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى التعقُّل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان».

والضمير الصالح لا يُعطي مجالاً للشك، ويسند الضمير الصالح سلوكٌ صالحٌ في الحياة بين الناس كمسيحي.

والقديس بطرس هو الوحيد غير القديس بولس الذي يستخدم تعبير «**في المسيح**» وخاصة في قوله: «الصالح» أو «الصلاح» «في المسيح»، كمصدر لكل ما هو صالح. وقد استخدمها القديس بولس ١٦٤ مرَّة في رسائله، وقد نقلها عنه القديس بطرس.

ولكن عبارة «**في المسيح**» عند القديس بولس مستخدمة في معان كثيرة، فهي قد تكون بمعنى فعلي أي المسيح يكون الفاعل، وقد تأخذ معنى الواسطة أي بواسطة المسيح، ولكن القديس بولس لم يستخدم «في المسيح» قط بالمعنى الميستيكي النظري ولكن بالمعنى العملي الذي يتضمَّن الموت والقيامة في المسيح، مثلما جاء في (١كو ١٥: ٢٢):

+ «لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا **في المسيح** سيُحيَا الجميع».

وأما القديس بطرس فيستخدم «في المسيح» ثلاث مرَّات فيها يصف كيف تتشكَّل الشركة في المسيح، وهي تعتبر من العناصر اللاهوتية الأساسية في الرسالة الأولى للقديس بطرس الرسول. فالصلة بالمسيح الآن إنما تميِّز وتوضِّح كيفية حياة المسيحي «في المسيح»، كما جاء في (٣: ١٦): «يشتمون سيرتكم الصالحة **في المسيح**»، وأيضاً تميِّز المسيحي في المستقبل: «دعانا إلى مجده الأبدي **في المسيح**» (٥: ١٠). وأوضحها في نهاية الرسالة: «سلام لكم جميعكم **الذين في المسيح يسوع**. آمين» (٥: ١٤). و«**الذين في المسيح**» عند القديس بطرس هم أولئك الذين اتحدوا بالمسيح.

وفي اعتبار القديس بطرس أن الإنسان المسيحي المبتدئ إيمانه يكفيه. أمَّا إذا خرج أو وقف ليعلِّم أو يقود أو يعرِّف أو ينير الطريق أمام الآخرين، أي ليُعلن الإيمان المسيحي، فلا بد أن يكون قد خرج من مستوى الإيمان الخفي الصامت إلى مستوى الشهادة بالقول والعمل والكلام والسلوك الصالح الذي يشهد عملياً أن هذا إنسان مسيحي متمسِّك بالمسيح أو متَّحدٌ بالمسيح.

فـ«**في المسيح**» اصطلاح استعلاني عملي لمن يُظهر المسيح في العمل أو القول أو التأمُّل أو الرجاء بالمستقبل والفرح الآن رغم الآلام والضيقات، لأن الفرح في الآلام يشهد أن المسيحي يؤمن ويتمسَّك ويتمثَّل بالذي عمل الفداء والخلاص. هذا الفارق واضح بين رسالة بطرس وخاصة في الفصول القادمة وبين رسائل بولس الرسول التي امتلأت بعبارة «في المسيح»، ولا تعني إلا الإيمان بما عمله المسيح. فقرار القديس بولس: «إن آمنت بقلبك واعترفت بفمك خلصت» يقابله قرار القديس بطرس: "إن كنت

مؤمناً بالمسيح تسلك بالصلاح وتعلّم الآخرين خبرتك في المسيح بلطف وصبر واستعداد للألم والفرح في الألم". وهذا يتضح من كل المواقف التي ذكر فيها بطرس الرسول اصطلاح «في المسيح»: "سيرة المسيحي العامة في المسيح" (٣: ١٦) أو في المستقبل "في مجد المسيح" (٥: ١٠)، أو «الذين في المسيح يسوع» (٥: ١٤). هذه هي الحالات التي تعرَّض لها القديس بطرس باتصالنا أو تعلقنا أو اتحادنا بالمسيح كجماعة.

أما المقاومون فيرى بطرس الرسول أنهم سيخزون إذا ما رأوا سيرتنا في المسيح، ويستعمل القديس لوقا نفس هذا الاصطلاح «يخزون» لمَّا وضع المسيح يده على المرأة المنحنية وقد استقامت قائلاً أنها ابنة إبراهيم وقد ربطها الشيطان ١٨ سنة:

+ «وإذ قال هذا **أُخجِل** جميع الذي كانوا يعاندونه وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه.» (لو ١٣: ١٧)

«لأن تألُّمكم إن شاءت مشيئة الله وأنتم صانعون خيراً، أفضل منه وأنتم صانعون شرًّا»:

هذه الآية لا يمكن فهمها إلا بالآية التي بعدها: «فإن المسيح أيضاً تألم مرَّة واحدة من أجل الخطايا. البار من أجل الأثمة لكي يقرِّبنا إلى الله». هنا المسيح صالح وأبو كل صلاح ولكنه تألَّم كخاطئ وصانع شر وقَبِلَ ذلك ومات دون أن يدافع عن نفسه. فإن شاءت مشيئة الله أن تأخذوا مأخذ المسيح وتتألَّموا كأنكم قد فعلتم شرًّا بحجة التجمُّعات غير الرسمية المرفوضة أو أعمال تُحسب أنها منافية للقانون وتُحسبون أنكم أشرار، ودخلتم تحت العقاب كالمسيح، فهذا محسوب أيضاً أنه يقرِّبكم إلى الله، لأنكم قد وُضعتم مع الأشرار وأنتم لستم أشراراً. ولكن فلسفة الكلام هنا اضطرت القديس بطرس أن يرجع ويقول إنه الأفضل أن لا تدخلوا تحت هذه التهم وتتحاشوها حتى لا تُحسبوا مخالفين، والأفضل أن تتألَّموا وأنتم صانعون خيراً. والجملة الحارسة للمعنى الصعب هي: «إن شاءت مشيئة الله». فهي ليست مشيئتهم لذلك ينبغي الخضوع لها وقبولها، ولكن هذا إنما يسيء إلى سمعة المسيحيين أن يُحسبوا أشراراً في المجتمع غير المسيحي ويعود بالخسارة على البشارة: «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين.» (مت ٥: ١١)

المسيح يفتتح طريق الخلاص

(٣: ١٨ – ٢٢)

٣: ١٨ – ٢٢ «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتاً فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيًى فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضاً ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ، إِذْ عَصَتْ قَدِيماً، حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ. الَّذِي مِثَالُهُ (أيضاً καί) يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الآنَ، أَيِ الْمَعْمُودِيَّةُ. لاَ إِزَالَةُ وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ فِي يَمِينِ اللهِ، إِذْ قَدْ مَضَى إِلَى السَّمَاءِ، وَمَلاَئِكَةٌ وَسَلاَطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخْضَعَةٌ لَهُ».

بطرس الرسول سبق أن قدَّم مجموعتين من الآيات تختص بالخلاص: المجموعة الأُولى (١: ١٨ – ٢١)، والمجموعة الثانية (٢: ٢٢ – ٢٥).

وهنا في هذه المجموعة الثالثة التي تخص الخلاص ركَّز على الموضوع العام للرسالة وهو «الآلام» أي احتمال المسيح يسوع للآلام خاصة – بحسب نهاية الفقرة السابقة – «الآلام ونحن صانعون شرًّا» لأن المسيح مات باعتباره صانع شرٍّ، والشر شرّنا.

والذي ينبِّه ذهننا هنا هو تعرُّض القديس بطرس إلى عدد كبير من العناصر في طريق حياة المسيح وموته ونزوله إلى الجحيم وقيامته وجلوسه عن يمين الآب، أكثر من أي موضع آخر في العهد الجديد. كذلك يوجد هنا عند القديس بطرس كثير من التعبيرات الواردة في الجزء الثاني من قانون الرسل[٢]،

---

(٢) **قانون الرسل أو قانون الإيمان الرسولي** هو صيغة قديمة جدًّا لقانون الإيمان سابقة لمجمع نيقية وقد اقتبس آباء مجمع نيقية أجزاء منها في قانون الإيمان النيقاوي. والجزء الثاني منه هو الخاص بالابن وصيغته كما يلي:

[و(أومن) بابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا الذي حُبل به من الروح القدس، وولِدَ من مريم العذراء **وتألَّم** في عهد بيلاطس البنطي، وصلب ومات وقُبر، **ونزل إلى الجحيم، وقام** من بين الأموات في اليوم الثالث، **وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الله** الآب الضابط الكل، من حيث **سيأتي ليدين الأحياء والأموات**]. (والأجزاء المكتوبة بالبنط الأسود هي التي وردت في رسالة القديس بطرس الأُولى).

وقد ذكرها بأسلوب بدائي مختصر.

ففي الآية (١٨) تأتي الآلام بصورة مختصرة، ولكن في الآية (١٩) نسمع أنه ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، وفي الآية (٢١) و(٢٢) نسمع عن القيامة وأنه «**مضى إلى السماء**» جالساً «**عن يمين الله**».

ولكن القصد من هذا القسم ليس أن يشرح رحلة الفداء بكل خطواتها ولكن أن يشير فقط إلى الآلام التي احتملها حتى الموت «البار من أجل الأثمة» أي الأشرار، مشيراً إلى المسيح أنه هو الذي مات وقام حيًّا (١٨).

أما نتائج آلام المسيح حتى الموت فقد وردت ثلاث مرات بكلمة «أيضاً» καί المكرَّرة في الآيات (١٨ و١٩) ثم المعمودية «أيضاً» (٢١). فالقوة المنبعثة من آلام البار حتى الموت تتضح في هذا الجزء ثلاث مرَّات:

ففي الآية (١٨) يشير إلى قيادة البشر وتقديمهم إلى الله. وفي الآية (١٩) استعلان الخلاص والنداء به للأرواح التي في السجن، وفي الآيات (٢٠ و٢١) يشير إلى الخلاص من الهلاك الذي أكمله، والذي يجري الآن في المعمودية، وفي الآية (٢٢) سيادته بالخلاص فوق كل قوى العالم. هذا كله يؤكِّده ولكن ليس في ترتيب منطقي.

ومن الواضح أن القديس بطرس قد جمع معاً في مجموعة متناسقة سلسلة من المعارف والعبادات التقليدية ليُظهر الخلاص العام وأثره الناتج من الآلام حتى الموت.

والآلام التي جازها المسيح البار تتميَّز بوضوح بأنها «مرَّة واحدة» (١٨). وهو هنا يجري وراء كيفية اشتراكنا عمليًّا في آلام المسيح كما ستأتي في (٤: ١٣): «بل كما اشتركتم καινωνεῖτε في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين». لأن حقيقة الشركة والاشتراك في طريق المجد حاضرة في ذهنه ليضع بها أساس الكلام عن الطوبى للذين يتألَّمون من أجل البر (٣: ١٣ - ١٧).

وترتيب المقولات والأفكار هنا يجعلنا نظن أنه كانت أمام القديس بطرس صيغة مكتوبة أو محفوظة يأخذ منها ويصيغ المعاني دون أن يلتزم بها، ونجد مثل هذه الصيغة التقليدية في (١تي ٣: ١٦):

+ «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد، تبرَّر في الروح، تراءى لملائكة، كُرِزَ به بين الأُمم، أومن به في العالم، رُفع في المجد».

لهذا يُلاحَظ أن القديس بطرس الرسول استخدم كثيراً تقليداً رسوليًّا معروفاً ومدوَّناً، وقد صاغ رسالته على أساس تقليدي واضح.

وهذا التقليد المسلَّم نسمع به في كل الرسائل: فمثلاً في (رو ١: ٣ و٤): «عن ابنه الذي صار من نسل داود حسب الجسد، وتعيَّن ابن الله بقوَّة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأمـــوات. يسوع المسيح ربنا».

ونلاحظ أن ذكره الطوفان هو الذي أتى به إلى ذكر المعمودية، كذلك يظهر هذا التقليـــد بـــذكر الطوفان في (عب ١١: ٥ - ٧):

+ «بالإيمان نُقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله - إذ قبل نقله شُهِدَ له بأنه قد أرضى الله - ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يـــؤمن بأنـــه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه. بالإيمان نوح لمَّا أُوحي إليه عن أمور لم تُرَ بعد خاف فـــبنى فُلكاً لخلاص بيته، فبه دان العالم وصار وارثاً للبر الذي حسب الإيمان».

كذلك نرى هذا التقليد واضحاً في (٢بط ٢: ٤ و٥): «لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلَّمهم محروسين للقضاء. ولم يُشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبر، إذ جلب طوفاناً على عالم الفُجَّار».

«فإن المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة من أجل الخطايا. البار من أجل الأثمة لكي يقرِّبنا إلى الله. مُماتاً في الجسد ولكن مُحْيَى في الروح»:

(١٨ أ): «فإن المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة من أجل الخطايا»:

ذكر القديس بطرس تألُّم المسيح في (٢: ٢١): «فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته». هنا التألُّم ἔπαθεν ليس مجرَّد تألُّم، بل تألُّم مؤدِّي إلى الموت، والفعل الذي يُستخدم للألم الذي يفضي إلى الموت هو πάσχειν . هنا التألُّم الذي أفضى إلى الموت تألمه مرَّة واحدة ἅπαξ، والمعنى استخدمه القديس بولس أيضاً في (رو ٦: ١٠): «لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مـــرَّة واحدة ...». والمعنى أن الخطايا التي تفصلنا عن الله انتصر عليها نهائياً وافتتح الطريـــق إلى الله وهـــو الطريق الذي أَخَذَنا فيه يسوع، الذي يكمِّله القديس بطرس في باقي الآية (١٨ ب) وقد انفتح لنا إلى الأبد.

هذا الانعتاق من الخطايا أصبح ممكنا بموت المسيح ونقرأه واضحاً في (١كـــو ١٥: ٣): «فـــإنني سلَّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتـــب». وهـــذا موجود أيضاً في (غل ١: ٤) كتقليد مُسلَّم: «الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا».

وكذلك موجود في (عب ١٠: ١٢):
+ «وأما هذا فبعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله».

ويُلاحظ القارئ أن التقليد في رسالة غلاطية استعمل «لأجل خطايانا». والتقليد في رسالة العبرانيين استخدم «عن الخطايا»، وكذلك رسالة كورنثوس الأُولى بدون تفريق في المعنى، وهما اصطلاحان مأخوذان من العهد القديم (حز ٤٣: ٢١) περί، (٤٣: ٢٢ و٢٥) ὑπέρ. كذلك في (لا ٥: ٧، ٦: ٢٥)، (مز ٣٩: ٧) تُستخدم: περί. والقديس بطرس لم يستخدم اصطلاحات العهد القديم περί، ὑπέρ للذبيحة عن الخطايا ولكنه استخدم اصطلاح العهد الجديد «مات لأجلنا». وكلمة «لأجل» for توضِّح عند القديس بطرس أن الخطايا قد مُسحت وتلاشت بالموت الكهنوتي الكفَّاري، حتى إن الخطايا لم تعد ذات سلطان لكي تفصل عن الله. لهذا انفتح الطريق بلا عائق للدخول إلى الله. وهنا يضغط القديس بطرس على المعنى الروحي والعبادي للكفارة كطريق للاقتراب إلى الله. ولكن في الآية (٢: ٢٤): «لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» يكشف عن الاتجاه الأخلاقي والكنسي. وفي الحالتين يقتضي المعنى ليس فقط أن الإثم قد مُحي، ولكن أيضاً أن السلوك الخاطئ قد مُحي أيضاً.

(١٨ ب): «البار من أجل الأثمة»:

وهذه تكوِّن على التوازي نفس الحقيقة السابقة أن المسيح تألَّم للموت من أجل الخطايا. فيسوع تألَّم باعتباره باراً من أجل الأثمة.

وكلمة "أثيم" = غير البار = unrighteous = ἄδικος في العهد القديم كانت تدل على الشخص الذي يكسر عدالة الله وبالتالي يُطرد من الله. وهنا يُقدِّم لنا القديس بطرس المسيح باعتباره "البارّ"، فجميع الآخرين غير المسيح غير أبرار unjust - وبحسب التقليد الرسولي يُعرَّف المسيح بـ"البارّ" بالتعريف بالألف واللام «يسوع المسيح البارّ» (١يو ٢: ١)، (أع ٣: ١٤) كما في (إش ٥٣: ١١): «وعبدي **البار** بمعرفته **يبرِّر** كثيرين وآثامهم هو يحملها»، وهو التعبير الذي طوَّره القديس بطرس في (٢: ٢٢): «الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه مكرٌ».

(١٨ ج): «لكي يقرِّبنا إلى الله»: προσαγάγῃ

وهنا يختلف القديس بطرس قليلاً عن القديس بولس وعن سفر العبرانيين. فكما أوضح نتائج الفداء في (١بط ٢: ٢٤، ٤: ٦)، يقدِّم هنا نتيجة الفداء أنه فتح الطريق للدخول إلى الله حسب التقليد، ولكنه يستخرج لنفسه رؤيا جديدة بكلمات جديدة. فالقديس بولس سبق أن استخدم كلمة

"دخول" προσαγωγή = access وهذا الدخول قد حدث بالفعل، عند القديس بولس، بالفداء، لأن الفداء أنشأ سلاماً مع الله كما ورد في (رو ٥: ١):

+ «فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا **الدخول** προσαγωγήν بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله.» (رو ٥: ١ و٢)

وأيضاً في (أف ٢: ١٨):

+ «لأن به لنا كلينا **قدوماً** προσαγωγήν في روح واحد إلى الآب».

وأيضاً في (أف ٣: ١٢):

+ «الذي به لنا جراءة **وقدوم** προσαγωγήν بإيمانه عن ثقة».

وبحسب سفر العبرانيين (١٠: ١٩ - ٢٢)، فالطريق إلى قدس الأقداس افتُتح حتى إننا يمكن أن نقترب «**فلنتقدَّم** بقلب صادق»، وأيضاً: «**لنتقدَّم** بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب ٤: ١٦)، وأيضاً: «بل قد **أتيتم** إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أُورشليم السماوية.» (عب ١٢: ٢٢)

ولكن بحسب القديس بطرس في رسالته الأُولى، **فالمسيح هو الواحد الوحيد الذي يقود المفديين المتقدِّمين إلى الله**. فهو ليس فقط متقدِّماً وسابقاً كما في سفر العبرانيين ليُعدَّ الطريق (عب ٦: ٢٠): «حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا»، «وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي» (عب ٥: ٩)؛ ولكن عند القديس بطرس، المسيح هو الذي يقود προσ-άγω وهذا التعبير الخاص جدًّا في تصور القديس بطرس يتمشَّى مع فكره العام، وهو صاحب تعبير "تبعية الرب":

+ «لأنكم لهذا دُعيتم، فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا، تاركاً لنا مثالاً لكي **تتَّبعوا خطواته**.» (٢: ٢١)

وهو صاحب اصطلاح **الشركة في طريق المسيح**:

+ «بل كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين.» (٤: ١٣)

و**"القيادة"** عند المسيح تعني عمل الذي يدعو الكنيسة: «بفضائل الذي **دعاكم** من الظلمة إلى نوره العجيب» (١بط ٢: ٩)، وعلى الأخص الإنسان المرتبط بالمسيح في شركة آلامه من أجل البر كما جاءت في (١بط ٤: ١٣). وبحسب القديس بطرس فإن هذا التعبير يُحسب دعوة: «لأنكم لهذا **دُعيتم**

(شركة الألم). فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي **تتبعوا خطواته**.» (٢: ٢١)

(١٨ د): «مُماتاً في الجسد ولكن مُحيًى في الروح»:

(مُماتاً = θανατωθείς**):**

ثنائية الجسد والروح التقليدية لدى الرسل استُخدمت هنا، وقد استخدمها القديس بولس في (رو ١: ٣ و٤): «عن ابنه. الذي صار من نسل داود **حسب الجسد**، وتعيَّن ابن الله بقوَّة من جهة **روح** القداسة بالقيامة من الأموات». وقد توسَّع فيها القديس بولس في (١تي ٣: ١٦): «وبالإجماع عظيمٌ هو سر التقوى، الله ظهر **في الجسد** تبرَّر **في الروح**، تراءى لملائكة، كُرِزَ به بين الأُمم، أومن به في العالم، رُفِعَ في المجد»؛ وذلك حسب التقليد المسيحي المُسلَّم من الرسل، وهو لا يتبع المعرفة اليونانية عن أجزاء الإنسان الأصلية التي كانت محصورة في الجسد والنفس ولكن أحياناً كان يُضاف إليها الروح.

فالمسيح مات فيما يخص الجسد من أجل الوجود البشري القابل للموت، ولكن أُحيي ورُفع فيما يخص الروح كما في (رو ١: ٣ إلخ)، ويُقال إنه مات بحسب الجسد وأُحيي بحسب الروح. والأنبياء تنبَّأوا عنه حسب «روح المسيح» الذي كان فيهم (١بط ١: ١١). ولكن الروح ليست هي النفس غير المائتة التي فيه، ولكن الروح في المسيح هي كيانه المتحد بالله.

فقد رُفع لأنه كان روحاً وهذا فائق للمعرفة الطبيعية.

و«الروح» يعتبر اصطلاحاً روحيًّا: «وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر» (رو ٨: ١٠)، «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨: ١١). وأيضاً في (١كو ١٥: ٤٥): «هكذا مكتوب أيضاً. صار آدم الإنسان الأول نفساً حيَّة وآدم الأخير **روحاً مُحيياً**». وأيضاً في (٢كو ٣: ٦): «الذي جعلنا كُفاة لأن نكون خُدَّام عهد جديد، لا الحرف بل الروح، لأن الحرف يقتل ولكن الروح يُحيي». وأيضاً في (يو ٦: ٦٣): «الروح هو الذي يُحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً، الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة».

وهكذا يُستخدم الروح والجسد في العرض الذي قدَّمه بطرس الرسول في رسالته الأُولى (٤: ٦): «فإنه لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح». حيث يتم شرح مصير الأموات من خلال الموت بالجسد ثم القيامة بالروح.

هنا في الحقيقة يصوِّر القديس بطرس موت المسيح منظوراً بمفرده، وقيامته بمفردها وكأنهما عملان

منفصلان ولكنهما متأصِّلان ومتحدان في وجوده الدائم.

والإنجيل لا يُطالب الإنسان بأعمال فردية ذاتية كأنها وحدها تؤدِّي للخلاص، ولكن أن ينضم ويتحد بشخص المسيح، فالخلاص يتم بالاتحاد بشخصه المبارك والتأثر به. وهكذا يقود المسيح الناس إلى الشركة مع الله. والأشخاص الذين يقودهم في هذا الطريق هُم الذين يُقال عنهم أو يُعرفون أنهم في شركته، والذين يستمرون متصلين ومتحدين به من خلال الآلام من أجل البر والمسيح.

ويُستخدم مفهوم "المتألِّمين" كتعبير عن المشتركين معه في آلامه وموته. وهكذا وبهذا يوصف الأشخاص الذين يقودهم المسيح إلى الله والأشخاص الذين يتبعونه بالتلمذة له.

وهذا الخلاص بالقيامة التي قامها الواحد البارُّ يسوع من بعد الآلام حتى الموت يمتد ليس فقط للذين قد بُلِّغوا الإنجيل في أيامه وسمعوا بشارته، ولكن يُستعمل كاصطلاح لجميع الناس، مثل ما جاء في (٤: ٦)، لأن الإنجيل بُشِّر به أيضاً للأموات. فهذه الرؤية المتَّسعة لعمل الخلاص الذي أكمله المسيح بآلامه حتى الموت جاء التعبير عنها هنا بمثال متَّسع جدًّا وللغاية. على أنه سيقول في رسالته الثانية أن المؤمنين الأحياء قيادتهم إلى الملكوت هي أوسع: «لأنه هكذا يقدَّم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح الأبدي.» (٢بط ١: ١١)

«الذي فيه أيضاً ذهب فكرزَ للأرواح التي في السجن»:

أول ما لفت نظر التلاميذ إلى علاقة المسيح بالموتى والقبور والهاوية أو الجحيم هو إقامة لعازر من الموت بعد أن بقي في الموت أربعة أيام. هنا تلاشت قوَّة الموت والهاوية وسلطان الموت. ولكن أول حادث بنى عليه الرسل فكرهم بهذا الخصوص هو بقاء المسيح في القبر بين الموتى ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، أين كان وماذا كان يعمل؟

ويقول القديس بطرس إن المسيح لَمَّا مات وأُنزل إلى القبر، فَقَبْل أن يقوم ذهب بلا جسد إنما بروحه للأرواح المماثلة بلا أجساد. هكذا اتفق العلماء الأوَّلون في شرح هذه الآية. على أن لروح الرب قوَّة ذاتية، قوة مَنْ مات وقام. فالمسيح لما صُلب ومات، مات كبارٌّ عن الأثمة، ولما ذهب إلى الأرواح التي في السجن ذهب كبارٌّ من أجل الأثمة، فهذا كجزء لا يتجزَّأ من قصد وغرض بذل ذاته على الصليب.

وبحسب القديس أوغسطين هؤلاء الذين كانوا في السجن هم الأرواح التي كانت مُقاوِمَة لنوح، وقد أوضحها جدًّا القديس بطرس مرَّة أخرى في (٤: ٦): «فإنه لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح». وقبل هذه الآية يتضح السبب فيها إذ

قال القديس بطرس: «للذي هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات.» (١بط ٤: ٥)

ولكن لماذا يقول القديس بطرس ذلك عن أرواح العصاة الذين عصوا نوحاً فقط؟ السبب في إعطاء القديس بطرس هذا النموذج من العصاة هو أن التعاليم اليهودية الربية كانت تنص أنه لن يكون رجعة أو شفاء للذين عصوا نوحاً، فبطرس الرسول يدحض هذا التعليم بما تعلّمه ووثق به من المسيح، أن موت المسيح الكفاري سيشمل جميع الموتى حتى الذين عصوا نوحاً قديماً. والقديس بطرس يؤكّد ذلك في (١بط ٤: ٦): «لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح». لأن آلام المسيح التي بلغت الموت على الصليب، كما أنشأت خلاصاً، هكذا أنشأت دينونة على كافة الأحياء والأموات.

ولكن إلى أي مدى في التاريخ وفي المفهوم اللاهوتي؟ لا نجد ردًّا، فكأنها محدودة بحدود لا نعرفها ولم يقل بها غير بطرس الرسول.

وقد دخلت هذه العقيدة الكنيسة في منتصف القرن الثاني واحتلت مكاناً في ليتورجيتها وفي قانونها الإيماني من داخل القداس "نزل إلى الجحيم من قِبل الصليب".

وقد حاول العلماء المُحدثون البحث في أصل هذه المقولة، ومنهم ولهلم بوسييه Wilhelm Bousset، إذ قال إن بقاء المسيح في القبر ثلاثة أيام أنشأ هذا الفكر الكنسي، كما أنشأ فكرة نزول المسيح إلى الجحيم، وقد ازدادت أهميتها بسبب ربطها بالمعركة التي تمّت بين قوّات النور وقوّات الظلمة، وظهرت فيها لأول مرَّة مؤامرة الجحيم ورئيس الظلمة. ويعتقد أنها مأخوذة من العهد القديم بواسطة القديس يوستين الشهيد (Dialog. 72 ANF I, 235). كذلك كرَّرها إيرينيئوس ست مرَّات (*Adv. Haer* 3.20.4). وهذه المدونات تلقي ضوءاً على ما جاء في رسالة القديس بطرس (٣: ١٩، ٤: ٦).

وبالفحص وُجد اعتقاد قديم أن الأموات يعيشون في أماكن معيَّنة من العالم خاصة تحت العالم. هذا كان معروفاً لدى المدرسة القديمة. وبحسب العهد القديم فإن ما يسميه التقليد اليهودي بالشاؤول (أي الجحيم ᾅδης) هو ما تحت العالم، مناطق الموتى يعيشون فيها دون تفريق، يعيشون كخيالات غير مجسَّمة حتى إلى زمن القيامة – الذي أشارت إليه المؤلفات اليهودية الرؤيوية (الأبوكاليبتك) – حيث يُرفعون إلى حياة جديدة (رؤيا أخنوخ الأولى: 5). وجاءت مدونات تفيد أنه كان في الجحيم تفريق بين الأبرار والأشرار (رؤيا أخنوخ الأولى: ٢٢). وجاء في إنجيل القديس لوقا على لسان المسيح ما يفيد هذا:

+ «فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات الغني أيضاً ودُفن. فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه. فنادى وقال يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبلّ طرف إصبعه بماء ويُبرِّد لساني لأني معذَّب في هذا اللهيب. فقال إبراهيم يا ابني اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزَّى وأنت تتعذَّب. وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوَّة عظيمة قد أُثبتت حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا.» (لو ١٦: ٢٢ - ٢٦)

ثم صارت شاؤول مكاناً للعقاب الدائم للمُدانين.

وفي المبدأ اليهودي الهلليني (أي المتأثر بالفكر اليوناني) النفس لا تموت، وهذا يعطي فكرة أن الموتى الأبرار إنما يدخلون الطوبى السماوية والتي تسمَّى أحياناً "الفردوس" وهي مكان أخير للطوبى وقد ذكره المسيح في (لو ٢٣: ٤٣): «فقال له يسوع الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس». بينما يدخل الأشرار ما يُسمَّى بالجحيم Hades كمكان لمكابدة العقاب (الحكمة ١: ١ و٣ و٥، ٤: ٧ - وسفر المكابيين الرابع ٥: ٣٧، ٩: ٨)، وأيضاً ذكرها فيلو، وأجزاء من رؤيا أخنوخ الأُولى وكذلك الرؤيا الثانية (Str. Bill IV,1020).[٣]

وفي أدبيات الربيين تغيَّرت شاؤول إلى جهنم Gehinnom أو Gahenna كما جاءت في العهد الجديد كآخر مكان للعقاب، و HADES (الجحيم) تحسب أنها مكان وسيط للعقاب. وفي سفر عزرا الثاني وباروخ الثاني، كما في العهد الجديد، يعتبر الجحيم HADES المكان الوسيط وجهنم أو جهنّه كما هي موجودة في سفر أخنوخ الأول (٩٠: ٢٦)[٤] هي المكان الأخير للهلاك. وجهنم أو جهنّا يُحدَّد موقعها باختلاف التقليدات: فبحسب سفر باروخ الثالث (٤) وسفر أخنوخ الثاني (١٠) توجد في السماء الثالثة؛ ولكن آية أخرى من سفر أخنوخ الثاني (٤٠: ١٢)[٥] تضعها تحت العالم، كما هو معتاد في باقي الكتابات[٦].

وتحقيق القديس بطرس بخصوص كرازة المسيح للأموات لا يدخل في هذه النظريات الجغرافية -

(3) Str. Bill = H. L Strack and P. Billerbeck, *Kommentar Zum Neuem Testament aus Talmud und Midrash* (Munich, 1922-1928).

(4) *The Old Testament Pseudepigrapha:* (ed. J. H. Charleswarth, Garden City, NY, 1983-1985), I, 71.

(5) Ibid, 666-669, 118-121.

(6) Str. Bill, IV, 1085FF.

وإنما هو يشير فقط إلى أشخاص كان المسيح منشغلاً بهم وليسوا بعد في هذا العالم. والقديس بطرس لا يصف هذه المدركات من الوجهة النظرية وإنما يشهد فقط لكرازة المسيح للأجيال السابقة.

ومنذ العصور الأُولى والآباء الرسوليون مشغولون بوصف أصداء الهاوية لاستقبال روح المسيح. وقام الأب المعروف من القرن الثاني ميليتو أسقف ساردس بتأليف أشعار في هذا المضمار. وقد سبقه في ذلك الآباء إغناطيوس وهرماس، ويصف ميليتو أسقف ساردس نزول المسيح إلى الهاوية قائلاً على لسان المسيح:

[أنا الذي أبطلتُ الموت، ووطأتُ العدو، ودُست الهاوية، وربطتُ القوي، ورفعت الإنسان إلى أعلى السموات.][٧]

ونجد في أسفار العهد الجديد ما يفيد أن المسيح عند موته نزل «في قلب الأرض» (مت ١٢: ٤٠) بل و«في الهاوية» (أع ٢: ٢٧)، ولكن لم تُذكر خدمة قام بها المسيح في عالم الموتى إلا في الرسالة الأُولى لبطرس الرسول.

لذلك، فالذي سجَّله بطرس الرسول في رسالته الأُولى (٣: ١٩)، (٤: ٦) هو الشهادة الوحيدة في كل كتابات العهد الجديد القانونية عن هذه الخدمة. ولكن بطرس الرسول لم يذكر هذا التسجيل الإنجيلي إلا وهو واثق أنه تقليد رسولي رسمي في الكنيسة. والذي يقوله القديس بطرس هو المعروف عامة في الكنيسة وهو رسولي. ولم يذكر بطرس الرسول شيئاً عن معركة المسيح مع الملائكة الأشرار ولكنه اعتمد على درجة المسيح الكهنوتية التي جعلت موته وقيامته ذات تأثير عام شديد المفعول ليُحضر الجميع إلى الله. فالإنجيل كله استُعلن في هذه اللحظة للأموات لأنها رسالة موت وقيامة تخصهم. ورسالة المسيح كرازية بطبيعة الحال بالنسبة للذين كانوا في انتظاره في العهد القديم حتى وللذين كانوا على بعد، والكل خلص بالنعمة التي انبثقت من موت المسيح لأجل الجميع.

فرسالة بطرس الأُولى تشهد لرسالة المسيح الخلاصية الإنجيلية العامة بين الموتى، والمعروف في التقليد القبطي القديم جدًّا أن هذه الحقيقة دخلت كعنصر أساسي في صلاة الليتورجيا: «قدوس قدوس قدوس أيها الرب إلهنا الذي جبلنا ... وأسلم ذاته فداءً عنا إلى الموت الذي تملَّك علينا، هذا الذي كنا ممسكين فيه مُباعين من قبل خطايانا. **نزل إلى الجحيم من قبل الصليب**». وهي موجودة منذ القرن الرابع مما يثبت استيعاب الكنيسة لقول القديس بطرس في رسالته الأُولى.

(7) Melite of Sardis, *On Pascha* and Fragments, ed and tr. G. Hall, Oxford, 1979, p. 59.

«إذ عصت قديماً، حين كانت أناة الله تنتظر مرَّة في أيام نوح، إذ كان الفُلك يُبنى، الذي فيه خلُص قليلون، أي ثماني أنفس بالماء»:

جيل الطوفان يشبه الجيل الذي يحيط بالمسيحيين والله يطيل أناته عليهم قبل صدور الحكم النهائي. وقد اشتهر هذا الجيل بأنه جيلٌ غير مطيع، غير معتبر لأوامر خالقه، بعكس أخلاق نوح الذي كان يمثِّل في جيله ما تمثِّله الكنيسة الآن بتقليدها العام من خلال الإنجيل. فكان جيلاً يأكل ويشرب حتى اليوم الذي دخل فيه نوح الفُلك، وهلكوا (لو ١٧: ٢٧). فالطوفان في أدبيات الكنيسة يمثِّل يوم الدينونة كما جاء في (٢بط ٣: ٦). وبهذه الصورة يمكن لأي إنسان أن يتصوَّر موت المسيح من أجل الأثمة كما وصفه القديس بطرس في (٣: ١٨) أي البار من أجل العصاة، أعلى درجة في اللاهوت إزاء أحط درجة في بني الإنسان. فالمسيح هنا يمثِّل مدى أناة الله على العصاة. فهنا ينبغي أن نضيف على «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ...» نضيف «هكذا أطال الله أناته على العصاة». أما قيمة هذا الكلام في هذا الموضع فهو كيف يطيل الله أناته في هذا الزمان الأخير على الأبناء المستهزئين الذين يستهزئون بمواعيد الله. فمحبة الله وطول أناته التي شملت ثمانية أنفس أيام نوح، الآن تشمل الذين أخذهم الطوفان وهم في لهوهم وعنادهم إن هم ندموا واعترفوا وآمنوا. وهذا هو الذي يقصده القديس بطرس من هذا الحدث الزمني القديم المهول.

«الذي مثاله يخلِّصنا نحن الآن، أي المعمودية. لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله، بقيامة يسوع المسيح»:

«الذي»:

كلمة «الذي» هنا لا تعود على كلمة "الماء" بل على عملية المعمودية كلها التي سبقت وتصوَّرت بفلك نوح «بمثال هذا» يخلِّصنا الله. وهنا ضمناً يصوِّر لنا الوحي على يد بطرس الرسول أشباه الحقيقة والحقيقة ذاتها كما سبق وأُعلنت في (عب ٩: ٢٤): «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا».

بمعنى أننا لسنا بصدد فُلك وماء وخلاص من الماء بالماء، ولكن أمام حقيقة موت وقيامة يسوع المسيح الذي مات من أجل الأثمة، وهو بار فبرَّر الكثيرين الذين آمنوا ودخلوا فُلك المسيح بالمعمودية. والمعمودية في حقيقتها عند القديس بطرس ليست مجرد استحمام وإزالة وسخ الجسد بل هي نوال تطهير ومسح الضمير بدم يسوع المسيح ليصير ضميراً صالحاً من الله يشهد بقيامة يسوع المسيح بحسب ما قيل في الرسالة إلى العبرانيين:

+ «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عِجْلة مرشوش على المنجَّسين يقدِّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من أعمال ميِّتة لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٣ و١٤)

وفي تكميل آية سفر العبرانيين تتضح الحقيقة التي في ذهن بطرس الرسول جدًّا: «ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد، لكي يكون المدعوون - إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول - ينالون وعد الميراث الأبدي.» (عب ٩: ١٥)

وهكذا وبهذا المقدار الهائل سيخلص جيل العصاة الذين ماتوا بالطوفان عندما كرز لهم المسيح وهو محيًّى بالروح وقبلوا وآمنوا وندموا وأُحيوا وعادوا، وتساوي العدد القليل أي ثماني أنفس بالعدد الذي لا يُعدُّ ولا يُحصى. وها هو غنى رحمة الله ومحبته وطول أناته التي يمارسها معنا الآن عن طريق تأخره عن المجيء حتى يخلص الجميع أو الأكثرون على كل وجه.

«الذي هو في يمين الله، إذ قد مضى إلى السماء، وملائكة وسلاطين وقوَّات مخضعة له»:

هنا يتجه بطرس الرسول مباشرة إلى ما بعد قيامة المسيح بدون أن يتَّسع في مناحي الخلاص المتعدِّدة. فهو يكتب هنا بحسب التقليد الذي يُقرأ في الكنيسة في العبادة في ثلاثة أسطر:

الذي هو في يمين الله،
إذ قد مضى إلى السماء،
وملائكة وسلاطين وقوَّات مُخضعة له.

(٢٢ أ): «الذي هو في يمين الله»:

وهذا الجزء من الآية موجود في الرسالة إلى أهل رومية هكذا: «الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا» (رو ٨: ٣٤). ولكنه تقليد ثابت في الكنيسة:

+ «لأن داود لم يصعد إلى السموات، وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني **حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.**» (أع ٢: ٣٤ و٣٥)
+ «هذا رفَّعه الله بيمينه رئيساً ومخلِّصاً ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا.» (أع ٥: ٣١)
+ «الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات.» (أف ١: ٢٠)
+ «الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي.» (عب ١: ٣)

+ «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات.» (عب ٨: ١)
+ «وأما هذا فبعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله منتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه.» (عب ١٠: ١٣)
+ «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله.» (عب ١٢: ٢)

وهو تقليد عتيق جدًّا يبدأ مع مزمور (١١٠):
+ «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» (مز ١١٠: ١)

حيث كلمة «اجلس عن يميني» تُعطي الدرجة المترفِّعة جدًّا مع الله.

ولنا شهادة عينية مبكِّرة من القديس استفانوس عند استشهاده عن تحقيق ذلك في المسيح:
+ «فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله.» (أع ٧: ٥٦)

وشهادة نبوية أيضاً من إشعياء النبي:
+ «أخبروا قدِّموا وليتشاوروا معاً. مَنْ أعلَمَ بهذه منذ القديم أخبَرَ بها منذ زمان. أليس أنا الرب ولا إلهَ آخرَ غيري. إلهٌ بارٌّ ومخلِّصٌ. ليس سواي ... بذاتي أقسمتُ خرج من فمي الصدق كلمةٌ لا ترجعُ إنه **لي تجثو كل ركبةٍ** يحلف كل لسانٍ.» (إش ٤٥: ٢١ و٢٣)

وهكذا جلوس المسيح عن يمين الآب يعني أن مركزه فائق فوق كل خليقة مخلوقة، وبالتالي إذ جلس يجلس عن يمين الله، وقد حدث في السماء هذا الأمر المهول.

(٢٢ ج): «وملائكة وسلاطين وقوَّات مُخضعة له»:

هذا تقليد قد سبق تصوُّره في المزمور (١١٠: ١ ب): «حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»، وقد ورد في رسائل بولس الرسول اقتباس آخر من مزمور (٨: ٧) هكذا:
+ «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدو يُبطل هو الموت لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه (مز ٨: ٧) ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أُخضع فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل» (١كو ١٥: ٢٥ - ٢٧). وأيضاً:
+ «الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوَّة ... وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة.»

(أف ١: ٢٠ - ٢٢)

وهما جزءان للمزمورين (١١٠: ١)، (٨: ٧). وفي الرسالة إلى العبرانيين يظهر مزمور (٨: ٧): «أخضعت كل شيء تحت قدميه. لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له. على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مُخضعاً له.» (عب ٢: ٨)

والرسول بطرس هو الوحيد خارج رسائل بولس الرسول الذي يذكر: «وملائكة وسلاطين وقوّات مُخضعة له». غير أن القديس بولس حينما ذكرها في (١كو ١٥: ٢٤): «كل رياسة وكل سلطان وكل قوّة» يكرِّر التقليد الوارد في المزمورين (١١٠: ١)، (٨: ٧) قديماً.

وخضوع هذه القوى مذكورة بصيغة المستقبل كهدف نهائي لرئاسة المسيح كما جاء في (١كو ١٥: ٢٥):

+ «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه».

وكما جاء أيضاً في (عب ٢: ٥ - ٩):

+ «فإنه للملائكة لم يُخضِع العالم العتيد الذي نتكلّم عنه، لكن شهد واحد في موضع قائلاً ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده. وضعته قليلاً عن الملائكة. بمجد وكرامة كلّلته وأقمته على أعمال يديك. أخضعت كل شيء تحت قدميه. **لأنه إذ أخضع الكلّ له لم يترك شيئاً غير خاضع له.** على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مُخضعاً له. ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مكلّلاً بالمجد والكرامة، من أجل ألم الموت، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد».

ولكن هنا في رسالة القديس بطرس الأُولى كمثل ما جاء في (كو ٢: ١٠ - ١٥)، (أف ١: ٢٠ - ٢٢) يعترف أن الخضوع قد حدث فعلاً بارتفاع يسوع. فالذي اعتَرَفَ به هنا هو ما عمله الله في الخفاء من خلال ارتفاع المسيح إلى يمينه. وهذا مهم جدًّا بالنسبة للكنائس التي يُرسل إليها القديس بطرس رسالته، لأن العراك مع القوات في التاريخ كان لا يزال قائماً. انظر: (١بط ٥: ٨):

+ «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر، يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه هو».

ويلاحظ هنا في رسالة القديس بطرس الأُولى أن القديس بطرس هو الوحيد في الرسائل غير التابعة لبولس الرسول الذي يذكر بوضوح الملائكة والرئاسات والقوّات، في حين أن باقي العهد الجديد يذكر فقط ملائكة أشرار أو ملائكة قديسين يعملون فيما يحدث في الطبيعة على مدى التاريخ - وبولس

الرسول يعزو ذلك إلى السلاطين والقوَّات ἐξουσιά, δυνάμεις كما هي موجودة في (١كو ١٥: ٢٤)، (كو ١: ١٦)، (كو ٢: ١٠ و١٥)، (أف ١: ٢١، ٣: ١٠، ٦: ١٢):

+ «وبعد ذلك النهاية، متى سلَّم الملك لله الآب، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوَّة.» (١كو ١٥: ٢٤)
+ «فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم سلاطين الكل به وله قد خُلق.» (كو ١: ١٦)
+ «وأنتم مملوؤون فيه الذي هو رأس كل رياسة وسلطان.» (كو ٢: ١٠)
+ «إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (في الصليب).» (كو ٢: ١٥)
+ «فوق كل رياسة وسلطان وقوَّة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً.» (أف ١: ٢١)
+ «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة.» (أف ٣: ١٠)
+ «فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات.» (أف ٦: ١٢)

وهنا فقط في (١بط ٣: ٢٢) يُذكر الملائكة وتأتي هنا سابقة على السلاطين ἐξουσιά.

ويُلاحظ أن الإكسوسيا والديناميس أي السلاطين والقوات يأتيان معاً.

من هذا السرد الطويل للخليقة السماوية نلاحظ أنها تنقسم إلى قسمين: قوَّات ورئاسات، والقوات متعدِّدة، ولكن ليس لها أسماء، لأنها يبدو أن عملها تلقيني، يقابلها في الأرض المغناطيسية والكهربائية مثلاً، والقسم الثاني «الرئاسات» وأفراده، ويبدو أنها حرة في التعامل، كالسلاطين والسيادات. أما المختصون بالتعامل مع البشر فمنهم أخيار قديسون كالشاروبيم والسيرافيم والملائكة، والأجناد الذين ظهروا يسبِّحون يوم ميلاد المسيح ويبشِّرون الأرض بالسلام والناس بالمسرَّة، وطبعاً المجد لله كنتيجة مباشرة لميلاد أو ظهور واستعلان ابن الله بالجسد. ومنهم أجناد أشرار سماوية تحارب الإنسان وتجدِّف على الله.

وواضح أن القديس بطرس ذكر القسمين السماويين عامة أشراراً وقديسين تحت كلمة «**قوَّات وسلاطين**». كما ذكرهما بولس الرسول: «**كل رياسة وقوَّة**» (أف ١: ٢١) حينما يخضعون أخيراً لله

مُذلين تحت عنق العبودية.

أما قسم الخلائق السماوية القديسة **فتتعامل الكنيسة معها الآن**، ثم مستقبلاً بعد مجيء الرب واختطافها لتكون في السماء فتعلِّم الرؤساء والسلاطين سر التجسُّد وسر الخلاص كما ذكرها بولس الرسول في رسالة أفسس (٣: ١٠ و١١):

+ «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا».

لأن الخليقة الروحانية العالية المخلوقة في السماوات هي بلا جسد ولا تعرف ولا تقدر أن تعرف من ذاتها سر التجسُّد، الذي جرى في المسيح من موت وقيامة وبقية أسرار لاهوتية، ولكن الكنيسة التي هي جسد المسيح والحاملة لملء المسيح وسرّه تنبري تعلِّم هؤلاء الروحانيين العاليين.

(**٢٢ ب**): «**إذ قد مضى إلى السماء**»: πορευθεὶς εἰς οὐρανόν

وليعلم القارئ أن بين قيامة المسيح وجلوسه عن يمين الآب الذي لازمه خضوع الملائكة والسلاطين والقوَّات للمسيح توجد بينهما مرحلة "دخول المسيح إلى السماء"، هذا حسب الآباء الرسل الذين وضعوا صيغة هذا الكلام: «**الذي هو في يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوَّات مُخضعة له**» (٣: ٢٢)، وهذا يطابق ويشرح الحقيقة التي وردت في قانون الرسل على هيئة ثلاث حقائق:

- وقام من بين الأموات في اليوم الثالث.
- وصعد إلى السموات.
- وجلس عن يمين الله.

فما هو المقصود من حقيقة «ودخل إلى السموات»؟

نفهم من سفر العبرانيين أن المسيح **اجتاز السموات** (عب ٤: ١٤)، وعاد يؤكِّد كلمة «دخل السماء» في (عب ٩: ٢٤) حيث يقول: «إلى السماء عينها»: «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية بل **إلى السماء عينها ليُظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا**» (وقد وردت باليونانية εἰς αὐτὸν τὸν οὐρανόν أي السماء نفسها). يظهر كرئيس كهنة على مستوى طقس العهد القديم وهو حامل ذبيحة نفسه كما جاء في (عب ٩: ١٤): «قدَّم نفسه لله»، وفي (عب ٩: ١٢): «بدم نفسه»، وفي (عب ٩: ٢٦): «بذبيحة نفسه».

وعند القديس بطرس، الدخول إلى السماء عمل كبير قائم بذاته يشير إلى العبور فوق القوات السمائية والرئاسات، أما عند القديس بولس فيوجد بعد الدخول ارتفاعٌ فوق أعلى السموات لكي يملأ الكل (أف ٤: ١٠)، والجلوس عن يمين الآب فيه منتهى التساوي مع الآب، ويشير إلى ذلك حسب المزمور (١١٠) بقراءة وشرح المسيح نفسه في (مت ٢٢: ٤١ - ٤٦):

+ «قال الرب لربي **اجلس** عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

وهذا الأمر شرحه القديس بطرس قائلاً: «الذي هو في يمين الله إذ قد مضى إلى (أي دخل إلى) السماء وملائكة وسلاطين وقوّات مُخضعة له.» (١بط ٣: ٢٢)

وكاتب سفر العبرانيين (بولس الرسول) يقول: إن بدخول المسيح إلى قدس الأقداس في السماء ودمه عليه جعل لنا دخولاً معه:

+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ...» (عب ١٠: ١٩) حيث المسيح كاهن عظيم على بيت الله.

فالدخول الذي دخله المسيح إلى السماء عينها هو جوهر خلاصنا لأنه قد صار دخولاً لنا، لهذا يؤكّد عليه القديس بطرس كركيزة إيمان.

ونلاحظ أن القديس لوقا في سفر الأعمال يستخدم كلمة «ارتفع» ἀναλημφθείς (أع ١: ١١) بالتوازي مع كلمة "**مضى** أو انطلق إلى السماء" πορευόμενον εἰς τὸν οὐρανόν التي جاءت في رسالة القديس بطرس الأُولى (٣: ٢٢)، ويستخدم أيضاً **الارتفاع** ἐπήρθη التي تشبه في معناها ما جاء عند بولس الرسول: «**رفّعه الله**» ὑπερύψωσεν وجاءت في إنجيل القديس مرقس: «ثم إن الرب بعدما كلّمهم ارتفع ἀνελήμφθη إلى السماء وجلس عن يمين الله» (مر ١٦: ١٩) وتضمها جميعاً كلمة "دخل السموات أو الأقداس العُلا" (وكلها لا تستخدم الرؤيا العينية).

ويصر العالِم ليونارد جوبلت Leonhardt Goppelt على أن أقوى تعبير عن صعود المسيح جاء عند القديس بطرس في رسالته الأُولى (٣: ٢٢).

وإذ أكمل بطرس الرسول شرح عمل المسيح وأوضحه ليصبح المنهج والطريق لنا، بدأ يشرح ما هو لنا في الأصحاح القادم.

الأصحاح الرابع

الأصحاح الرابع

٤ : ١ «فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهذِهِ النِّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ، كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ».

«فإذ قد تألَّم المسيح لأجلنا بالجسد، تسلَّحوا أنتم أيضاً بهذه النيَّة»:

«النيَّة»:

يترجمها العالم الإنجليزي ليونارت جوبل إلى "المعرفة" وهذا خطأ كلية، لأن كلمة «النيَّة» هي التي تتوقَّف عليها الآية وما بعدها. فالمسيح تألَّم بالجسد عن نيَّة مُسبقة ربما منذ قبل إنشاء العالم وخلقة الإنسان. لأن النيَّة هي الأساس اللاهوتي الذي عليه بنى المسيح احتماله للآلام كلها عن قصد مدبَّر قبل خلقة الإنسان وذلك لاجتثاث الخطية البشرية من الجسد.

وأي آلام التي نوى في قلبه أن يحتملها في أوانها؟ آلام مُريعة لا يحتملها العقل، فضُرب على الظهر - والظهر عريان - أربعين جلدة إلاَّ واحدة، ولُكم وضُرب باليد من الجُند، وضُرب على الرأس بالقصبة، شيء لا يحتمله الإنسان دون صراخ مريع، والبُصاق على الوجه، ونتف الشعر، والتشهير في الشوارع وهو لابس ثوباً أحمر للمهزأة أنه ملك مغلوب، ثم ضرب المسامير في الرجلين مجتمعين بمسمار واحد غليظ ووقوف الخشبة فيتعلَّق الجسد كله على هذا المسمار، ثم العطش حتى الموت وهو لم يأكل منذ يومين من مساء الخميس ويوم الجمعة بطوله. هذه كانت آلام المسيح بالجسد غير آلامه بالنفس.

والآن يقول القديس بطرس الرسول أن تسلَّحوا بهذه النيَّة، نيَّة التألُّم بالجسد، بأي قصد وعلى أي أساس نتألَّم بالجسد؟ بقصد اجتثاث الخطية أي نزعها من الجسد انتزاعاً بالروح.

هنا يقدِّم لنا بطرس الرسول لأول مرَّة في العهد الجديد فلسفة جديدة لألم الجسد، الأمر الذي لم نقرأه لدى كل مَنْ كان قبله من الرسل. لأن آلام الجسد كانت تُعرف أنها عقاب وتعذيب للجسد من جراء الخطية. حيث الخطية كانت مقاومة الرؤساء أو عدم الإذعان لأوامرهم. ولكنه هنا يقلب فلسفة التألُّم بالجسد أنه اجتثاث للخطية لانتزاعها من الجسد بالروح، وكأن الآلام بالجسد هي هبة. والهبة يهبها الله للإنسان لكي تنزع خطاياه بشبه عمل «نيَّة» المسيح.

والآلام التي يجوزها الجسد عندنا هي الصوم والعطش والجوع كتأليم إرادي بالجسد، والضرب والشتم والسجن والتنكيل بالجسد من كل نوع هو التأليم غير الإرادي، والمسيح يحضنا بلسان بطرس

الرسول أن تألَّموا وأنتم راضين وشاكرين بل ومنتظرين هذه الآلام غير الطوعية لتُحسب على مستوى آلامي التي احتملتها من أجلكم لكي تكف خطايا الجسد. أما الآلام الطوعية من صوم وعطش وجوع عن الأكل **لتأليم الجسد**، فهذه الآلام طوعية نقوم بها بإرادتنا ولكن بإيحاء من الإنجيل، لكي تُحسب أنها اجتثاث للخطية **من الجسد** بمعنى الكف عن الخطية. وهو ما جاء بعد ذلك على أنه لكي تكفوا عن الخطية وحسب، أما انتزاع الخطية من الروح فهذا ليس عملنا بل هو عمل المسيح الذي ننا له بالإيمان به وبما عمله من أجل إبطال الخطية روحيًّا، وهذا كان عند المسيح بالموت على الصليب، الأمر الذي لا نستطيعه ولكن ننا له بشركة الإيمان والروح في المسيح.

وتحمُّل الآلام الطوعية هو نوع من إماتة الجسد أو مقاومة وإبطال الجسد العتيق. فالجسد العتيق متعاهد مع الخطية ويعيش عليها، فالكف عن الخطية هو إبطال عمله وهو مصوَّب ضد الجسد العتيق لإسكاته وإماتته. فالكفّ عن الخطية معناه إبطال فعل الجسد العتيق الذي تربَّى على الشهوات والنجاسات وأعمال الإثم – لذلك حينما نقول إماتة الجسد فنحن نقصد إماتة الجسد العتيق، ولكن الجسد العتيق هو تعبير بولس الرسول.

ويقول المسيح بفم القديس بطرس: «**وتسلَّحوا** أنتم أيضاً بهذه النيَّة»، نيَّة تأليم الجسد من أجل اجتثاث وانتزاع الخطية بواسطة الكف عنها إراديًّا وبمعونة الله. وكيف نأخذ نيَّة المسيح لتحمُّل الآلام سلاحاً لنا؟

هو سلاح الإرادة لمقاومة الخطية وإبطالها. وهكذا ينتقل المسيحي من مجرَّد تحمُّل الآلام إلى جعل هذا التحمُّل قائماً دائماً في النيَّة والإرادة ضد الخطية وضد صاحب جسد الخطية الذي هو الشيطان. فالصوم بالجوع والعطش هو سلاح باسم المسيح وامتداد لآلام المسيح ضد الخطية بالجسد التي دخلت الإنسان بالطاعة للشيطان وعدم التمسُّك بالوصية من آدم وحواء، فقد أكلا فعلاً وتلذذا بالأكل لأنه كان شهيًّا وذا منظر جميل بواسطة الشيطان، حيث تجميل الأكل لإثارة الشهوات هو من فعل الشيطان. والآن يأتي المسيح من كلام بطرس الرسول إلى الوسيلة التي نتقيَّأ بها الأكل الحرام أي قمع الشهوات بالكف عن الأكل كنوع من تأليم الجسد الذي أبطل شهوة الأكل بالعطش والجوع والنظر بالعين.

هذه هي فلسفة الصوم وتأليم الجسد عند بطرس الرسول وبإيحاء من الروح القدس وإملاء المسيح. كذلك العطش والأعمال الأخرى التي تؤلِّم الجسد من وقوف متواتر في الصلاة ومن السجود المتواتر بالليل والنهار. هذه آلام طوعية. أما الآلام الإجبارية التي تأتي على الجسد من الخارج، سواء قانونيًّا أو

غير قانونيّ، فهي إن احتُمِلَتْ بصبر وشكر ورضى باعتبارها تأليماً للجسد، فإنها تدخل ضمن الوسائل التي تؤخذ للكف عن الخطية، سواء كان ضرباً أو تنكيلاً بالجسد أو الإهانة والشتيمة.

فالمسيح تألم بحكم القانون الصادر من المحكمة الرومانية بالإهانة والصلب بكل أنواع العذاب «لأن لو عرفوا لَمَا صلبوا رب المجد» (١كو ٢: ٨)، أي أن المسيح قد قَبِلَ الصليب مع ما لازمه من الآلام بحكم محكمة لم يعارض فيها بل احتسبها ضمن آلام الجسد لاجتثاث الخطية من الجسد البشري. فلو احتملنا الآلام الواقعة علينا حتى بالقانون من المحكمة بجهالة وعدم حق، فنحن نعتبر هذه الآلام قادرة على الكف عن الخطية أي إلغائها وتكميل عقوبتها. فالمسيح كان تحت الآلام مثلنا لا يعترض ولا يحتج بل قَبِلَ اللطم على الوجه والبصاق ونتف الشعر والضرب على الرأس باعتبارها آلاماً تكفيرية لخطايا البشر. فكل ما يصيبنا الآن من المحاكم بنوع من الاضطهاد المقنَّع أو الظلم الجاهل هو نوع من إلغاء خطايانا لو قبلناها بالشكر والرضا وعدم التذمُّر. فحُكم الصلب كان بحقد اليهود وتلفيقهم للتهم الكاذبة التي لم يدافع المسيح عنها:

+ «طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهلَّلوا لأن أجركم عظيم في السموات.» (مت ٥: ١١ و١٢)
+ «وقبلتم سلب أموالكم بفرح.» (عب ١٠: ٣٤)

هذه فلسفة بطرس الرسول من جهة «النيَّة» الداخلية لقبول آلام الجسد الطوعية أو غير الطوعية فهي للكف عن الخطية جسديًّا.

«فإن مَنْ تألَّم في الجسد، كُفَّ عن الخطية»:

القصد هنا من الكف هو الانقطاع الكلّي على شرط أن تكون النيَّة **راضية وشاكرة ومتحمِّلة بصبر** وواثقة من صدق قول الله بلسان بطرس الرسول أن مَنْ تألم عن نية راضية فهذا يؤدِّي فعلاً إلى الكف عن الخطية - ويدخل هنا ضمناً مساهلة ومساعدة الله في احتمال الآلام لتكون فعلاً كقوَّة لاجتثاث الخطية بأمر الرب وإرادته. فهذه تُحسب وصية ناموسية مقبولة من فم الله. لذلك تُحسب هذه الآية كتعبير سرِّي من الروح للتشجيع في حمل الآلام، كل الآلام من كل نوع، التي تصيب الجسد. بمعنى أنها إرادة الله وتوعية روحية للتخلُّص من الخطية بأعمال الروح الأخرى. وهكذا يُشرك الله في هذه الآية «**الجسد**» نفسه في الكف عن الخطايا بوسائل جسدية تدخل إلى مستوى الوصية.

وهنا تتجلَّى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وغيرها من الكنائس أنها ملهمة ومُرتشدة بالروح في سَنَّ

قوانين للصوم الانقطاعي عن الأكل والشرب بقصد تأليم الجسد، حتى ننال الغاية من تأليم الجسد بالنيَّة من جهة الكف عن الخطية. وإن كانت الأصوام بقوانين الكنيسة جبرية إلا أنها بقبولها بالشكر والإذعان والرضا الواعي بسببها تصير معتبرة أنها قائمة بنيَّة الإنسان عن طواعية.

هذا بخلاف الأُمم الذين يجعلون الآلام مباراة في نوع من العبادة الكاذبة، فيتلذَّذون بأتعاب الجسد ويتحمَّلون الآلام وضرب السكاكين، كنوع من التعالي الجنسي في تحمُّل الآلام كجنس ممتاز أو مختار دون أي غرض إلا التباهي بالآلام.

٤: ٢ «لِكَيْ لاَ يَعِيشَ أَيْضاً الزَّمَانَ الْبَاقِي فِي الْجَسَدِ، لِشَهَوَاتِ النَّاسِ بَلْ لإِرَادَةِ اللهِ».

هنا الكلام منصبٌّ على الإنسان الذي يتألَّم بنيَّة الإرادة والقبول للكف عن الخطية، لأنه إذا فعل ذلك فإنه لا يعيش أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس!! بمعنى أنه إذا كان للإنسان إرادة النيَّة الحسنة في قبول الآلام عن معرفة أكيدة أنها لإبطال الخطية، يصبح هذا الإنسان كأنه قد انفصل عن زمان الجهالة حينما كان يعيش كالأمم غير المؤمنين في شهوات الجسد.

وهذا التعبير يمثِّله بنوع مصغَّر يوم الرفاع قبل الصوم الذي يعني أنه قد صار توقف عن الزمان السالف الذي كان يأكل فيه الإنسان بلا حساب لشهوة الجسد، فإن كان الصوم متقناً وكان فعلاً لتأليم الجسد بالجوع والعطش حُسب الصوم نفسه أنه انقطاع عن الزمان السالف الذي عاشه الإنسان سنينَ وهو يأكل بشهوات الجسد بدون اهتمام بالخطية.

وليس الصوم فقط بل وكل ما يأتي على الجسد من آلام طوعية أو آلام غير طوعية، فكلها تُحسب أنها للكف عن الخطية.

«بل لإرادة الله»:

هنا يكشف بطرس الرسول بلا مواربة أن تأليم الجسد بكل الأنواع الموضوعة عليه سواء إرادية أو غير إرادية تُحسب أنها تكميل **لإرادة الله** فهي التوبة المحمودة. وهكذا تنطبق تماماً إرادة الإنسان بالنية الراضية بالآلام على إرادة الله! وهكذا بلغ بنا بطرس الرسول إلى النهاية أن تأليم الجسد للكف عن الخطية بالنيَّة **الشاكرة** هو إرادة الله! وأنه كفى ما مضى من ضلال.

ولكن الكف عن الخطية ليس معناه غفرانها ولكن الكف عن الخطية يعني الانقطاع عن الخطية فقط أي إبطالها، أي مجرَّد توبة زمانية.

٤: ٣ «لأَنَّ زَمَانَ الْحَيَاةِ الَّذِي مَضَى يَكْفِينَا لِنَكُونَ قَدْ عَمِلْنَا إِرَادَةَ الأُمَمِ، سَالِكِينَ فِي الدَّعَارَةِ وَالشَّهَوَاتِ، وَإِدْمَانِ الْخَمْرِ، وَالْبَطَرِ، وَالْمُنَادَمَاتِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ الْمُحَرَّمَةِ».

هنا ينادي بطرس الرسول بالتوبة عن سيرة الضلال التي يكون قد سار فيها الإنسان عن جهالة وعدم إيمان بالسلوك في أنواع الحياة المليئة بالزنا وشهوة الرذيلة حسب سير غير المؤمنين أو حسب انحراف المؤمنين عن الطريق المسيحي، عاملين بالشهوة وقد باعوا أنفسهم لأعمال الزنا والخمر في وسط جماعات الهزء والإباحية، الذين يقيمون ولائم خاصة ليمارسوا جماعيًّا شُرب الخمر والتلهِّي بأعمال الرذيلة حتى وإلى عبادة الأُمم التي كانت قديماً هي عبادة الأوثان التي تعني الآن الاندفاع وراء أعمال الشيطان.

وواضح أن الانحراف عن أوامر الكنيسة بالصوم والصلاة كنوع من تأليم الجسد للكف عن الخطية، يأتي بالسير مع المنحرفين والمستهزئين بأعمال الروح، كجماعات يشجِّع بعضهم البعض الآخر على التمادي في أعمال الإثم والشهوات والابتعاد عن إرادة الله.

٤: ٤ «الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ يَسْتَغْرِبُونَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَرْكُضُونَ مَعَهُمْ إِلَى فَيْضِ هذِهِ الْخَلاَعَةِ عَيْنِهَا مُجَدِّفِينَ».

بطرس الرسول هنا يتصوَّر أنه دخل في وسط هؤلاء المجدِّفين المستهزئين وسمع ونظر ما يقولون عن الآخرين الذين قد رفضوا أن يسلكوا معهم في طريق الضلالة، ويقول إنهم يستغربون في انحلالهم أنكم لستم تسيرون معهم إلى منتهى الخلاعة التي يعيشون فيها متلذِّذين، معتبرين الآخرين المحافظين على العفة والطهارة والتمسُّك بالعبادة وأوامر الكنيسة أنهم يجهلون مدى اللذة التي يعيشون فيها. وهكذا يجدِّف هؤلاء المستهزئون على الله وعلى الذين يسيرون حسب أوامر الله وقوانين الكنيسة. وهكذا ينتهي بطرس الرسول بالذين يرفضون تأليم الجسد حسب تدبير الكنيسة من أصوام وصلوات وأتعاب الجسد التي هي أوامر الله معتبرين أنها خطأ وجهالة! أنهم هكذا يجدِّفون على الله نفسه.

وهنا ينبغي أن نلتفت إلى أن السير في طريق تدابير الكنيسة - التي هي أوامر الله - يحفظ الإنسان من الانحراف، أما الذي يستهتر بالصوم والصلاة وترتيب البيعة فنهايته الانحلال والتجديف على الله. وكأنه يقول: إما إرادة حسنة ونيَّة شاكرة باحتمال آلام الجسد وإما التجديف على الله.

وبطرس الرسول يجعل هذه المقابلة إلهية وواضحة حينما قال إنها أعمال المسيح أولاً وآخراً، فإما التمشِّي مع أعمال المسيح وإما رفض المسيح. كما انتهى إلى القول أنها إرادة الله، فإما المشي تبع إرادة الله وإما الانحراف والتجديف.

٤: ٥ «الَّذِينَ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً لِلَّذِي هُوَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ أَنْ يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ».

معناها أنه لن يفلت أحد من الدينونة، الذين يعيشون بتلذذ الجسد والشهوات دون الانتباه إلى خلاصهم القائم على ضبط الجسد وإماتة الجسد العتيق مع شهواته؛ حتى ولو ماتوا فإن الله سوف يدين الأموات كما يدين الأحياء بالجسد، بمعنى أن الذين يخطئون بالجسد ويتجنَّبون المعيشة المقدَّسة المنعتقة من الخطية وأعمالها، كذلك الذين ماتوا وهم عائشون في شهواتهم وانحلالهم فهؤلاء وأولئك سيجوزون دينونة الجسد، أي محاكمة الله التي فيها سيحاسب كل إنسان على أعماله الجسدية وشهواته وانحلاله وتلذُّذه بالمحرَّمات من مآكل ومشارب دون مراعاة العفة وانضباط الجسد، فلابد أن ينال الإنسان جزاء انحلاله وفسقه وشهواته المحرَّمة. وحتى ولو مات، فهو سيقوم يوم الدين ليعطي حسابه حسب الإنجيل.

ويقول القديس بطرس الرسول إنه لأجل هذا بَشَّر المسيح الأموات في الجحيم كما تقول الكنيسة: «نزل إلى الجحيم مِنْ قِبَل الصليب» طبعاً بشَّرهم المسيح بالصليب حتى إذا قبلوه وآمنوا بالمسيح لا يُعدّ لهم إلا حساب الجسد وما عملوه من خطايا جسدية محرَّمة لكي يكملوا دينونتهم ويحيوا بالحياة الأبدية مع المسيح، كما يقول القديس بطرس الرسول في الآية القادمة.

وبطرس الرسول يقول في الأصحاح الثالث (٣: ١٩) إن المسيح أيضاً ذهب فكَرَزَ للأرواح التي في السجن قديماً، أي ليس خليقة ما قد حُرمت من بشارة المسيح قديماً وحديثاً. كذلك لن ينعتق أحد من الدينونة حسب أعماله. فأعمال الجسد لها دور كبير في الدينونة القادمة حيث سيكون الحساب للجميع سواء بسواء.

٤: ٦ «فَإِنَّهُ لأَجْلِ هذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى أَيْضاً، لِكَيْ يُدَانُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ، وَلكِنْ لِيَحْيَوْا حَسَبَ اللهِ بِالرُّوحِ».

هكذا رحمة الله تعمُّ الإنسان، الجميع قديماً وحديثاً، الأحياء والأموات سواء. فلذلك سبق المسيح فبشَّر الموتى لكي تجوز عليهم الدينونة كالأحياء إن آمنوا أو رفضوا الإيمان بالمسيح. والكل يُدان بالجسد حسب ما عمل شرًّا كان أو خيراً، ولكن بعد دينونة الجسد تأتي «ليحيوا حسب الله بالروح» أي رحمة الله، لتنجِّي هؤلاء (الموتى قبل مجيء المسيح) الذين آمنوا به بسبب بشارة المسيح لهم في الجحيم وتهبهم الحياة الأبدية مع الله. فنصيب روح الإنسان بعد الدينونة هو الحياة الأبدية.

لهذا يعظُم صليب المسيح في نظرنا وفي إيماننا جدًّا لأن ظلَّه سيقع على الإنسان لينال الفداء الذي تمَّ وأكمله المسيح من أجل الإنسان، كل إنسان، إلا الذين يرفضون المسيح فليس لهم خلاص ولا حياة أبدية.

وكلمة «بُشِّرَ الموتَى» تعني استعلان المسيح لحقيقة حياته وموته على الصليب بالنسبة للأموات بدون أن يروا المسيح أو يسمعوا عنه، لكي يكون اختيارهم للإيمان عن وعي وفهم وقصد. أما الأمـــوات في المسيح يسوع الذين عاشوا في زمان البشارة والإنجيل فنحن نؤمن بقيامتهم المزمعة أن تكون مع المسيح:

+ «ثم لا أُريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم، لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيُحضرهم الله أيضاً معـــه.» (١تس ٤: ١٣ و١٤)

ويقول بطرس الرسول في الأصحاح الحالي (٤: ٧) إن الدينونة قد اقتربت، فالديَّان على أُهبة عمله تجاه الإنسان، وبطرس الرسول هنا يطابق ما قاله بولس الرسول في رسالته الثانية لتلميذه تيموثاوس:

+ «أنا أُناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عنـــد ظهـــوره وملكوته.» (٢تي ٤: ١)

وكذلك ذُكر في سفر الأعمال:

+ «وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعيَّن من الله ديَّاناً للأحياء والأموات، له يشهد جميع الأنبياء أن كل مَنْ يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا.» (أع ١٠: ٤٢ و٤٣)

وهذا الكلام في سفر الأعمال كان أيضاً لبطرس الرسول ويُشار إليه في رسالة بولس الرســـول إلى أهل رومية بقوله: «لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات.» (رو ١٤: ٩)

وإذ يدين الله الإنسانَ سواء كان من الأحياء أو الأموات فالكل سيُدعى للحياة:

+ «هوذا سرٌّ أقوله لكم: لا نرقد كلنا، ولكن كلنا نتغيَّر، في لحظة في طرفة عـــين، عنـــد البـــوق الأخير. فإنه سيُبوَّق، فيُقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغيَّر. لأن هذا الفاسد لابد أن يلـــبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت ... فحينئذ تصيرُ الكلمة المكتوبة: ابتُلِعَ المـــوت إلى غلبة. أين شوكَتُكَ يا موت؟ أين غلبَتُكَ يا هاوية؟ أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوَّة الخطيـــة هي الناموس. ولكن شكراً لله الذي يُعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح.» (١كو ١٥: ٥١ - ٥٧)

والدينونة سواء نُسبت لله أو للمسيح فالأمر واحد.

الحياة الداخلية للجماعة الأخروية
أي المهيأة لاستقبال آخر الزمان
(٤: ٧ - ١١)

٤: ٧ - ١١ «وَإِنَّمَا نِهَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَتَعَقَّلُوا وَاصْحُوا لِلصَّلَوَاتِ. وَلكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا. كُونُوا مُضِيفِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِلاَ دَمْدَمَةٍ. لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً، يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً، كَوُكَلاَءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ. إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللهِ. وَإِنْ كَانَ يَخْدِمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ».

يستعرض بطرس الرسول الحياة الداخلية بالنسبة لاقتراب الآخرة في العدد (٧)، والاستعراض الجديد أوضح مما سلف في (١: ١٣ و١٤) عارضاً الحياة الداخلية للكنيسة. وهو يدعو الكنيسة للصلاة والمحبة الأخوية وظاهرها ضيافة بعضهم لبعض وخدمة بعضهم البعض بحسب المواهب المعطاة، بالوعظ وخدمة الدياكونية (١٠ و١١). وأخيراً يلفت الأنظار إلى الغرض النهائي وهو تمجيد الله الذي تدين له الكنيسة بوجودها وكل مظاهر الحياة فيها.

«وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت، فتعقَّلوا واصحوا للصلوات»:

هذه الآية تعطي القاعدة والسبب والغاية من كل ما سبق وقيل. وكلمة «وإنما» δέ التي بدأت بها الآية تفيد "إذن لهذا"، وعمادها الذي تقوم عليه أن المسيح قد بُشِّر به. والمعنى قائم على أساس أن الموتى يُبشَّرون بالإنجيل. والآن وقد كشف حال المؤمنين وغير المؤمنين من جهة البشارة بالإنجيل والإيمان بالمسيح من عدمه، بدأ يدخل في موضوع النهاية المقتربة التي كانت لسان حال كل كاتب إنجيلي:

+ «وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها. لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون. وأما أنتم أيها الإخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور وأبناء نهار. لسنا من ليل ولا ظلمة. فلا ننم إذاً

كالباقين بل لنسهرْ ونصحُ. لأن الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون. وأما نحن الذين من نهار فلنصْحُ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة الخلاص. لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح الذي مات لأجلنا، حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه. لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً وابنوا أحدكم الآخر كما تفعلون أيضاً.» (١تس ٥: ١ - ١١)

+ «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا. ليكن حلمكم معروفاً عند جميع الناس. الرب قريبٌ. لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلم طلباتكم لدى الله.» (في ٤: ٤ - ٦)

+ «لنتمسَّك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين. ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة. غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب. فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا. بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين. مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً مَنْ داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة. فإننا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب، وأيضاً الرب يدين شعبه. مُخيفٌ هو الوقوع في يدي الله الحي.» (عب ١٠: ٢٣ - ٣١)

+ «وهذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور، لنسلك بلياقة كما في النهار، لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات.» (رو ١٣: ١١ - ١٤)

+ «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء. مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب.» (أف ٥: ١٥ - ١٧)

+ «أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة.» (١يو ٢: ١٨)

+ «وها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله.» (رؤ ٢٢: ١٢)

وهكذا نجد النهاية النهائية لكل العالم تقليداً إنجيليًّا اشترك فيه جميع الإنجيليين تقريباً والرسول بولس، بالإضافة إلى الآباء الرسوليين أيضاً الذين اهتموا به كثيراً مثل إغناطيوس واكليمندس الروماني.

وهكذا إذ ينتهي بطرس الرسول من عمل الدينونة يذكر النهاية المقتربة الأمر الذي اهتم به في كل رسالته (١: ٤ و٥ و٧ و١٣، ٤: ١٣، ٥: ١٠) حيث يصف السيرة اللائقة بانتظار مجيء ربنا في (١: ١٤ إلخ) وحيث يذكر في (٤: ١٧) نهاية غير الطائعين، كما أن نهاية الطائعين يذكرها أيضاً في (١: ٩). ولكن يذكر هنا النهاية باعتبارها التوقُّف العام النهائي للعالم.

«فتعقَّلوا واصحوا للصلوات»:

«**تعقَّلوا**»: σωφρονήσατε

هنا تجيء بالمعنى اليوناني القديم، وتعني الإنسان الذي يميِّز الأشياء ويُدرك قياس قامة الإنسان في المعرفة والفهم وكل ما يدور حوله كما جاءت في (رو ١٢: ٣): «فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل مَنْ هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى **التعقُّل** εἰς τὸ σωφρονεῖν كما قَسَمَ الله لكل واحد مقداراً من الإيمان».

وكلمة «تعقَّلوا ... للصلوات» تعبير يقصد به بطرس الرسول ما جاء في (١: ١٣): «لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين، فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح». كما يقصد القديس بطرس أن يكون الرجاء سلاح الإنسان في النهاية، وذلك على نمط ما جاء في رسالة بولس الرسول الأُولى لأهل تسالونيكي (٥: ١ - ١١).

ويقصد القديس بطرس بالسهر أن لا يطغى الشر على الإنسان بغتة بل يكون صاحياً على نفسه عاقلاً مُدركاً أنه محاط بقوَّات الظلمة. على أن الصلاة ورفع العقل إلى الله تجعل الإنسان قريباً من الله.

+ «فأطلب أول كل شيء أن تُقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكُّرات لأجل جميع الناس.» (١تي ٢: ١)

والصلاة عند القديس بطرس هي نداء الله، وحينما تكون صلاة جماعية فهي تكون بالروح. والصلاة تأخذ شكلها وبدايتها من صلاة الرب التي علَّمنا إيَّاها. والصلاة التي تقدِّمها الكنيسة إنما تقدِّمها باسم المسيح (يو ١٤: ١٣، ١٥: ١٦، ١٦: ٢٣). وكانت الصلاة الحارة في الكنيسة تثبت أن الجماعة فعلاً هي جماعة أُخروية روحانية. والصلاة ترتبط بالمحبة، فالذي يصلِّي بالروح تنسكب المحبة الإلهية في قلبه تجاه الآخرين.

٤: ٨ «وَلكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا».

يتصدَّر المحبةَ الروحية، إن كانت إلهية، الصلاةُ بالروح. فالإنسان الروحاني هو إنسان مُحب ومحبوب. لذلك يطلب القديس بطرس أن تكون المحبة هي أول كل شيء يربط المؤمنين معاً. فإذا كانت المحبة هي سمة الجماعة فلن يدخل فيها شر ولا شرير، وتكون المحبة كستار يُخفي الإنسان والجماعة من الشرير وكثرة خطاياه.

وحينما يقول القديس بطرس «قبل كل شيء»، فهو يجعل المحبة تفوق أي وصية أخرى، وتكون كأساس لبنيان الكيان حقًّا ورباطاً مقدَّساً يربط الجماعة كلها الواحد بالآخر. ولكن القديس بطرس لا يقصد أن تكون المحبة فوق الصلاة لأن منبع المحبة هو الصلاة.

ومحبة الواحد للآخر في الكنيسة هي المحبة الأخوية عديمة الغش التي ذكرها بطرس الرسول في الأصحاح الأول كأساس:

+ «طهَّروا نفوسكم في طاعة الحق **بالروح** للمحبة الأخوية العديمة الرياء. فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدَّة.» (١بط ١: ٢٢)

هنا يربط القديس بطرس المحبة الأخوية بالطهارة حيث يكون القلب على مستوى الروح الطاهر، والمحبة الشديدة من قلب طاهر هي سمة من سمات الميلاد الجديد، حيث الإيمان والرجاء والمحبة تنبع من نبعها الإلهي للمولود جديداً. هذه يُطالب بها القديس بطرس أن تكون معياراً للروح وسط الجماعة كما جاءت في (١بط ٣: ٨): «والنهاية كونوا جميعاً متحدي الرأي بحسٍّ واحد ذوي محبة أخوية مُشفقين لطفاء».

وكما وصفها بولس الرسول في رسالته الأُولى لأهل كورنثوس:

+ «إن كنت أتكلَّم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن. وإن كانت لي نبوَّة وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً. وإن أطعمت كل أموالي، وإن سلَّمت جسدي حتى أحترق ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً. المحبة تتأنَّى وترفق. المحبة لا تحسد. المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ. ولا تقبِّح ولا تطلب ما لنفسها. ولا تحتد ولا تظن السوء. ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق. وتحتمل كل شيء وتصدِّق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء، المحبة لا تسقط أبداً.» (١كو ١٣: ١ - ٨)

+ «وعلى جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال.» (كو ٣: ١٤)

والمحبة عند القديس بطرس الرسول قويَّة عنيدة شديدة وغيورة ودائمة، والمحبة عند القديس بطرس في (١: ٢٢) من قلب طاهر بشدَّة تمَّت بالميلاد الجديد في شدَّتها وجَدتُّها، واصفاً إيَّاها أنها تغطِّي كل إثم. وهذا الاصطلاح انتشر في الكنيسة الأُولى، فهو اصطلاح متداول بين المؤمنين. وحينما يقول بطرس الرسول إنها تستر كثرة من الخطايا، فهو يحاكي ما يقوله بولس الرسول في (١كو ١٣: ٧ و٨): «تحتمل كل شيء وتصدِّق كل شيء ... وتصبر على كل شيء. المحبة لا تسقط أبداً».

هنا نجد تطابقاً أو تعادلاً بين فكر القديس بطرس وفكر القديس بولس.

٤: ٩ «كُونُوا مُضِيفِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِلاَ دَمْدَمَةٍ».

هنا علامة المحبة الأخوية الصادقة، وهذه نجدها أيضاً بكثرة في رسائل بولس الرسول:

(١تي ٣: ٢): «يجب أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل امرأة واحدة، صاحياً عاقلاً محتشماً **مُضيفاً للغرباء.**»

(تي ١: ٧ و٨): «يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله غير مُعجِب بنفسه ... بل مُضيفاً للغرباء.»

(رو ١٢: ١٣): «مشتركين في احتياجات القديسين، **عاكفين على إضافة الغرباء.**»

(عب ١٣: ١ و٢): «لتثبت المحبة الأخوية. لا تنسوا **إضافة الغرباء** لأن بها أضاف أُناس ملائكة وهُم لا يدرون.»

وكان يحدث في الجماعة ما يشبه الهوتلات (جمع هوتيل أي فندق) وأمكنة للأكل وبيوت للإيجار، ولكن المقصود بالأكثر الاسضافة المترلية. والقصد المباشر إضافة الجماعات المبشِّرة كما ذكر في إنجيل متى (مت ١٠: ١١): «وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا مَنْ فيها مستحق وأقيموا هناك حتى تخرجوا»، وأيضاً:

(أع ١٦: ١٥): «فلما اعتَمَدَت (ليدية) هي وأهل بيتها طلبت قائلة: إن كنتم قد حكمتم أني مؤمنة بالرب فادخلوا بيتي وامكثوا. فألزمتنا».

(أع ٢١: ٧): «ولما أكملنا السفر في البحر من صور أقبلنا إلى بتولمايس فسلَّمنا على الإخوة ومكثنا عندهم يوماً واحداً».

(أع ٢١: ١٧): «ولما وصلنا إلى أُورشليم قَبِلنا (أي استقبلنا) الإخوة بفرحٍ».

(أع ٢٨: ١٣ و١٤): «فجئنا في اليوم التالي إلى بوطيولي حيث وجدنا إخوة فطلبوا إلينا أن نمكث عندهم سبعة أيام».

(رو ١٦: ٢٣): «يسلِّم عليكم غايس مُضيِّفي ومُضيِّف الكنيسة كلها».

(٣يو ٥ و٦): «أيها الحبيب (غايس) أنت تفعل بالأمانة كل ما تصنعه إلى الإخوة وإلى الغرباء، الذين شهدوا بمحبتك أمام الكنيسة، الذين تفعل حسناً إذ شيَّعتهم كما يحق لله ...».

(الديداخي ١١: ١و٤): «فكل مَنْ يأتيكم ويعلم هذه الأشياء كلها التي سبقنا وقلناها فاقبلوه ... وكل رسول يأتي إليكم فاقبلوه (أو استقبلوه) كالرب ...».

وبهذه الضيافة كانوا يحقّقون الأُخوَّة المسيحية وخصوصاً حينما كانت تُقام اجتماعات الصلاة الجماعية:

(رو ١٦: ٣-٥): «سلِّموا على بريسكلا وأكيلا ... وعلى الكنيسة التي في بيتهما».

(١كو ١٦: ١٩): «يسلِّم عليكم في الرب كثيراً أكيلا وبريسكلا مع الكنيسة التي في بيتهما».

(كو ٤: ١٥): «سلِّموا على الإخوة الذين في لاودكية وعلى نمفاس وعلى الكنيسة التي في بيته».

وهذا كان يحدث في بيوت خاصة، وكان يحدث أحياناً صياح ومعارضة واختلافات، لذلك يقول القديس بطرس «بلا دمدمة»، وكما يقول القديس بولس: «افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة» (في ٢: ١٤). وهذه الدمدمة كانت تنافي المحبة. وفي هذه الاجتماعات كان يُخدم الغرباء من أماكن بعيدة [انظر: (عب ١٣: ١ و٢ المذكورة أعلاه)]. كما يحض بطرس الرسول هنا على محبة الجيران.

وهكذا تكون الضيافة بين المسيحيين هي التي أبرزت الروحانية المختبئة في قلوب الإخوة.

٤: ١٠ «لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً، يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً، كَوُكَلاَءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ».

وهكذا مع المحبة الأخوية في الآية (٨)، هكذا أيضاً في الآيات (١٠ و١١) يذكر الخدمة بالمواهب الروحية (خارزماتا) حيث تظهر كأساس صالح للنشاط وأعمال الجماعة المسيحية في أيام بطرس الرسول. هكذا تجتمع معاً المحبة والخدمة بالمواهب الروحية.

+ «فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد، هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر، ولكن لنا **مواهب**

مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا. أنبوَّة فبالنسبة إلى الإيمان أم خدمة ففي الخدمة. أم المعلِّم ففي التعليم. أم الواعظ ففي الوعظ. المعطي فبسخاء. المدبِّر فباجتهاد. الراحم فبسرور. **المحبة** فلتكن بلا رياء.» (رو ١٢: ٤ - ٩)

+ «اتبعوا **المحبة** ولكن جدّوا **للمواهب الروحية**.» (١كو ١٤: ١)

فالمحبة تؤمِّن المواهب الروحية ضد الذات وبالأخص كما جاء على فم المسيح في إنجيل القديس لوقا بالنسبة للشوشرة بين الجماعة بخصوص مَنْ هو أكبر:

+ «وكانت بينهم أيضاً مشاجرة مَنْ منهم يُظن أنه يكون أكبر. فقال لهم: ملوك الأُمم يسودونهم والمتسلِّطون عليهم يُدعون محسنين. وأما أنتم فليس هكذا. بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر. والمتقدِّم كالخادم. لأن مَنْ هو أكبر؟ الذي يتكئ أم الذي يخدم؟ أليس الذي يتكئ؟ ولكني أنا بينكم كالذي يَخْدِم.» (لو ٢٢: ٢٤ - ٢٧)

فملكوت الله يُستعلن بالمواهب الروحية وسط الجماعة:

+ «وقال له (يوحنا المعمدان على لسان تلميذيه) أنتَ هو الآتي أم ننتظر آخر؟ فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران: العُمي يُبصرون والعُرج يمشون والبُرص يُطهَّرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبشَّرون. وطوبى لمَنْ لا يعثر فيَّ.» (مت ١١: ٣ - ٦)

والقديس بطرس في هذا العدد (١٠) يذكر كلمة خارزما χάρισμα لأول مرَّة، خارجاً عن بل وقبل منهج بولس الرسول في رسائله، ونجدها نفس الخدمة بالمواهب التي ذكرها بولس الرسول في رسالته الأُولى لأهل كورنثوس:

+ «فأنواع **مواهب** χαρισμάτων موجودة ولكن الروح واحد ... ولكنه لكل واحد يعطَى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يُعطَى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات ولآخر نبوَّة ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء.» (١كو ١٢: ٤ و٧ - ١١)

هنا تظهر الكنيسة بأعضائها حيث كل عضو قد استلم نوعاً من الخارزما، لهذا كانت تُعتبر الكنيسة

كمعيار جماعي للخارزماتا مبني على الروحانية يخدم أعضاؤها بعضهم بعضاً روحيًّا. هذا المعيار الجماعي للخارزماتا اختفى من الكنيسة سريعاً بعد بولس الرسول.

ولكن الرسائل الرعوية تذكر الخارزماتا بالنسبة للرعاة داخل الكنيسة:

(١تي ٤: ١٤): «لا تهمل **الموهبة** التي فيك المعطاة لك بالنبوَّة مع وضع أيدي المشيخة».

(٢تي ١: ٦): «فلهذا السبب أُذكِّرك أن تُضرم أيضاً **موهبة الله** التي فيك بوضع يديَّ».

وكانت المواهب الطبيعية تُحسب مواهب بنوع من تدهور مفهوم الخارزماتا.

وأعمال الخدمة الخارزماتية واضحة في (١كو ١٢: ٧ إلخ) وكانت المحبة تُحسب علامة على صحة الخارزما مثل ما جاء في (١كو ١٣: ١ و٢):

+ «إن كنت أتكلَّم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن. وإن كانت لي نبوَّة وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً».

والخارزما هي موهبة النعمة، وهي تبرز المحبة وتؤازر عمل الله بقوَّة كما جاء في (١كو ١٢: ٦): «وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل». لأن الخارزما هي علامة دخول هبة إلهية داخل الإنسان وهي مصدر كل قوَّة بشرية. والخارزما تُعلَن أحياناً بقدرة الإنسان على الغيبوبة بالروح، ولكنها دائماً على استعداد للخدمة وهي ليست مظاهر كاذبة، ولكن مَنْ أُعطي الخارزما يكون في منتهى الاستعداد للخدمة والكرازة في الله والمسيح، وهي تجعل الإنسان العادي خادماً مبشِّراً مُلهَماً بالروح كما جاء في رسالة بطرس الرسول الأُولى: «الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسَل من السماء» (١: ١٢). والخادم الذي ينال الخارزما يصير وكيلاً أميناً كما جاء في إنجيل القديس لوقا: «فقال الرب: فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على خَدَمه ليعطيهم الطعام في حينه. طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا» (لو ١٢: ٤٢ و٤٣). ويصير «وكيلاً لله» أي صورةً مسئولة عن كل ما أُعطي من مواهب للكنيسة بواسطة المسيح:

+ «لأن يجب أن يكون الأسقف بلا لوم **كوكيل الله**.» (تي ١: ٧)

+ «هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح **ووكلاء** سرائر الله.» (١كو ٤: ١)

فالكنيسة الموهوبة بالخارزما تعيش في النور الحقيقي ويكون كل أولادها خُدَّاماً للمسيح ولبعضهم البعض.

٤: ١١ «إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللهِ. وَإِنْ كَانَ يَخْدِمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ».

(١١ أ): «إن كان يتكلَّم أحد فكأقوال الله. وإن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله»:

في هذا الجزء من الآية نجد أنه يذكر مَنْ يتكلَّم بأقوال الله، وفي الحال يذكر أيضاً مَنْ هو يخدم، والخادم قد يعمل العملين معاً، وهي تعتبر صيغة مختصرة من جهة الخدمة الروحية "الدياكونية" وليس كمثل القائمة المطوَّلة المذكورة في (١كو ١٢: ٨ - ١١)، (١كو ١٢: ٢٨ - ٣١) وفي (رو ١٢: ٥ - ٨)، وهما الموهبتان الملازمتان لخدمة الجماعة الكنسية، وهما يمثلان الجانبين اللذين لخدمة المسيح: خدمة الكلمة وخدمة الحاجة الجسدية كمعونة. فهما يمثلان موهبتين آتيتين من الله أي خدمة الكلمة بالروح وخدمة الموائد كما في سفر الأعمال (٦: ١ - ٤)، ولكن هنا عند القديس بطرس لا نجد هذا التفريق بين الموهبتين واضحاً.

«إن كان يتكلَّم أحد فكأقوال الله»:

وهي تحض على الوعظ المطابق لأقوال الله بأن يكون من أقوال الله، مثلما جاء في (١بط ١: ١٢): «الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسَل من السماء». والروح القدس هو أساس منابع الكلام عند الكنيسة الأُولى كما جاء في (أع ١٠: ٤٤):

+ «فبينما بطرس يتكلَّم بهذه الأمور حلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة».

فهو منبع كل أصناف الكلام، من الكلام الصادر من حالة الانجذاب العقلي ecstasy إلى الكلام الصادر من العقل كله، ويلزم أن يكون حاملاً العمق اللاهوتي وأن يحض على الإيمان:

+ «لأن مَنْ يتكلَّم بلسان لا يكلِّم الناس بل الله لأن ليس أحد يسمع، ولكنه بالروح يتكلَّم بأسرار. وأما مَنْ يتنبَّأ فيكلِّم الناس ببنيان ووعظ وتسلية. مَنْ يتكلَّم بلسان يبني نفسه، وأما مَنْ يتنبَّأ فيبني الكنيسة ... فما هو إذاً؟ أُصلِّي بالروح وأُصلِّي بالذهن أيضاً. أُرتِّل بالروح وأُرتِّل بالذهن أيضاً ... ولكن في كنيسة أريد أن أتكلَّم خمس كلمات بذهني لكي أُعلِّم آخرين أيضاً أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان.» (١كو ١٤: ٢ - ١٩)

هذا سواء كان كلاماً للجماعات أو كلاماً شخصياً للتشجيع:

+ «أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأُخذ في زلة فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لئلا تجرَّب أنتَ أيضاً.» (غل ٦: ١)

كما كان يتكلّم بولس الرسول بهذا الاتساع على أساس لاهوتي:

+ «لأننا لسنا كالكثيرين غاشّين كلمة الله لكن كما من إخلاص بل كما من الله نتكلّم أمام الله في المسيح.» (٢كو ٢: ١٧)
+ «فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب: آمنت لذلك تكلّمت. نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلّم أيضاً.» (٢كو ٤: ١٣)
+ «إذ أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلّم فيّ.» (٢كو ١٣: ٣)

وفي رسالة القديس بطرس الأولى نجد الكلام النافع الملفت للنظر من خلال كلمات بسيطة يسهل تذكّرها ولكنها مقتبسة من الإنجيل وذات معنى عميق كالإنجيل كما في (١بط ١: ٢٣ - ٢٥):

+ «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد. لأن كل جسد عُشب وكل مجد إنسان كزهر عشب. العشب يبس وزهره سقط. وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد».

حيث التعبير عن الميلاد الثاني مقتَبس من كلام الرب في (يو ٣: ٣)، ولكن تأتي الكلمات فعّالة كما هي في هذه الآية، وتجيء بصورة إنجيلية عالية في صيغة بليغة باللغة اليونانية، وتصل إلى مستوى اللاهوت كتعليمات الله وكأقوال الله.

وبالحقيقة ليست هي كلمات الله عينها ولكنها إعادة لكلمات الله لتصير ملائمة للظروف الحاضرة، وهكذا يظهر الإنجيل نفسه مناسباً للحياة اليومية ولكن بسلطان الكنيسة، وبطرس الرسول يقولها مسوقاً بالروح. وهذا ما تؤيّده كلمات بولس الرسول في (رو ١٢: ٣ و٦):

+ «فإني أقول بالنعمة المعطاة لي ... لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا».

فتظهر الكلمات الروحية منطوقة بالموهبة الخارزماتية كاستعلان من الله.

كما أن خدمة الدياكونية تكون هي أيضاً من قوة يعطيها الله، بمعنى أنها ملهمة من نعمة الله، على نفس مستوى الوعظ والتعليم من الله، كما ذكر الاثنان معاً في (رو ١٢: ٨)، (١كو ١٢: ٢٨):

+ «الواعظ ففي الوعظ. المعُطي فبسخاء، المدبِّر فباجتهاد، الراحم فبسرور.» (رو ١٢: ٨)
+ «فوضع الله أُناساً في الكنيسة: أولاً رُسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً مُعلّمين، ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء، أعواناً، تدابير وأنواع ألسنة.» (١كو ١٢: ٢٨)

هنا الخدمة تكون قادرة على توصيل مواهب كمن هو واقف أمام الله، حتى إن المرضى يُشفَوْن،

والانتعاش يُعطَى للخائرين، وقوَّة وعزاءً للضعفاء، وعزاءً للمسجونين.

ويلزم أن ندرك مدى اتساع كلمة دياكونية، فهي في المعنى الأضيق خدمة جسدية بين المحتاجين والمرضى والمسجونين مثل ما جاء في (مت ٢٥: ٣٥ و٣٦):

+ «لأني جُعتُ فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني. مريضاً فزرتموني. محبوساً فأتيتم إليَّ».

كما تأتي في تدبير الجماعة وما يعتريها من حوادث مثل ما جاء في (١كو ١٦: ١٥):

+ «وقد رتَّبوا أنفسهم لخدمة القديسين».

كذلك خدمة الكهنة تدخل في مفهوم الدياكونية كما جاء في (١بط ٥: ١ و٢):

+ «أطلب إلى الشيوخ (برسفيتيروس أي كهنة) ... ارعوا رعية الله ...».

فهكذا كل أنواع الدياكونية والوعظ والتوبيخ وإعطاء الرجاء، كل هذه تأتي من قوة يعطيها الله.

(١١ ب): «لكي يتمجَّد الله في كل شيء بيسوع المسيح الذي له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين»:

وهكذا يأتي تمجيد الله ختاماً لأقوال الله ولكل خدمة من قوة يمنحها الله ولكل حياة الجماعة على العموم المذكورة في (٤: ٧ - ١١)، لأن حياة الجماعة التي تقوم بالكلمة والخدمة تؤول إلى تمجيد الله في كل شيء. ومجد الله يعني الذكصا، وهي وجود الله الجوهري أو كيانه الإلهي وهو يُستعلن بالكلام والوعظ الذي ينتهي بتمجيد الله، وهكذا تعترف الجماعة وتمدح خالقها كما جاء في (١كو ١٠: ٣١)، (أع ١١: ١٨، ٢١: ٢٠):

+ «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله.» (١كو ١٠: ٣١):

+ «فلما سمعوا ذلك سكتوا، وكانوا يمجِّدون الله قائلين: إذاً أعطى الله الأُمم أيضاً التوبة للحياة.» (أع ١١: ١٨)

+ «فلما سمعوا كانوا يمجِّدون الربَّ ...» (أع ٢١: ٢٠)

فكل ما يحدث للجماعة فهو يبتدئ وينتهي بالتمجيد اللائق والفائق على كل شيء لله:

+ «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات.» (مت ٥: ١٦)

+ «وأن تكون سيرتكم بين الأُمم حسنة. لكي يكونوا في ما يفترون عليكم كفاعلي شرٍّ يمجِّدون الله في يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التي يلاحظونها.» (١بط ٢: ١٢)

وهذا هو غاية ما يُطلب من الجماعة المسيحية في وسط العالم، كما جاءت نفس العبارة الليتورجية هكذا:

+ «لله الحكيم وحده **بيسوع المسيح له المجد** إلى الأبد آمين.» (رو ١٦: ٢٧)
+ «والقادر أن يفعل كل شيء أكثر جدًّا مما نطلب أو نفتكر بحسب القوَّة التي تعمل فينا، **له المجد** في الكنيسة في **المسيح يسوع** إلى جميع أجيال دهر الدهور آمين.» (أف ٣: ٢٠)

لأن ما يُعمل بالمسيح إنما يستعلن الله الآب أنه يعمل إلى الآن في كنيسته.

ولَمَّا ذكر بطرس الرسول أن كل شيء يتم «من قوَّة يمنحها الله»، دعا ذلك لإعطاء اعترافه بالتمجيد لله في الذكصولوجية التي تنتهي بالمسيح يسوع الذي به يتمجَّد الله في كل شيء في كنيسته.

وقد أخذت الكنيسة هذه الذكصولوجية كفعل تمارسه كل يوم وفي كل مناسبة:

+ «... الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد آمين.» (رو ١: ٢٥)
+ «الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي هو مبارك إلى الأبد، يعلم أني لست أكذب.» (٢كو ١١: ٣١)
+ «الإله الحكيم الوحيد مخلِّصنا له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور آمين.» (يه ٢٥)

والمجد والقوة التي بلا بداية ولا نهاية إنما دائماً تُعطَى لله، وبحسب الترجمة السبعينية فإن جوهر وجود الله إنما يُحسب كأنه "مجده" أو انبعاث لاهوته بالنور.

وعبارات التمجيد في العهد الجديد إنما تعود إلى تمجيد الله كما جاء في (١تي ٦: ١٦)، (رؤ ١: ٦، ٥: ١٣):

+ «الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يَرَهُ أحدٌ من الناس ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية آمين.» (١تي ٦: ١٦)
+ «وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين.» (رؤ ١: ٦)
+ «وكل خليقة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل ما فيها سمعتها قائلة: للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين.» (رؤ ٥: ١٣)

والذكصولوجية تنتهي بآمين أي تكون نافذة دائماً ومحقَّقة. والآمين في نهاية الآية (٤: ١١) لا تعني أن الرسالة قد انتهت.

الجزء الأخير من الرسالة

(٤: ١٢ - ٥: ١١)

٤: ١٢ «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ، لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ، كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ».

إنها شركة في الآلام مع المسيح معطِّلة للفرح. وإعطاء القديس بطرس الأمر بأن لا تستغربوا هذه البلوى المحرقة الحادثة بينهم فإنه به يؤسِّس التقليد الآبائي الخاص بالآلام وعلى الخصوص آلام الاضطهاد.

هذا الاستغراب أكثر من كونه مجرَّد تعجُّب كالموجود في (١يو ٣: ١٣): «**لا تتعجَّبوا** يا إخوتي إن كان العالم يبغضكم»، فهو يعني إحساساً معاكساً ومُضادًّا للموضوع المطروح كما في (٤: ٤): «الأمر الذي فيه **يستغربون** أنكم لستم تركضون معهم إلى فيض هذه الخلاعة عينها مجدِّفين». فكما أن المجتمع المحيط ينفر من المسيحيين وسلوكهم، كذلك المسيحيون يندهشون كونهم مرفوضين من المجتمع، وخاصة المسيحيون الذين آمنوا من اليهود القائمين في الشتات، فقد اعتادوا الاضطهاد بسبب وجودهم في وسط مجتمع غريب لاقوا فيه اضطهاداً للموت، وحينئذ دخلوا في اختبار الآلام للموت واستعدوا للزمن الأخير:

+ «أنتم الذين بقوَّة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُستعلن في الزمن الأخير. الذي به تبتهجون مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة.» (١بط ١: ٥ و٦)

وكانوا في عراك متواصل مع المجتمع الأُممي كقول الرب: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً» (مت ١٠: ٣٤). وهكذا بسبب انتظارهم للخلاص واجهوا الآلام بصبر بل بابتهاج (١: ٨).

والأمر الذي يعطيه القديس بطرس بأن لا يستغربوا الآلام مؤسَّس على الوعد بأن آلام الاضطهاد كنار تطهِّر:

+ «لأنه مثل نار المحص ومثل أشنان القصَّار. فيجلس ممحِّصاً ومنقيًّا للفضة فينقِّي بني لاوي ويصفِّيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقرِّبين للرب تقدمة بالبر.» (مل ٣: ٢ و٣)

+ «البوطة للفضة والكور للذهب وممتحن القلوب الرب.» (أم ١٧: ٣)

فالآلام كبوتقة لتصفية الفضة أو كالكور لتنقية الذهب. وقد وردت أيضاً في الديداخي (١٦: ٥):
[حينئذ تأتي كل خليقة بشرية إلى نار الامتحان. وكثيرون يعثرون ويهلكون. وأما الذين يصبرون فبإيمانهم يخلصون].

وفي المزمور (٦٥: ١٠) حسب السبعينية:
+ «لأنك امتحنتنا يا الله ومحَّصتنا بالنار كما تُمحَّص الفضة بالنار».

كما وردت الكلمة أيضاً في سفر الرؤيا:
+ «أشير عليكَ أن تشتري مني ذهباً مُصفًّى بالنار.» (رؤ ٣: ١٨)

فالاضطهاد كالنار المنقية والمطهِّرة للمعادن الثمينة.
وفي بدء الرسالة يذكر القديس بطرس أن الاضطهاد هو تجربة اختبار تطهِّر الإيمان تحت الآلام وتقويه:
+ «لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط ١: ٧)

٤: ١٣ «بَلْ كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلاَمِ الْمَسِيحِ، افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلاَنِ مَجْدِهِ أَيْضاً مُبْتَهِجِينَ».

في رسالة القديس بطرس الأُولى نجد عن لاهوت الآلام أن الآلام «التي من أجل البر» (٣: ١٤) إنما تمتُّ بصلة إلى آلام المسيح، وهذا يمكن حدوثه ليس بمحاولة تقليد المسيح من الخارج ولكن باحتمال الآلام الحقيقية من أجله:
+ «إن كنتم تتألَّمون **عاملين الخير** فتصبرون فهذا فضل عند الله لأنكم لهذا دُعيتم، **فإن المسيح أيضاً تألَّم** لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه مكر.» (١بط ٢: ٢٠ - ٢٢)
+ «لأن تألُّمكم إن شاءت مشيئة الله وأنتم **صانعون خيراً** أفضل منه وأنتم صانعون شرًّا. **فإن المسيح أيضاً تألَّم** مرَّة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة.» (١بط ٣: ١٧ و١٨)

من هذا نحن نستطيع أن ندرك من جهة قوله في الآية الحاضرة «كما اشتركتم في آلام المسيح» (٤: ١٣)، أنه إذا كان المسيحي يتألَّم بسبب مسيحيته كما جاء في (٤: ١٦): «إن كان كمسيحي ...» إذن يكون له في هذه الحالة شركة مع المسيح في آلامه.

وفي غير رسائل بطرس الرسول لا نجد الشركة في آلام المسيح إلا عند بولس الرسول، وهو يوضِّح أن الآلام التي كان يختبرها القديس بولس مع الكنائس التي كانت تعاني من هذه الآلام عينها كانت آلاماً **من أجل يسوع المسيح**:

+ «كما تكثر **آلام المسيح فينا** كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً.» (٢كو ١: ٥)
+ «لأعرفه وقوَّة قيامته **وشركة آلامه** متشبِّهاً بموته.» (في ٣: ١٠)
+ «حاملين في الجسد كل حين **إماتة الرب يسوع** لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا» (٢كو ٤: ١٠)، حيث ذكرت: «إماتة المسيح» بدلاً من آلامه لأن المسيح تألَّم حتى الموت.

وبولس الرسول احتمل هذه الآلام «من أجل اسمه» حسب ما جاء في (٢كو ٤: ١١): «لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت»، وفي (رو ٨: ١٧) ذكر أنه يتألَّم مع المسيح: «إن كنا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه»، وأيضاً في (كو ١: ٢٤) قال: «الآن أفرح في آلامي لأجلكم وأكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة».

وعند القديس بطرس الرسول الشركة في آلام المسيح ليست كلاماً ولا مجرَّد خبرة روحية وإنما آلام حقيقية منبعها الله ولكن نحن الذين نجوزها بمشيئة الله.

وفي الآية (٤: ١٣) يتكلَّم بطرس الرسول عن الشركة مع المسيح في الآلام، أما التطويب الذي جاء في الآية (٤: ١٤) فهو مشابه لما جاء في الأناجيل (مت ٥: ١٠ و١١). والشركة الفعلية بالآلام مع المسيح تنشئ فرحاً كما جاء في الآية (١٣)، ونحن إذ نحصل على المجد بسبب شركتنا مع المسيح في الآلام، ليس ذلك كجزاء لآلامنا، ولكن من أجل أمانة المسيح وصدقه.

وهذا الثبات والقوَّة المتحصِّلة من الشركة مع المسيح هي آتية من عند المسيح ولها جزاؤها، كما جاء في (لو ١٢: ٨) أن الاعتراف بالمسيح له جزاؤه أن المسيح يعترف بنا أمام ملائكته، وكما جاءت في (رو ٨: ١٧): «إن كنا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه». وكما جاءت في الآية (٥: ١) أن شهادة آلام المسيح تعطي شركة في المجد العتيد.

وبطرس الرسول يحضنا نحن المتألمين في شركة آلام المسيح أن نفرح كفرحنا في استعلان مجده بابتهاج، وهو فرح النهاية.

تعريف للآلام من أجل المسيح:

بطرس الرسول يتكلّم في (١: ٦) وأخيراً في (٤: ١٣ إلخ) عن فرح استعلان المسيح في المستقبل الذي سيحل محل الضيقة الحاضرة، حينما يشرق فجر خلاصنا العتيد. واستعلان مجد المسيح (٤: ١٣) سبق أن ذكره في (١: ٧ و١٣) وهو يعني في نفس الوقت استعلان الخلاص الذي يواكبه الفرح المفرط لحياة بلا موت.

وبولس الرسول يصف نفسه كإنسان يختبر الآلام ولكنه يعيش الفرح في كل وقت: «كحزانى ونحن دائماً فرحون» (٢كو ٦: ١٠)، وهو يخاطب أهل تسالونيكي أنهم قد تشبَّهوا بالرسل وبالمسيح بواسطة قبولهم الكلمة تحت الآلام بفرح:

+ «وأنتم صرتم متمثّلين بنا وبالرب إذ قبلتم الكلمة في ضيق كثير بفرح الروح القدس.» (١تس ١: ٦)

كما يقول عنهم أيضاً:

+ «أنه في اختبار ضيقة شديدة فاض وفور فرحهم وفقرهم العميق لغنى سخائهم.» (٢كو ٨: ٢)

ولكن الآلام التي نحتملها هنا لا تتناسب مع شركتنا في الخلاص:

+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا.» (رو ٨: ١٨)

بل في الحقيقة فإن شركتنا في الإنجيل هي السبب الحقيقي لفرحنا الدائم.

وفي رسالة بطرس الرسول الأُولى نجد التطويبات المذكورة من أجل المضطهدين:

+ «إن تألّمتم من أجل البر فطوباكم.» (١بط ٣: ١٤)

+ «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم.» (١بط ٤: ١٤)

وهي مقتبسة من قول المسيح نفسه بحسب (مت ٥: ١٠ و١١):

+ «طوبى للمطرودين من أجل البر ... طوبى لكم إذا عيَّروكم وطرودكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين».

+ «طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيَّروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان.» (لو ٦: ٢٢)

وأساسها الأول في القديم إنما يرجع أيضاً لإشعياء النبي حيث يوصف المسيَّا أنه: «يتعالى ويرتقي ويتسامى جدًّا» مع أنه «محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن.» (إش ٥٢: ١٣، ٥٣: ٣)

ومثل ذلك كثير في المزامير «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية.» (مز ١١٨: ٢٢)

والمسيح يُشرك المتألمين مع المساكين في نفس الطوبى لأنهم سيكونون من أعضاء ملكوته كأمور موهوبة لهم:

+ «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ... طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات.» (مت ٥: ٣ و١٠)

فتلاميذ المسيح بسبب طردهم من المجتمع وتألمهم وُضعوا تحت عناية النعمة.

وبولس الرسول يقول على نفس النمط:

+ «فقال له تكفيك نعمتي لأن قوَّتي في الضعف تُكمل. فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ قوَّة المسيح. لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي.» (٢كو ١٢: ٩ و١٠)

كذلك بطرس الرسول يستخدم نفس اللغة رابطاً الآلام بالفرح:

+ «كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين.» (١بط ٤: ١٣)

+ «الذي به تبتهجون مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة ... وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد.» (١بط ١: ٦ و٨)

وكلها امتداد من تطويبات المسيح ووصيته بالفرح في الآلام:

+ «طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم ... افرحوا وتهلَّلوا لأن أجركم عظيم في السموات.» (مت ١١ و١٢)

وفي مواضع أخرى في العهد الجديد تُعرَف الآلام مباشرة أنها كسبب للفرح:

+ «وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه.» (أع ٥: ٤١)

+ «وقبلتم سلب أموالكم بفرح عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقياً.» (عب ١٠: ٣٤)

حيث يسود الفرح فوق الآلام بسبب الإيمان.

الطوبى من أجل التألُّم بانسحاق من أجل المسيح:

٤: ١٤ «إِنْ عُيِّرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ، فَطُوبَى لَكُمْ، لأَنَّ رُوحَ الْمَجْدِ وَاللهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ. أَمَّا مِنْ جِهَتِهِمْ فَيُجَدَّفُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مِنْ جِهَتِكُمْ فَيُمَجَّدُ».

من أجل فهم هذه الحقيقة يلزم مقدَّماً أن ندرك العلاقة بين الآية (١٣) والآية (١٤) مع أن الاثنين ليسا واحداً. فإن الاضطهاد يأتي بالتعزية حسب الآية (١٣) بسبب الشركة في آلام المسيح، بينما هنا في الآية (١٤) نجد أن التنكيل والتعيير من أجل المسيح جزاؤه هو حلول روح الله والمجد، والنتيجة في الآية (١٣) هي الفرح، بينما تأتي هنا في الآية (١٤) بالطوبى والسعادة. والوعد في الآية (١٣) هو الشركة ليس فقط في آلام المسيح ولكن أيضاً في مستقبل الحياة معه! ولكن هنا في الآية (١٤) فإن الروح يحلّ. وهذان الوعدان يُظهران كيف تتلاقى الآيتان في وصف نفس نصيب المؤمن الذي يتألَّم من أجل المسيح، والنصيب الواحد في الخلاص.

«إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم»:

هذا يطابق جوهريًّا ما جاء في (٣: ١٤): بينما في ذلك الموضع يأتي التعبير بصورة أخف: «إن تألَّمتم من أجل البر فطوباكم» (٣: ١٤). أما هنا في الآية (١٤) فإنها تقتبس بوضوح نفس الطوبى الأخيرة التي قالها المسيح كما جاء في إنجيل القديس متى (٥: ١١): «طوبى لكم إذا عيَّروكم ... من أجلي».

وكلمة "عُيِّرتم" ὀνειδίζεσθε (abuse) لم تأت في رسالة القديس بطرس إلا هنا، وهي كلمة شديدة الوقع، فهي تعييرات تجعل المسيحي غير قادر أن يعيش وسط المجتمع. وقد جاءت في رسالة رومية (١٥: ٣): «تعييرات معيِّريك وقعت عليَّ». وهذه التعييرات هي التي أقصت المسيح من المجتمع، وهي آية مقتبسة من المزمور (٦٩: ٩).

وقد جاءت هذه الكلمة في سفر العبرانيين هكذا بمعنى الشركة في توضيع المسيح واحتقاره:

+ «حاسباً عار المسيح غنىً أعظم من خزائن مصر.» (عب ١١: ٢٦)

+ «فلنخرج إذن إليه خارج المحلة حاملين عاره.» (عب ١٣: ١٣)

وهذا يحدث الآن لأعضاء الكنيسة باسم المسيح. كذلك فإن أي مسيحي يُحرم من عضوية المجتمع فهو طوباوي ويحيا حياة الخلاص. مثل هذا الإنسان يحل عليه روح المجد وروح الله في مقابل الإهانة والاحتقار، وهكذا يكون الاشتراك في المجد عوض التعيير باسم المسيح.

وبحسب ما جاء في (٢كو ٣: ١٨): «نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب

الروح»، يكون المجد الآتي من الله هو بالروح وهكذا من خلال الروح، يكون المؤمنون شركاء في المجد العتيد، بل ويكون المجد الحال عليهم مجداً منظوراً في اليوم الأخير:

+ «لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط ١: ٧)
+ «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى.» (١بط ٥: ٤)
+ «لأن خفة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديًّا.» (٢كو ٤: ١٧)
+ «متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣: ٤)

وذلك ليس فقط في الآخرة بل وهنا أيضاً كما رُئي استفانوس وهو يُرجم.

والذي قاله القديس بطرس هنا هو تقليد منحدر من المسيح نفسه:

+ «فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلّمون، لأنكم تُعطَوْن في تلك الساعة ما تتكلّمون به، لأن لستم أنتم المتكلّمين بل **روح أبيكم** الذي يتكلّم فيكم.» (مت ١٠: ١٩ و٢٠)

وهكذا يسمح الله أن روحه يحل على أعضاء كنيسته.

لهذا، فإن الوعد بإعطاء الروح ليحل على المعمَّدين باسم المسيح، وعلى الذين يُطلب منهم أن يعطوا سبباً للرجاء الذي فيهم، هو وعد إلهي مصدره هو المسيح نفسه، وقول بطرس الرسول واضح: «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن **روح الله والمجد** يحل عليكم» (حسب النص اليوناني).

التألُّم كمسيحي:

٤: ١٥ «فَلاَ يَتَأَلَّمْ أَحَدُكُمْ كَقَاتِلٍ، أَوْ سَارِقٍ، أَوْ فَاعِلِ شَرٍّ، أَوْ مُتَدَاخِلٍ فِي أُمُورِ غَيْرِهِ».

هنا نجد رجعة على ما مضى، لأن الوعد في الآية (١٤) إنما يجوز على مَنْ يتألَّم في مجتمعه بسبب أنه مسيحي وليس على كل مَنْ يتألَّم بسبب أمور أخرى، وكما قيل في (٢: ٢٠) من جهة العبيد: «لأنه أي مجد هو إن كنتم تُلطمون مخطئين فتصبرون؟ بل إن كنتم تتألَّمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله». هذا يعني أن المسيحي يجب أن يتألَّم فقط من أجل المسيح كما قيل في (٣: ١٧ و١٨): «لأن تألُّمكم إن شاءت مشيئة الرب وأنتم صانعون خيراً أفضل منه وأنتم صانعون شرًّا. فإن المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله مُماتاً في الجسد ولكن مُحيًى في الروح».

هنا يوجِّه القديس بطرس النظر إلى ضرورة أن يكون الإنسان بلا لوم ولا يستوجب التعيير أو

التشهير بسبب سلوكه.

٤: ١٦ «وَلكِنْ إِنْ كَانَ كَمَسِيحِيٍّ، فَلاَ يَخْجَلْ، بَلْ يُمَجِّدُ اللهَ مِنْ هذَا الْقَبِيلِ».

هنا يبرز سؤال تاريخي: فهل المسيحي قد عوقب لأنه تصرَّف كمسيحي أم لمجرد أنه يتبع فقط الإيمان المسيحي في مجتمعه؟

فالمسيحيون في عصور الاضطهاد قد عوملوا واتهموا وعوقبوا كمجرمين لأنهم كانوا يحملون اسم المسيح، لأن أساس اضطهاد المسيحيين كما جاء في سفر الأعمال وما ذكره بولس الرسول في رسائله، يوضِّح أن الوثنيين كانوا مدَّعين ومتعدِّين على المسيحيين، وكانوا يجرُّونهم إلى الشرطة والمحاكم. والمعروف عن المسيحيين الأوَّلين أنهم كانوا تحت أنظار المحاكم والشرطة لأنهم يتبعون ديانة غريبة محيِّرة. هذا السلوك كان سائداً في روما وآسيا الصغرى (تركيا الآن). والولايات التي ذكرها بطرس الرسول في رسالته كانت تعامل المسيحيين كمجرمين، وكانوا يعانون التعذيب تحت يد الحكم الروماني وذلك سنة ٦٤ ميلادية، وذلك بشهادة المؤرِّخ بليني. وبعد نيرون جاء تراجان الذي أصدر مرسومه باضطهاد المسيحيين حيث كان الولاة التابعون لنيرون يضطهدون المسيحيين من أجل الاسم!! والاضطهادات الأخرى التي جاءت في الأناجيل كُتبت ما بين ٦٥م وسنة ٨٥م. وإنجيل القديس متى يذكر أن التلاميذ يُضطهدون من أجل الاسم (مت ٥: ١١ إلخ) ويُجرُّون إلى المحاكم (مت ١٠: ١٧ - ٢٢)، (مر ١٣: ٩ - ١٣)، (لو ٢١: ١٢ - ١٧)، (لو ١٢: ١١ و١٢).

وبطرس الرسول يحض أولاده أن لا يخجلوا من كونهم مسيحيين بل يمجِّدوا الله من أجل هذا الاسم! وأن اتهام وعقاب المجتمع غير المسيحي لا ينبغي أن يخجلنا، والمسيحيون في آسيا الصغرى كانوا يُجَرُّون إلى المحاكم بواسطة عساكر نيرون، وقد اتهموهم أنهم يكرهون البشرية.

فالمسيحيون عند بطرس الرسول ينبغي أن يفتخروا باسم المسيح لأنهم يُعتبرون كشهود للمسيح (١: ١٣).

٤: ١٧ «لأَنَّهُ الْوَقْتُ لابْتِدَاءِ الْقَضَاءِ مِنْ بَيْتِ اللهِ. فَإِنْ كَانَ أَوَّلاً مِنَّا، فَمَا هِيَ نِهَايَةُ الَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ اللهِ؟».

أي أن الشدَّة ستقع أولاً على الكنيسة وأخيراً على الخطاة الذين لا يطيعون إنجيل الله.

يقصد بطرس الرسول أن القضاء أو المحاكمة ستبتدئ بنا، فما هي نهاية الذين لا يطيعون الإنجيل؟ وما هي نهاية سيرتهم؟ ستكون طبعاً محاكمة بلا رحمة تتناسب مع ما هو حادث الآن في اضطهاد المسيحيين!!

+ «وقال الرب سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة.» (لو ٢٢: ٣١)

فالمعروف أن المحاكمة في النهاية ستكون شديدة جدًّا كما جاءت في سفر الرؤيا. فماذا يعني هذا للقارئ؟

هذه الحقيقة لها ما يقابلها عند بولس الرسول في رسالته الثانية لأهل تسالونيكي:

+ «حتى إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله، من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم، والضيقات التي تحتملونها، بَيِّنَةً على قضاء الله العادل، أنكم تؤهَّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً. إذ هو عادلٌ عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً. وإياكم الذين تتضايقون راحةً معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوَّته، في نار لهيب، معطياً نقمةً للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيُعاقبون بهلاكٍ أبديٍّ من وجه الرب ومن مجد قوَّته، متى جاء ليتمجَّد في قديسيه ويُتعجَّب منه في جميع المؤمنين.» (٢تس ١: ٤ - ١٠)

هنا قد يبدو كلام بولس الرسول مختلفاً عما يقوله بطرس الرسول إذ يَعدُ المسيحيين بالراحة بينما يُنبئهم القديس بطرس بالقضاء. ولكن في الحقيقة إن الرعبة التي يصبُّها بطرس الرسول ليست على المسيحيين الأبرار الذين يعيشون بالإنجيل وباستقامة قلب، ولكن على الذين لا يطيعون الإنجيل ويعاندون الله ووصاياه!!

فلا ننسى قول بطرس الرسول المعزِّي جدًّا في الأصحاح الأول:

+ «أنتم الذين بقوَّة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير، الذي به تبتهجون مع أنكم الآن إن كان يجب تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة، لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يمتحن بالنار، توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط ١: ٥ - ٧)

٤: ١٨ «وَ"إِنْ كَانَ الْبَارُّ بِالْجَهْدِ يَخْلُصُ، فَالْفَاجِرُ وَالْخَاطِئُ أَيْنَ يَظْهَرَانِ؟"».

بطرس الرسول يستعير هنا ما جاء في سفر الأمثال (١١: ٣١):

+ «هوذا الصدِّيق يُجازَى في الأرض فكم بالحري الشرير والخاطئ».

وقد أخذها القديس بطرس من السبعينية حرفيًّا.

عاد هنا بطرس الرسول ليذكر الفاجر، أي الذي يعاند الإيمان بالله ولا يطيع الإنجيل، الذي يرفض الإنجيل ويعيش عيشة الإباحية.

فإن كانت الدينونة ستجوز على البار وبالجهد يخلص، فالخاطئ الذي ليس له المسيح الشفيع، والفاجر الذي يرفض الإنجيل ولا يعبأ بحياة الإيمان، ماذا سيكون حكمهما؟ هنا الخلاص للبار أو المؤمن بتدخُّل رحمة الله والنعمة، التي سيُحرم منها مَنْ ليس له المسيح كشفيع.

وكلمة «أين يظهران» هي بخصوص الفاجر والخاطئ، سؤال إجابته المضمرة: سيُطرحون بعيداً عن الله الذي لا يؤمنون به ويجدفون عليه:

+ «ثم يقول أيضاً للذين على اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدَّة لإبليس وملائكته ... فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية.» (مت ٢٥: ٤١ و٤٦)

+ «وكل مَنْ لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طُرح في بحيرة النار.» (رؤ ٢٠: ١٥)

فنحن الذين نمسك بالمسيح وكلمة الإنجيل فبالجهد نخلص: «لأن كل جسد كعشب، وكلُّ مجد الإنسان كزهر عشب، العشب يبس وزهره سقط، وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد. وهذه هي الكلمة التي بُشِّرتُم بها (الإنجيل).» (١بط ١: ٢٤ و٢٥)

٤: ١٩ «فَإِذاً، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ، فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ، كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ، فِي عَمَلِ الْخَيْرِ».

هكذا يعود بطرس الرسول ويمسح الدمع من عيوننا بعد أن أدخل الرعب في قلوبنا.

نهاية تسلسل المعنى من الآية (١٧) إلى هنا يدور حول الآلام التي تأتي من الجماعة المحيطة وذلك بالاضطهاد السافر على أيدي عساكر الرومان، حينما تقع المحاصرة ويتم القبض فجأة دون أي سبب، بل وبالأكثر أثناء الصلاة والعبادة حيث يكون ضمير الإنسان خالياً من أي انتظار للهجوم، بل ويكون داعياً باسم الله طالباً سرعة المجيء للمعونة، فعلى المؤمنين أن يسلِّموا أرواحهم للخالق الأمين على خلق، والصادق في كل وعوده، مطمئنين أنه حتماً سيأتي بالنجاة، أو حتى على أقل تقدير سيعطيهم القدرة على الاحتمال، واثقين أن هذا الألم سيكون بحسب وعده جزءاً من جهادنا، وأن النعمة لابد ستكون حاضرة، لأننا حينما نتألم بحسب مشيئة الله نكون منتظرين عناية الرب، لأن الأمر حينما يُسلَّم بثقة إلى مشيئة الله فلن يقابل أتعاباً بلا ضابط، ولا كأنه نصيب أعمى الذي سنعانيه، ولا كأننا تحت يد أب بشري، ولكنه أبو الأرواح الذي يعرف كيف يسند المكلومين بقوَّة.

فنحن تحت نعمة وبصيرة إلهية لا تخطئ الميعاد، فإن الذي يسوسنا هو قضاء الله ونعمته. فنعمة الله تحيط بالمؤمن الواقع في الضيق كما بيد عليا، لذلك حتماً يحل الصبر. فليرفع المتألم قلبه نحو الخالق الأمين الذي ينتشل المخلوق من ضغطته. فخالقنا أمين لا يغفل ولا ينام، وفي الضيقات وُجِدَ شديداً (مز ١٤١: ٤، ٤٦: ١).

وبطرس الرسول هو الوحيد في العهد الجديد الذي يدعو الله بالخالق الأمين، فهو أمين في العناية بخليقته: «مُلقين كل همِّكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (١بط ٥: ٧). فالله هو الخالق الأمين على خلقته ويعرف كيف ينجيها من الهلاك. وأمانة الخالق ترد حتماً على أمانة المخلوق!! وقد ارتبط الخالق بالأمناء من خليقته بعهود ووعود هو حتماً أمين عليها. وأمانة الله نحونا هي أساس إيماننا، وأمانتنا نحوه وتسليم الروح لخالقها يعطي الإنسان في الحال إحساساً بالراحة وانتظار المعونة الحتمية. فالرب قريب وعجيب هو: «ويُدعى اسمه عجيباً!!» (إش ٩: ٦)

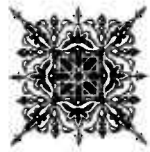

الأصحاح الخامس

الأصحاح الخامس

رسالة إلى شيوخ الكنيسة، أي إلى الكهنة (٥: ١ - ٤):

٥: ١ «أَطْلُبُ إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخَ رَفِيقَهُمْ، وَالشَّاهِدَ لآلاَمِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ».

ولو أن بداية الأصحاح الخامس تبدو منفصلة عن الكلام السابق الذي كان مختصاً بالآلام، إذ يبدأ هنا بطرس الرسول رسالته للشيوخ أي الكبار في الكنيسة وبلغتنا نحن "الكهنة"، لكن لا تزال نغمة الآلام ترن في أقواله، فهو شاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يُعلن.

وهو يكتب إلى شيوخ الكنيسة باعتباره رفيق عمل ومسئولية ورسالة. فهو يكتب من أعماق خبرته ونعمة الله التي عليه، ومن داخل آلام واضطهادات لا حصر لها يجعلها أسمى خبراته وأعماله في المسيح. ومن جهة مكانته في الكنيسة الأُولى فبطرس الرسول يُحسب أب آباء، فهو أول مَنْ اختاره الرب لبشارة الأُمم، وأول مَنْ خدم بالروح القدس يوم الخمسين وقاد الكنيسة كلها وفتح طريق الخدمة الرسولية لتكميل رسالة المسيح.

فنحن نستقبل اليوم رسالة بطرس الرسول للشيوخ كرسالة مباشرة لرجال الكنيسة في كل زمان ومكان، من رسول متمرِّس في الشهادة للمسيح وفاتح لطريق الخدمة. يعطينا أول درس في الشهادة لآلام المسيح ولو من بعد ألفي سنة، أما هو فكان شاهداً من أول يوم، فشهادته لا يزال فيها رائحة دم المسيح تعطِّرها، وبها يثبت فعلاً أن المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد، حاملاً جروحه وصليبه وآلامه، التي هي الواسطة الوحيدة للسير في طريق السماء الذي افتتحه المسيح حديثاً بجسده، وبدمه أعطانا إمكانية الدخول إلى الأقداس.

وإصرار القديس بطرس على ذكر مؤهلاته التي تؤهِّله لمخاطبة رجال الكنيسة ورعيتها، أي أنه «الشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يُعلن»، يفتح أعيننا لفهم المؤهلات التي تؤهِّلنا أن نكون أبناءه في المسيح في كنيسته، كباراً كنا أو صغاراً، فنحن مدعوو بطرس الرسول لتكميل مؤهلاته في الشهادة لآلام المسيح، المؤهلة لشركة المجد العتيد أن يكون.

وشركة الآلام حسب مفهوم القديس بطرس هي احتمال «البلوى المحرقة» (٤: ١٢) أي الاختبار بالنار حسب الترجمة الصحيحة، واحتمال التعيير باسم المسيح سرًّا وعلناً. التعيير الذي يبلغ مستوى الإيذاء في العمل وفي الرزق وفي التعليم وكل نواحي الحياة الاجتماعية. لأن كل تعيير إن كان مؤذياً

للجسد أو للنفس فهو تعيير صحيح يمكن أن يدخل ضمن «تعييرات معيريك وقعت عليَّ» (رو ١٥: ٣). أي أن التعييرات البشرية كلها التي وقعت على المسيحيين قد وقعت على كتف المسيح وهو يحملها على الصليب كمؤهلات الخلاص.

وإن كانت أقوال بطرس الرسول هنا خاصة برجال الكنيسة ولكن تخصنا في الصميم، لأن رجال الكنيسة لهم معيارهم في الآلام مضاعف، أما معيار الآلام الواقعة علينا فهو يتناسب وموقفنا في الخدمة. فرجال الكنيسة يتحمَّلون التعيير من أجل المسيح ومن أجلنا، فنيرهم ثقيل وشركتهم في المجد أكثر. فالرعاة يحملون همَّ الرعية فوق همهم. والحامل لصفة رجل الكنيسة الأول - والكاهن بلغتنا - مُطالَب أن يكون خادماً رسولياً، فهو يحمل خدمة رسول كبطرس الرسول نفسه. فهو رسول المسيح المُرسل لقيادة الرعية. فهو بالتسلسل الرسولي الآبائي شاهد لآلام المسيح، ومدعو لشركة المجد العتيد أن يكون، وهي مؤهلات مربوطة الآن بالإنجيل، فالحامل لإنجيل المسيح شاهد بمقتضى الإنجيل لآلام المسيح إن كان حقًّا يدركها، وهو يعظ بها شارحاً ومبرهناً بالروح على شهادته جاعلاً حق المسيح معلناً كرسول.

فالشهادة لآلام المسيح تُعلَن حقًّا بلغة آلامنا التي نعانيها، لأن هذه هي الشركة في آلام المسيح التي وحدها تؤهل لشركة المجد العتيد أن يكون، وإن كان كل الكنيسة بكبيرها وصغيرها يلزم أن يكون شاهداً لآلام المسيح لتُحسب كنيسة الله الحي وجسده المقدَّس، ملء الذي يملأ الكل في الكل.

٥: ٢ «ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّاراً، لاَ عَنْ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاخْتِيَارِ، وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ».

هنا يعطي القديس بطرس الشيوخ أو الكهنة في الكنيسة صفتين كرعاة ونظَّار. وكل منهما تعطي الكاهن محيطاً جديداً لرسالته كراعٍ وناظر، وهما يجمعان معنى الخدمة الروحية على مستوى الرعية ومن فوقها[1] كمن يجمع القطيع في حضنه.

والأمر الذي يعطيه القديس بطرس في «ارعوا» يُفهم منه إحاطة الشعب من جهتين: جهة السائرين في الطريق، وجهة الذين فلتوا بعيداً في التيه أي الخارجين عن روح القطيع. فالراعي مسئول عن الداخل والخارج وإن لزم الأمر فهو يترك التسعة والتسعين ويجري وراء الضال حتى يصير القطيع ١٠٠ %. والجري وراء الضال أصعب من خدمة التسعة والتسعين، ويحتاج إلى سرعة وشجاعة وإقدام وروح

(١) كلمة «نُظَّاراً» جاءت في اليونانية ἐπισκοποῦντες وهي تعني في أصلها اللغوي "ناظرين من فوق".

أبوي صادق. ويكفي راعي الكنيسة أنه يأخذ وظيفة الراعي الأعظم وراعي الرعاة يسوع المسيح. فالرعاية الصحيحة لاهوتية هي، بل وأرفع وظيفة يتقلّدها إنسان!

وخدمة الراعي روحية هي، فبالروح يستطيع الكاهن أن يتحمَّل وظيفة الراعي، لأن خدمة الفرد في الرعية روحية هي وليست جسدية، فالراعي راعي أرواح لا أجساد. لذلك يسهل على الراعي الروحاني أن ينتشل الضال لأنه عمل يحتاج إلى موهبة "خارزما". فروح الفرد الضال هي الضالة وليس جسده. كذلك بقية الأفراد في الرعية يحتاجون إلى غذاء روحي لا جسدي، وإنعاش روحي بروح الله. فبدون تدخُّل الروح في الكلام تقف الخدمة فوراً. فالراعي يرعى أرواحاً وليس أجساداً، والراعي كما قلنا لفظ مأخوذ من وظيفة المسيح كراعٍ. فالرعاية سماوية هي وليست أرضية حيث تُنظَّم الكنيسة بالروح وليس حسب قوانين وضعية، وكل فرد في الرعية يلزم أن ينضبط بالروح حتى تسير الرعية معاً في طريق الرب. وما من قوة بشرية أو مهارة ما تستطيع أن تجعل الكنيسة تسير معاً في طريق واحد هو طريق الرب، فلابد من عطية روحية يلجأ إليها الكاهن لأن الخارزما (أي الموهبة) هي من حق الراعي الصالح. فإن طلبها بدموع يجدها ويأخذها بروح المسيح الراعي الأعظم، وبالاجتهاد الروحي بدموع وركوع وتذلُّل يسير القطيع وراء المسيح:

+ «لذلك اسهروا متذكّرين أني ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد.» (أع ٢٠: ٣١)

أيها الرعاة انظروا وعوا: بدون روح الله لا توجد رعاية، وبدون دموع الراعي تفسد الرعية. الراعي مسئول بالروح عن رعيته!!

فلكي تبقى الرعية في الإيمان لا يمكن ذلك إلاّ إذا كانت الخدمة مربوطة **بالمسيح رأساً عن طريق روح الكاهن ودموعه: «لأنكم كنتم كخراف ضالة ولكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها.»** (١بط ٢: ٢٥)

«لا عن اضطرار بل بالاختيار»:

بمعنى أن المدعو للرعاية يلزم أن يضع نفسه تماماً وكليًّا تحت أمر الله واختياره لأن العمل يخصُّه. إنه عمل الله أولاً وآخراً. فالله لابد أن يكون صاحب الاختيار وليس لأحد أن يفرض سلطانه ويوجِّه الآخرين حسب رأيه وشهوته أو سلطانه.

فبطرس الرسول سبق في الأصحاح الرابع من رسالته أن وضع أساس الخدمة الروحية هكذا:

+ «ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة.» (١بط ٤: ١٠)

فالخدمة الروحية التي يسوقها روح المحبة هي لغة يفهمها الشعب ويخضع لها، أما الخدمة بدون محبة فكما يقول بولس الرسول تصير «نحاساً يطن أو صنجاً يرن.» (١كو ١٣: ١)

«ولا لربح قبيح بل بنشاط»:

هذا التوجيه الروحي الحقيقي إنما يقوِّي الدعوة إلى حمل الرعاية عن اختيار. والربح القبيح هو الغطاء الذي يغطِّي به الراعي نفسه لكي لا تظهر عورته أنه خالٍ من خدمة الروح أو عدم الخارزما. وبالربح القبيح تختفي الخدمة الروحية. وقول القديس بطرس «ربحٍ قبيح» لأننا هنا بصدد الخدمة الروحية للراعي الصالح، فالالتفات إلى المال أو المنفعة الجسدية ترفع يد الروح القدس عن الكاهن ليكهن بنفسه أو بصوته لا بروحه.

لذلك يلزم على القائمين على الكنيسة أن يسدُّوا أعواز الراعي من كل وجه حتى لا يكون له حاجة إلى المال، لأن الخدمة الروحية لا تحتمل تدخُّل المال وإلاَّ تتوقف عن أن تكون رعاية بالروح (مت ١٠: ١٠، ١كو ٩: ٧ و١٢).

ونقول متأكدين إنه لا يوجد إنسان قادر أن يقنع الراعي أنه قد دخل في الربح القبيح إلا الروح القدس الذي يخدم به، فإذا لم يردعه الروح فلا رادع له أبداً.

٥: ٣ «وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ، بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ».

بمعنى أن لا يأخذ ما ليس له، ولا يفرض نفسه على الآخرين، ولا يتعالى طالباً أن يكون كبيراً وأولاً في كل شيء.

والقديس مرقس قدَّم لنا قولاً للمسيح مباشراً: «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مر ١٠: ٤٥). ويأتي قبل هذه الآية ما تسبَّب فيها: «فلا يكون هذا فيكم. بل مَنْ أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً، ومَنْ أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً.» (مر ١٠: ٤٣ و٤٤)

وبولس الرسول أخذها وبلورها هكذا: «كونوا متمثِّلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو ١١: ١)، وكما جاء في (١تس ١: ٦): «وأنتم صرتم متمثِّلين بنا وبالرب، إذ قبلتم الكلمة في ضيق كثير، بفرح

الروح القدس».

وجاء في رسالة القديس بطرس الرسول بعد الآية التي نشرحها النتيجة المباشرة لهذا الاتضاع الإلهي: «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يَبْلَى.» (١بط ٥: ٤)

صعب جدًّا على الكاهن اليوم أن يكون متواضعاً ويخدم أولاده بالروح خدمة العبد للسيد وليس السيد للعبد، لذلك يشد المسيح أزر الكهنة أي الرعاة المتواضعين فقط، الذي هو المثال الأعلى للراعي والكاهن والخادم في الكنيسة وهو صاحب الدعوة في الرعاية والكهنوت، الذي له أن يضع ويرفع. وبطرس الرسول في اتضاعه، هذا يقدِّم نفسه مثلاً للرعاة إخوته.

٥: ٤ «وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى».

«رئيس الرعاة»:

بطرس الرسول يقولها لأنها كانت سائدة في الأيام الأُولى: «وإله السلام الذي أقام من الأموات **راعي الخراف العظيم** ربنا يسوع بدم العهد الأبدي» (عب ١٣: ٢٠)، التي تُحسب لؤلؤة في وسط الرسائل وهي مأخوذة من الأناجيل (يو ١٠: ١١)، لأنه ليس لها مثيل في الرسائل إلا عند القديس بطرس (٢: ٢٥، ٥: ٤). وقد قالها بحروفها الكبير في الأنبياء إشعياء:

+ «أين الذي أصعد من البحر راعي خرافه، أين الذي وضع فيهم روحه القدوس؟» (إش ٦٣: ١١ حسب السبعينية)

والمسيح سيأتي قريباً كرئيس للرعاة ليطلب الرعية من أيدي الرعاة الأمناء الذين حفظوا أرواح الرعية لحسابه وليس لحسابهم.

«إكليل المجد الذي لا يَبْلَى»:

هذا الجزاء الأخير للإيمان الكامل:

+ «قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي **إكليل البر** الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديَّان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢تي ٤: ٧ و٨)

+ «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة. لأنه إذا تزكّى ينال **إكليل الحياة** الذي وعد به الرب للذين يحبونه.» (يع ١: ١٢)

+ «وكل مَنْ يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى وأما نحن **فإكليلاً لا يفنى**.» (١كو ٩: ٢٥)

بمعنى شركة المجد التي ينالها الرعاة الأمناء عن جدارة كرعاة أمام الراعي الأعظم وهي التي أخذها بطرس الرسول مقدَّماً: «وشريك المجد العتيد أن يُعلن» (٥: ١)، والتي سيأخذها كل مَنْ تعذَّبوا وتألَّموا شديداً مثل المسيح.

فالكل سينال الخلاص، نعم، ولكن ستوجد درجات في إعلان المجد العتيد الذي هو شركة مجد المسيح كما أن نجماً يمتاز عن نجم في المجد (١كو ١٥: ٤١).

والإكليل «لا يبلى» بمعنى أنه لن يفسد أو يُخلع من الرأس، بل هو يبقى إلى الأبد لتمجيد الخالق الذي تمجَّد بالمجد الأعلى.

٥: ٥ «كَذلِكَ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ، اخْضَعُوا لِلشُّيُوخِ، وَكُونُوا جَمِيعاً خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ، لأَنَّ: "اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً"».

«كذلك أيها الأحداث اخضعوا للشيوخ»:

أي بالمثل كما قلت للرعاة عن رعايتهم أقول لكم أنتم الرعية عن علاقتكم بالرعاة. فالراعي يكون أميناً على الرعية التي تقدِّم نفسها للراعي في طاعة البنوَّة ليتقبَّلوا من الراعي الروح وما يشير به الروح. وهؤلاء الأحداث هم مع الراعي يكوِّنون الكنيسة التي هي جسد المسيح. هؤلاء الأحداث في القامة يخاطبهم القديس يوحنا قائلاً: «أكتب إليكم أيها الأحداث لأنكم قد غلبتم الشرير» (١يو ٢: ١٣). والأحداث في الكنيسة بحسب ترتيب القامة الروحية هم الفئة التي تتبع الكاهن مباشرة، فهم قوام الكنيسة الذي عليه تقوم لأنهم خدام أقوياء بالنعمة قد غلبوا الشرير ووقفوا يحاربون من أجل الرب، رجالاً ونساءً، أرامل وشمامسة، شبَّاناً وحدثات، خاضعين للشيوخ في ترتيبهم الكنسي.

وهنا يحض بطرس الرسول على الطاعة للرعاة والخدَّام. ولا يجوز ادعاء الروحانيين من الشعب أن يتعالوا على الكاهن، بل الخضوع هو أساس الروحانية، فالكل خاضع للكاهن الواحد ولبعضهم البعض:

+ «كي تخضعوا أنتم أيضاً لمثل هؤلاء وكل مَنْ يعمل معهم ويتعب.» (١كو ١٦: ١٦)

+ «ثم نسألكم أيها الإخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبِّرونكم في الرب وينذرونكم. وأن تعتبروهم كثيراً جدًّا في المحبة من أجل عملهم ...» (١تس ٥: ١٢ و١٣)

«كونوا جميعاً خاضعين بعضكم لبعض، وتسربلوا بالتواضع، لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة»:

الآن يقول بطرس الرسول كلمة للجميع، فليس في الكنيسة أقطاب، فالكل واحد في المسيح، متواضعين تحت يده العالية. وهذه الوصية جاءت بحروفها في رسالة بولس الرسول لأهل أفسس: «خاضعين بعضكم لبعض.» (أف ٥: ٢١)

هذا هو ناموس الكنيسة والمسيح، فالخضوع كل واحد للآخر هو خضوع كلّي للمسيح الذي من أجله تأتي النعمة على الكنيسة والشعب.

وكلمة «**تسربلوا**» تفيد لبس ثوب واحد بلون واحد للجماعة، عليه قد نُقشت كلمة: التواضع للمسيح:

+ «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً **وتواضعاً** ووداعة وطول أناة.» (كو ٣: ١٢)

ويُلاحَظ هنا أنه تكلم عن لبس أحشاء الرأفات والتواضع كنتيجة للبس الإنسان الجديد (كو ٣: ١٠).

و«تسربلوا» تفيد أن يلبس الإنسان ثوباً ملتصقاً بجسمه كأساس لارتداء بقية الملابس، بمعنى أن التواضع هو ثوب الإنسان الجديد الذي لا يُخلع أبداً. فهو رداء الجماعة كلها بشكل واحد بنوع التبعية للمسيح يسوع. وبماذا يتكوَّن هذا الاتضاع؟

الكلمة في اللغة اليونانية وكما جاءت في الأدب اليوناني تعني أن يكون الإنسان متواضعاً بذهنية العبد الذي يشعر أنه غير مستحق للعتق، ولا أن يكون حرًّا، هذا الشرح بحسب العلامة جروندمان W. Grundman. فالتواضع هو أساس بالنسبة للمسيحي باعتباره أنه مُشتَرَى للمسيح والله وليس ملكاً لنفسه، فقد كنَّا "مُباعين تحت الخطية" (رو ٧: ١٤) وقد اشترانا الله بواسطة المسيح من العبودية للشيطان بدم ابنه يسوع المسيح: «لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتُريتم بثمن» (١كو ٦: ١٩ و٢٠). لذلك صرنا بالضرورة نتعلَّم التواضع من المسيح: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هيِّن وحملي خفيف.» (مت ١١: ٢٩ و٣٠)

وبولس الرسول يعرِّي نفسه من البر فيظهر في غاية الاتضاع قائلاً:

+ «وليس لي برِّي الذي من الناموس بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان.» (في ٣: ٩)

ويبلغ بولس الرسول أقصى تعريفه لتواضع المسيح في رسالته لأهل فيلبي:

+ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان **وضع نفسه** وأطاع حتى الموت موت الصليب.» (في ٢: ٥ - ٨)

وهذا الوصف لتواضع المسيح تدعِّمه كلمات المسيح نفسه للاثني عشر:

+ «فدعاهم يسوع وقال لهم: أنتم تعلمون أن الذين يُحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وأن عظماءهم يتسلَّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل مَنْ أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً. ومَنْ أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً. **لأن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم** وليبذل نفسه فدية عن كثيرين.» (مر ١٠: ٤٢ - ٤٥)

وجاءت شديدة الوضوح في (أع ٨: ٣٣): «في تواضعه انتُزع قضاؤه».

وقد ربط بطرس الرسول التواضع بالنعمة الإلهية، وقد استقى لغته من سفر الأمثال:

+ «كما أنه يستهزئ بالمستهزئين هكذا يعطي نعمة للمتواضعين.» (أم ٣: ٣٤)

والمتكبِّر يعادي الناس، ويرتفع فوق الإنجيل، ولا يقبل أن يكون ثانياً بل أولاً في كل شيء. وهو لا يدري أنه يسير في طريق العدو المؤدِّي إلى الهاوية. فهو إذ يترفَّع على الإنجيل يعادي الله، والله يعاديه.

لكن المتواضع يأخذ نعمة. ويلاحظ أن التواضع لا يُجازَى كفضيلة! أو كأن المتواضع يستحق شيئاً مقابل أنه يحط من نفسه، بل التواضع يقبل النعمة مجاناً، ومن أجل الرحمة التي يعامل بها الضعفاء والمساكين، لأن المتواضع رحوم رحمةً كأبيها من الله. والمتواضع يشعر أنه يحيا معتمداً على رحمة الله!! ويقبل الإهانة كتوضيع من الله، والكل يتعدَّى عليه وهو لا يتعدَّى على أحد.

٥: ٦ «فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ».

وهكذا ينتهي القديس بطرس من تعليمه فيما يخص الحياة بتواضع في وسط الجماعة، ينتهي بكلمة بخصوص هذا الأمر ترتقي بكل ما مضى، لأنها ترفعه إلى التعامل مع الله مباشرة. فالذي يريد أن يسلك بالتواضع في وسط الجماعة يجب أن يكون ملتفتاً أولاً إلى الله صاحب اليد العالية الذي يرفع ويُخفض. والذي يريد أن يرى الخلاص فليتضع تحت يد الله العالية كقول إشعياء النبي الذي أورده القديس لوقا: «كل جبل ينخفض ... ويبصر كل بشر خلاص الله» (لو ٣: ٥ و٦). وقد قالها السيد المسيح في إنجيل

القديس متى: «فمَنْ وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت الله» (مت ١٨: ٤). فالتواضع بهذا المعنى يشمل ضمناً بساطة القلب وتصديق كل شيء وأن يرجو الإنسان كل شيء، ويخدم كل إنسان ويضع نفسه تحت كل من هو أكبر منه بلا شعور منه أنه يتضع، ولكن التواضع يأتيه تلقائياً. حينئذ يكون التواضع بلا مراءاة ولكن من إحساس صادق داخلي بتلقائية الطفولة. والذي يتعالى فوق المتواضع يكون ردَّه: «أجاب يسوع لم يكن لكَ عليَّ سلطان البتَّة لو لم تكون قد أُعطيت من فوق.» (يو ١٩: ١١)

والتواضع تحت يد الله العالية جزاؤه الارتفاع أو الرفعة في الآخرة. وكل الآباء أخذوا في الحض على التواضع معتمدين على ما قاله المسيح نفسه في الأناجيل: «لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومَنْ يضع نفسه يرتفع» (لو ١٤: ١١)، (راجع: مت: ٢٣: ١٢، لو ١٨: ١٤). والوعد بارتفاع المتواضع يؤكّده ارتفاع المسيح كمتواضع: «لذلك رفّعه الله أيضاً.» (في ٢: ٩)

٥: ٧ «مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ».

لاحظ أن القديس بطرس يواجه الجماعة المضغوط عليها من مجتمع معاد واضطهاد. هنا الحياة كلها خوف ورعبة وانتظار الموت في كل لحظة مع تقبُّل الإهانات والتعيير، لذلك هي حياة كلها همّ. لذلك يحضّهم القديس بطرس بلسان المسيح أن يلقوا كل همّهم عليه لأنه هو يعتني بهم. وفي موضع آخر يقول الكتاب: «لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلم طلباتكم لدى الله» (في ٤: ٦)، لأن الصلاة تهدِّئ الروح وتعطي راحة للنفس، وهذه الوصايا مُستقاة من قول المسيح نفسه: «لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم بما تلبسون ... فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه ...» (مت ٦: ٢٥ و٣٤)

والكلمة اليونانية التي تُرجمت هنا بـ"الهمّ" تحمل معنى الارتباك، فالهمُّ يؤدِّي إلى الارتباك.

ووصية بطرس الرسول: «ملقين كل همكم عليه» تقابلها دعوة المسيح «احملوا نيري عليكم ... فتجدوا راحة لنفوسكم، لأن نيري هين وحملي خفيف» (مت ١١: ٢٩ و٣٠). وأما الإنسان الذي يحمل الهموم فيؤخذ عليه أنه يتجاهل هذه الحقيقة: «لأنه هو يعتني بكم». يكفي الإنسان أن يمتلئ شعوره بأن الله هو المُعتني بنا: «لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها.» (مت ٦: ٣٢)

وبولس الرسول إذ يعلم أن المخاوف محيطة به، يمسك في الله «الذي يقيم الأموات»، وهكذا استطاع القديس بولس أن يعطي التشكرات لله من أجل حفظه إياه: «فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها

الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا (نفس المنطقة التي أرسل إليها بطرس الرسول رسالته معزيًا) أننا تثقلنا جدًا فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً. لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات. الذي نجانا من موت مثل هذا وهو ينجّي، الذي لنا رجاء فيه أنه سينجّي أيضاً فيما بعد.» (٢كو ١: ٨ - ١٠)

والذي يقوله بولس الرسول هنا هو جزء قليل مما يعمله الله فينا. وطرح الخوف هام جدًا لكي يتدخّل الله، فالله يعمل في وسط الإيمان والرجاء، فإذا أتت الضيقة علينا فإننا بالإيمان نستطيع أن نتخلّص من الخوف. فإما تلقينا التجربة في حضن الله أو ترمينا بعيداً عن الله! ونحن لا نخضع للتجربة بل نقاوم ماسكين بيد الله.

٥: ٨ «اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ».

سبق أن أشار القديس بطرس إلى هذه المحنة في (١بط ١: ٦ و٤: ١٢). فعندما يُصاب الإنسان بتجربة فإن كان الله يقيس طولها وعرضها بيد تتدخل عند الضرورة، فإنه يلزم أن نعلم أن إبليس هو صانعها. وأيوب الصدّيق مثلٌ هام لذلك. والحقيقة أن التجارب إنما تأتي على الأبرار والأمناء لأن سببها الرئيسي هو مقاومة إبليس لله، وتدخُّل إبليس إنما يكون بقدر يحدِّده الله.

لذلك يحضنا الله بفم بطرس الرسول أن نكون صاحين لأنفسنا حتى لا يباغتنا الشرير بسبب تهاوننا أو كسلنا أو توانينا، لأن العدو يفتِّش علينا طالباً مدخلاً لعمله الشرير. وبطرس الرسول يصفه بالأسد الزائر، بمعنى أنه مفترس لا يرحم ومستعد لمنازلة أولاد الله حتى الموت. وهنا ينبِّهنا القديس بطرس أكثر من أي رسول آخر، فهو يشدِّد جدًا على الصحو والصبر والاحتمال، هذه كلها معاً. ويأتي عند بولس الرسول مثيل لها في (١تس ٥: ٦ و٨):

+ «فلا نَنَمْ إذاً كالباقين بل لنسهرْ ونصْحُ ... لابسين درع الإيمان ... وخوذة هي رجاء الخلاص».

فنحن نحارب العدو وعلى رأسنا خوذة الخلاص أساساً للنجاة. ونصيحة الرسل جميعاً بل والمسيح نفسه هي السهر أي اليقظة، بمعنى الانتباه لحالنا من الداخل حتى لا نؤخذ في غفلتنا أو إهمالنا:

+ « اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أيّة ساعة يأتي ربكم.» (مت ٢٤: ٤٢)

+ «اسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان.» (مت ٢٥: ١٣)

+ «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً؟» (لو ١٨: ٧)

+ «فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة ... اسهروا إذاً وتضرَّعوا في كل حين لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون.» (لو ٢١: ٣٤ و٣٦)
+ «اسهروا وصلُّوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف.» (مر ١٤: ٣٨)

وهذا ليحضّنا أن نكون على مستوى اليقظة الروحية لأن الجسد خامل.

+ «هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا.» (رو ١٣: ١١)
+ «اسهروا. اثبتوا في الإيمان. كونوا رجالاً. تقوَّوْا.» (١كو ١٦: ١٣)
+ «واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر.» (كو ٤: ٢)
+ «كُن ساهراً وشدِّد ما بقي الذي هو عتيد أن يموت لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله.» (رؤ ٣: ٢)
+ «ها أنا آتٍ كلصٍّ. طوبى لمَنْ يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عورته.» (رؤ ١٦: ١٥)

ومَنْ يصحو حقًّا ويتعقَّل وينظر إلى المجتمع حوله عن تحقيق، فإنه حتماً سينزعج ويلتفت إلى الله مصلِّياً لأن البلوى شديدة والكل نيام والعدو يحصد.

بطرس الرسول يحضنا على المقاومة، فلا نخضع للتهاون ونستسلم للعدو بل إن الرب قد أعطانا سلاح المقاومة وهو الصليب.

وتشبيه العدو بالأسد مأخوذ من سفر دانيال وحادثة إلقائه للأسود (دا ٦: ١٦ - ٢٣) ويأتي صداها في (عب ١١: ٣٣): «الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا برًّا، نالوا مواعيد، سدُّوا أفواه أُسود». وسفر الرؤيا يصف الوحش بأن «فمه كفم أسد» (رؤ ١٣: ٢) (قارن: دا ٧: ٤) ويجعله واحدة من الممالك التي ستظهر في آخر الأيام.

ووصفه بالأسد "الزائر" فهو لأنه يزعج الرعية ويؤثِّر عليها لكي تستسلم. فبطرس الرسول يصف العدو بالأسد الذي يهاجم المؤمنين ويروِّعهم ويجرّهم لتعطيل الخلاص وتعويق النهاية بقدر ما يمكن.

هذا العدو هو عدو المسيح وكنيسته، وهو المشتكي الذي سيقف ضدَّنا في الآخرة.

وبولس الرسول يقول في نهاية رسالته لأهل أفسس (وهي أيضاً في آسيا الصغرى): «البسوا سلاح

الله الكامل (الإيمان) لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء، مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات.» (أف ٦: ١١ و١٢)

والذي لا يقاوم العدو يُحسب كمن يتعاهد معه.

٥: ٩ «فَقَاوِمُوهُ رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ، عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ».

وأهمية الإيمان في مقاومة العدو أوضحها بولس الرسول قائلاً: «حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تُطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة» (أف ٦: ١٦)، ولكن بطرس الرسول يقول: «راسخين في الإيمان» حيث كلمة «راسخين» نجدها مماثلة لما جاء في (أع ١٦: ٥) بمعنى تتشدَّد: «وكانت الكنائس تتشدَّد في الإيمان ... كل يوم»، كما جاءت في (كو ٢: ٥) بمعنى متانة الإيمان: «لكني معكم في الروح فَرِحاً وناظراً ترتيبكم **ومتانة إيمانكم في المسيح**».

وهذا الرسوخ في الإيمان يتم بالالتزام اليومي بقراءة الإنجيل وتفتيش النفس عن أي هفوة لكي تبقى الحياة راسخة في الإيمان.

وبطرس الرسول **يؤكّد** على الإيمان هنا ومنذ بداية الرسالة لأن القوم الذين يكتب إليهم تحت التجارب.

والإنسان الذي يمسك بالإيمان راسخاً كل يوم يعيش في الحق، والإيمان يغلب العدو. والإيمان ليس مجرَّد قول بل عمل:

+ «لأن كل مَنْ وُلِدَ من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا!!» (١يو ٥: ٤)
+ «قد طُرح المشتكي على إخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام الرب إلهنا نهاراً وليلاً. وهم غلبوه بدم الخروف **وبكلمة شهادتهم**.» (رؤ ١٢: ١٠ و١١)

وقوله «أن نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتكم الذين في العالم» هنا المعنى عميق جدًّا، فهو يقصد أن الآلام تصيب الجسد العتيق؛ لذلك دوسوا التجارب تحت أقدامكم لأنها تعمل لحساب الجسد العتيق. وهنا يحاول القديس بطرس أن يربط البشرية معاً في نفس الجهاد والإيمان ومقاومة العدو والالتفات إلى التجارب أنها مصوَّبة إلى الجسد العتيق في كل مكان بالنسبة للمسيحيين.

والمعروف أنه منذ منتصف القرن الثاني والكنائس تتبادل معاً أخبار الشهداء: فالمعروف عن الكنائس في فيينا وليون في فرنسا أنها تخاطبت بالكتابة مع كنائس آسيا الصغرى وفريجيا بالنسبة للحوادث التي

حدثت سنة ١٧٣ - ١٧٨ ميلادية وقد أورد يوسابيوس القيصري هذا الخطاب في تاريخه الكنسي الفصل الأول والثاني (*HE* 5: 1-2).

والآلام والاضطهادات ضد المسيحيين عمَّت العالم كله من أيام نيرون وتراجان، ولكن الإيمان غلب في النهاية!!

٥: ١٠ «وَإِلَهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِي دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِيِّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيراً، هُوَ يُكَمِّلُكُمْ، وَيُثَبِّتُكُمْ، وَيُقَوِّيكُمْ، وَيُمَكِّنُكُمْ».

وهكذا يقدِّم بطرس الرسول لرعيته في آسيا الصغرى الدعاء والوعد الأكيد بتدخُّل الله. وهو بذلك يبلور كل القصد من الرسالة. وينبغي أن نلتفت إلى تأكيده هنا على «إله كل نعمة» فهو سابقاً ذكر أنه إله الدينونة العتيدة:

+ «الذي هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات.» (٤: ٥)
+ «لأنه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله. فإن كان أولاً منَّا فما هي نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله.» (٤: ١٧)

ولكنه ينتظر ويتوقَّع من الله في بداية الرسالة (١: ١٣) وفي نهايتها (٥: ١٠) النعمة التي يهبها الله لهم:

+ «فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.» (١: ١٣)
+ «وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع ...» (٥: ١٠)

كذلك على مدى الرسالة كلها يتكلَّم عن النعمة:

+ «الذين **تنبَّأوا** عن النعمة التي لأجلكم.» (١: ١٠)
+ «ألقوا رجاءكم بالتمام على **النعمة** التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.» (١: ١٣)
+ «معطين إيَّاهن كرامة كالوارثات معكم **نعمة الحياة**.» (٣: ٧)
+ «كوكلاء صالحين على **نعمة** الله المتنوعة.» (٤: ١٠)
+ «وأما المتواضعون فيعطيهم **نعمة**.» (٥: ٥)
+ «كتبت إليكم بكلمات قليلة واعظاً وشاهداً أن هذه هي **نعمة الله الحقيقية** التي فيها تقومون.» (٥: ١٢)

فالله هو إله النعمة الذي يحيط كلَّ إنسان في كل حال بنعمته. والمقابل لهذه التسمية «إله كل نعمة» عند بولس الرسول نجده في (٢كو ١: ٣): «إله كل تعزية».

ومضمون النعمة عند القديس بطرس الرسول يشمل كل ما يخص الحياة المسيحية بحسب فكر الله التي ظهرت خاصة في الجزء الأول من الرسالة الخاصة بالمعمودية:

+ «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة.» (١: ١٥)
+ «وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أُمة مقدَّسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (٢: ٩)

والنعمة نابعة من المسيح، أي على أساس القيامة وحياة الابن المصلوب:

+ «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات.» (١: ٣)
+ «فإن المسيح أيضاً تألَّم مرَّة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله، مُماتاً في الجسد ولكن مُحْيَى في الروح.» (٣: ١٨)
+ «كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مُبتهجين.» (٤: ١٣)

والمجد العتيد الآتي بالرجاء هو نعمة مجد الله الأبدي:

+ «في استعلان مجده (مجد الله) أيضاً مُبتهجين.» (٤: ١٣)
+ «شريك المجد العتيد أن يُعلن.» (٥: ١)

هذا المجد العتيد إنما يمتد الآن ليشمل الوجود المسيحي داخل الزمن!! وشكله في التاريخ يُوصف كما جاء في بدء الرسالة: «تُحزنون يسيراً» (١: ٦) أي أنه يلازم: «التألُّم يسيراً» (٥: ١٠). لذلك فإن نهاية الآلام تأتي حتماً بعد مدَّة تُقصَّر لتقرِّب النهاية:

+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا.» (رو ٨: ١٨)
+ «لأن خفة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً.» (٢كو ٤: ١٧)

والرسالة كُتبت لمعاونة المتألِّمين المختارين ولكنهم غرباء في الشتات (١: ١)، ولتعضيدهم بالتوجيه والتشجيع. فالقديس بطرس يكتب لشعب في المنفى بجوز وادي الدموع. مؤكِّداً لهم أن الله أمين على وعوده ودعوته وسيُحضر إليه الذين دعاهم خلال ظلمة العالم، لأن النعمة ستتبعهم وتنشط في معونتهم لأنها نعمة الله محب البشر!! والله بنفسه سيتدخل ليرافقهم. وهذا الوعد التاريخي بتدخُّل الله "نفسه" تردّد في الرسائل هكذا:

+ «وإله السلام **نفسه** يقدِّسكم بالتمام ...» (١تس ٥: ٢٣)

+ «وربنا **نفسه** يسوع المسيح والله أبونا الذي أحبنا وأعطانا عزاءً أبديًّا ... يعزِّي قلوبكم.» (٢تس ٢: ١٦ و١٧)
+ «والله **نفسه** يكون معهم إلهاً لهم.» (رؤ ٢١: ٣)
+ «الذي حمل **هو نفسه** خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر.» (١بط ٢: ٢٤)
+ «الروح **نفسه** أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو ٨: ١٦)
+ «الروح **نفسه** يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها.» (رو ٨: ٢٦)

وهنا في هذه الآية (٥: ١٠) القديس بطرس يقول إن الله سيتدخل هو "بنفسه" (حسب الترجمة اليونانية).

ويركز بطرس الرسول المعونة التي سيقدِّمها الله **بنفسه** في أربعة أفعال: «بعدما تألّمتم يسيراً هو "**نفسه**" **يكمِّلكم**، **ويثبِّتكم**، **ويقوِّيكم**، **ويمكِّنكم**».

وهذا يكون هنا في هذا الزمان.

كلمة "**يكمِّلكم**" تعني في اليونانية "يسترجعكم إلى مستواكم الأول"، لأن الذين في آلامهم كانوا قد فقدوا كثيراً حتى سقطوا من مستوى قوَّتهم.

وكل فعل من الثلاثة الباقين يحمل معناه.

٥: ١١ «لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ».

بهذا يؤكِّد القديس بطرس الوعد الذي أعطاه في الأربعة الأفعال المذكورة، مشيراً إلى أن النعمة ستشرق عليهم من مجد الله وسيُكمِّل الله كل وعوده بسلطانه. فكل تأكيدات الرسول بطرس تُظهر هنا كيف ستُكمَّل جميعاً بسلطان الله. وهكذا فإن الوعود والذُكصا التي يقدِّمها القديس بطرس هنا إنما هي متشابكة بحكمة، فالآيتان (١٠ و١١) هما قلب الرسالة النابض بالقوَّة والمجد.

النهاية:

٥: ١٢ «بِيَدِ سِلْوَانُسَ الأَخِ الأَمِينِ، – كَمَا أَظُنُّ – كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ وَاعِظاً وَشَاهِداً، أَنَّ هذِهِ هِيَ نِعْمَةُ اللهِ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي فِيهَا تَقُومُونَ».

تبدو هذه الخاتمة مختلفة تماماً عن نهايات رسائل بولس الرسول مما يدل على استقلال القديس بطرس

تماماً عن أسلوب القديس بولس أو ربما يكون قد سبقه، وهو يكتب عما يؤمن به شخصيًّا.

«بيد سلوانس»:

وهو معروف من الكنيسة كلها، من أُورشليم إلى روما، وكان متقدِّماً في الكنيسة على تيموثاوس، وكان زميل خدمة بولس الرسول:

+ «لأن ابن الله يسوع المسيح الذي كُرِزَ به بينكم بواسطتنا أنا وسلوانس وتيموثاوس لم يكن نعم ولا بل قد كان فيه نعم.» (٢كو ١: ١٩)

+ «**بولس وسلوانس وتيموثاوس** إلى كنيسة التسالونيكيين ...» (١تس ١: ١)

+ «**بولس وسلوانس وتيموثاوس** إلى كنيسة التسالونيكيين ...» (٢تس ١: ١)

والقديس بطرس يصف سلوانس بالأخ الأمين، وهذا يفيد أنه يعتمد عليه في هذه المهمة كوسيط.

ورسالة بطرس الرسول الأُولى تُحسب حاملة لتقليد الكنيسة كلها وهي تحمل لمحات من كنيسة فلسطين أكثر من رسائل بولس الرسول. وكان مقصد القديس بطرس من رسالته أن يحض ويعزِّي ويشجِّع المُرسل إليهم وهو يقدِّم لهم النصائح الأبوية كشاهد للمسيح وشريك مجده بشهادة النعمة، مقدِّماً شهادات إنجيلية تأتي فريدة من نوعها مثل ما جاء في (٢: ٢١ - ٢٤)، (٣: ١٨)، (٤: ١) قائلاً في نهايتها إن هذه هي نعمة الله الحقيقية، لذلك يحضّهم أن يعيشوا بالنعمة التي تأتي من الله التي ظهرت في المسيح يسوع: «النعمة التي لأجلكم» (١: ١٠)، ويدعوها «نعمة الله المتنوعة» (٤: ١٠)، والنعمة سيلاقونها في النهاية الأخيرة «النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح» (١: ١٣). وهو يؤكِّد لهم أنه بالرغم من أن الشدائد تحيط بهم إلا أنهم محفوظون بالنعمة بسبب محبة الله التي تقودهم للخلاص (٥: ١٠). لهذا فإن الصعاب والشدائد تسوقهم إلى النعمة «وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (٥: ٥)، بل ويؤكِّد لهم أن هذه الشدائد عينها هي "النعمة":

+ «لأن هذا **فضل** (في الأصل اليوناني "**نعمة**")» إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألِّماً بالظلم.» (٢: ١٩)

+ «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم.» (٤: ١٤)

وفي قوله «نعمة الله **الحقيقية**» يؤكِّد أنه لا يدعوهم إلى ديانة مزيَّفة يسوقهم فيها إلى تحمُّل هذه الصعاب، ولكن النعمة مسنودة بالحق والحق بالنعمة. وبطرس الرسول يتكلَّم هنا أنه حقًّا وبالحقيقة مصدَّق وواقعي، فهم في نظره الثاقب يقومون في النعمة وبها.

٥: ١٣ «تُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الَّتِي فِي بَابِلَ الْمُخْتَارَةُ مَعَكُمْ، وَمَرْقُسُ ابْنِي».

«تسلِّم عليكم التي في بابل المختارة معكم»:

دائماً ما يكون القصد من الرسائل هو ربط الكنائس معاً. وبطرس الرسول يسمِّي كنيسة بابل (مصر) "المختارة" كما سمَّاهم أيضاً "مختارين" في (١: ١). وهكذا تكون الرسالة من مختارين إلى مختارين. وهذا الأسلوب يظهر في رسالة القديس بطرس بنوع خاص، كما جاء أيضاً في رسالة القديس يوحنا الثانية التي تجيء أيضاً بالحرف الواحد: «يسلِّم عليك أولاد **أختك**[٢] **المختارة**. آمين» (٢يو ١٣). علماً بأن القديس يوحنا لم يكن متزوِّجاً ولكنه إنما يذكر الكنيسة التي معه والمختارة، ولكن كثيراً من العلماء يشددون أن المقصود في رسالة بطرس الرسول هي زوجته.

«بابل»:

«بابل» و«بابلون» اصطلاح فريد لم يتكرَّر أبداً في العهد الجديد كاسم بلد معاصر لزمن كتابة العهد الجديد، ويخطئ من يجعله تعبيراً عن روما. ولكن بابلون موجودة في مصر القديمة وكانت مقر الجالية اليهودية التي آمنت بالمسيح في يوم الخمسين، مثل باقي الآتين من باقي البلاد إلى أُورشليم يوم الخمسين.

«ومرقس ابني»:

ويسمِّيه بطرس الرسول: «ابني»، وهي علاقة روحية خلاصية. والحقيقة أن القديس مرقس هو الذي قاد القديس بطرس إلى مصر لأنه كان يعرف الطريق إليها ويعرف مداخلها ومخارجها لأنه من ليبيا المجاورة، وقد دخل مصر قبل ذلك من الساحل الشمالي آتياً من ليبيا ونزل إلى الإسكندرية على الجالية اليهودية التي كانت تقطن الإسكندرية وتعيش على خُمسَين من مساحة الإسكندرية، التي كانت مقسَّمة خمسة أجزاء، يقطن اليهود منها جزئين، خاصة في "باب شرق" المعروفة الآن بمحطة الرمل، والتي فيها الكنيسة المرقسية وشارع النبي دانيال، وكل هذه النواحي هي في الداخل وعلى الساحل.

أما بابلون فهي مقر الجالية اليهودية في مصر القديمة، وفيها حتى الآن الكنيس اليهودي، وكان يقطنها أيام دخول العرب الحامية الرومانية التي استسلمت وسلَّمت البلاد معها.

---

(٢) قاصداً الكنيسة.

٥: ١٤ «سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةِ الْمَحَبَّةِ. سَلاَمٌ لَكُمْ جَمِيعِكُمُ الَّذِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. آمِينَ».

«سلِّموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة»:

وهي القبلة التي يسميها بولس الرسول: «القبلة المقدَّسة». وهذه العبارة توجد هنا في رسالة القديس بطرس الرسول كما توجد ثلاث مرَّات في رسائل بولس الرسول: (رو ١٦: ١٦)، (١كو ١٦: ٢٠)، (٢كو ١٣: ١٢)، أي جاءت أربع مرَّات في كل العهد الجديد! هذه القبلة المقدَّسة هي التي وُضِعَت في القداس لكي تهيِّئ جوًّا روحيًّا أخويًّا. فالشماس ينادي بأن "قبِّلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدَّسة" لتهيئة الجو للمحبة الأخوية عديمة الغش لكي تبدأ صلاة القداس في جو أخوي أو عائلي، والقصد من ذلك هو الارتفاع بالمؤمنين إلى حالة من القداسة، ليشتركوا في محبة الله ونعمته الفائقة.

«سلامٌ لكم جميعكم الذين في المسيح يسوع آمين»:

والسلام الحقيقي هو حالة تصالح مع الله ومع الجماعة لإيجاد جو من الصلاحية للحياة التقوية مع الله، وذلك بقطع كل اتجاه نحو الخلافات التي تقطع الصلة بالله والعبادة. هذا السلام يُهيِّئ الجو للحياة بالإيمان والرجاء والمحبة، وهو في أصله سلام المسيح الشخصي: «سلاماً أترك لكم، سلامي "الذي لي" أعطيكم» (يو ١٤: ٢٧). ونهاية السلام تكون الوحدة الصادقة في الاتصال بالمسيح يسوع. والمعنى الكنسي يضرب إلى بعيد لأنهم أبناء معمودية واحدة تستلزم الأخوَّة بينهم بحسب الإنسان الجديد، في سلام ومحبة كمختارين حقًّا، شهادة لنعمة يسوع المسيح التي فيهم!

وقد انتهى هذا الكتاب بنعمة الله في يوم الاثنين ٨ ديسمبر سنة ٢٠٠٣م كتبته في مرضي الذي أقعدني عن الكتابة سنتين.

ويُعتبر شرح الرسالة الأُولى للقديس بطرس الرسول آخر ما كتبت في شرح الأناجيل والرسائل الهامة.

اذكرني يا إلهي

(انظر بعده)

والآن أصبح لزاماً عليَّ أن أوضِّح للقارئ ماذا كنَّا وما نحن عليه الآن:

فقد كُنَّا جماعة رهبان تائهين، كما يقول الكتاب، في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض بعد أن طُردنا من ديرنا ... فأرسل نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس دير أنبا مقار بوادي النطرون واستدعانا للمعيشة في ديره العامر، فلبَّينا الدعوة وكانت الدعوة من الله لأننا بمجرَّد أن استقرَّت أقدامنا في الدير أرسل الرب لنا قوَّة ومعونة، فقمنا وبنينا الدير حسب توجيه نيافة المطران.

وفتح الرب بصيرتنا فبدأنا شرح الأربعة الأناجيل المقدَّسة والرسائل الهامة بتشجيع من نيافة المطران، وهذه هي آخر رسالة لنا أخرجتها مطابع الدير. وبهذا يرتاح ضميرنا إذ ننسب الفضل لأصحابه. فنحن لسنا أكثر من لاجئين عملنا ما يرضي مطراننا نيافة أنبا ميخائيل مطران أسيوط كما أرشده الله من نحونا وهذا ما يسجِّله التاريخ علينا.

Bibliography

Cedar, Paul A., *James; 1,2 Peter; and Jude,* in *The Communicator's Commentary,* Word Publishing, Inc., 1984.

Davids, Peter H., *The First Epistle of Peter,* in *The New International Commentary on the New Testament,* Eerdmans, Grand Rapids, Michigan, 1990.

Goppelt, Leonhard, *A Commentary on I Peter,* tr. by John E. Alsup, Eerdmans, Grand Rapids, Michigan, 1993.

Hunter, Archibald M., *The First Epistle of Peter, Introduction and Exegesis,* in *The Interpreter's Bible,* Vol. 12, Abingdon Press, 1957.

Huther, J. Ed., *Critical Exegetical Handbook to the General Epistles of James, Peter, John and Jude,* in Meyer's Commentary on the New Testament, Hendrickson Publishers, Massachusetts, 1983, (reprint of the 6th edition of 1884).

Kistemaker, Simon J., *New Testament Commentary, Exposition of the Epistles of Peter and of the Epistle of Jude,* Baker Book House, Grand Rapids, Michigan, 1987.

Reicke, Bo, *The Epistles of James, Peter, and Jude,* in *The Anchor Bible,* Vol. 37, Doubleday, New York, 1964.

Whitman, Andrew, *1 Peter, Free to hope,* in *Crossway Bible Guide,* Nottingham, 1994.